

818
W553eA

A.U.B. LIBRARY

13

تجلد مکتب
ص ۱۰۰

813

W553eA

فتریبہ (طیب)
و
عزلہ وادی
سری

تالیف

ادیث ہوارتون

Edith Wharton

۱ اخبار الیوم

۱۹۰۷

نشر بالاشتراك مع مؤسسة
فرانكلين للطباعة والنشر
بالقاهرة ونيويورك

هذه الترجمة مرخص بها
وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء
حقوق الترجمة من صاحب هذا الحق وتنازلت عنها لدار
« أخبار اليوم »

This is a translation of Ethan From by Edith
Wharton, copyright 1911 by Charles Scribner's
Sons, and of "Old Maid" by the same author.

ضريبة الحب

عرفت القصة ، قطعة قطعة ، من أناس مختلفين ، وكانت القصة فى كل مرة مختلفة ، كما يحدث عادة فى مثل هذه الاحوال اذا كنت تعرف قرية ستاركفيلد بولاية ماساتشوستس فانك تعرف مكتب البريد • واذا عرفت مكتب البريد ، فلا بد أنك شهدت ايتام فروم يسوق مركبته صاعدا اليه ، ويلقى العنان الى ظهر جواده الاسمر البادى العظام ، ثم يمشى وئيدا فى الطريق المرصوف بالطوب الى المدخل ذى الاعمدة البيضاء ، وحينئذ تراك تتساءل من هذا الرجل ؟

هنالك رأيته لأول مرة منذ عدة سنوات ، واسترعت رؤيته نظرى . فقد كان حتى فى تلك الايام أكثر رجال ستاركفيلد استرعاء للانظار ، ولو أنه كان عندئذ حطام رجل من الرجال ولم يكن ذلك بسبب طول قامته التى تلفت النظر ، اذ أن أهل البلاد الاصليين يتميزون بقامتهم الطويلة النحيلة عن المتوطنين من الاجانب القصار القامة الاشداء • وانما كانت تميزه نظرتة القوية فى غير اكتراث بالرغم من عرج يعوق كل خطوة من خطواته كالغل ، وكان فى وجهه شئ من الجفوة لا يشجع على الاقتراب منه ، وقد جف عوده وخطه الشيب ، حتى خلته كهلا ، ودهشت حين علمت انه لم يجاوز الاثنتين والخمسين من عمره علمت ذلك من هارمون جوالدى كان يقود عربة النقل من بتسبريدج الى ستاركفيلد قبل ايام عربة الترام • وانه ليعلم تاريخ جميع الاسر التى كان يمر ببيوتها فى طريقه

قال هارمون فى ثنايا فترات يجمع فيها ذكرياته : « ان هذا منظره منذ حادث الاصطدام الذى وقع له . ويمر على هذا الحادث أربع وعشرون سنة فى فبراير القادم »

وانبأنى هذا المنبىء نفسه — أن حادث الاصطدام هو الذى أصابه بذلك الشج الاحمر الذى يمر فوق جبهته ، وهو الذى

عطل فضلا عن ذلك جانبه الايمن وقصره ، حتى صار لا يخطو الخطوات القليلة من مركبته الى نافذة البريد الا بجهد ظاهر . ومن عادته أن يقصد دار البريد في المركبة من مزرعته حوالى الظهر . وكان هو الوقت المختار لى لا تسلم ما يأتينى من رسائل . فكنت كثيرا ما أراه فى مدخل البريد أو أفق الى جانبه ، وهو ينتظر حركة اليد الموزعة من خلف حديد النافذة . ولاحظت أنه على انتظامه فى الحضور فى موعد معين ، قد يصل اليه شئ غير نسخة من جريدة «نيربستريدج» ، فيضع النسخة فى جيب سترته الواسع دون أن يلقي عليها نظرة . وبين فترة وأخرى يقدم اليه صاحب البريد مطروفا بعنوان السيدة زينوبيا أو السيدة زينة فروم ، وعلى هذا المظروف من الجهة اليسرى نرى فى مكان بارز عنوان أحد صناع الادوية الجاهزة واسم الدواء . ويضع جارى أيضا هذه الاوراق فى جيب سترته دون أن يلقي عليها نظرة . كأنه قد اعتاد هذه الادوية حتى لم تعد تدهشه كثرتها وتنوعها ثم بعد ذلك يقفل عائدا بعد أن يحيى صاحب البريد برأسه تحية صامتة

كان كل انسان فى قرية ستاركفيلد يعرفه ويحييه تحية هادئة ، تناسب نظرة الجد البادية عليه ، ويحترم الجميع صمته . وقلما يستوقفه أحد كهول القرية ليتبادل معه كلمة ، فاذا ما حدث ذلك كان يصغى فى هدوء وقد ثبت عينيه الزرقاوين على وجه المتكلم . ويجيب فى صوت خفيض حتى أنى لم أسمع قط كلماته . ثم يركب فى صعوبة مركبته ويمسك اللجام فى يده اليسرى ويسير ببطء فى اتجاه مزرعته

سألت هارمون «أكان حادث الاصطدام خطيرا الى هذا الحد؟» سألته هذا السؤال وأنا أنظر الى شخص فروم وهو يبتعد ، وأفكر أى منظر فخم كان لرأسه النحيل الكستنى بشعره الرقيق فوق هاتين الكتفين قبل أن ينحنيا فلم يعد لهما شكل

قال منبئى : « من أسوأ الحوادث وكان اصطداما كافيا لقتل أى انسان . ولكن أفراد اسرة فروم فيهم صلابة ومن المحتمل أن يعيش فروم حتى يبلغ المائة »

فصحت « رباه ! » وكان ايتان فروم فى تلك اللحظة قد تسلق المركبة الى مقعده ، ثم انحنى ليتأكد من سلامة صندوق خشبى كتب عليه عنوان صيدية - وكان قد وضعه فى الجزء

الخلفى من المركبة ورايت وجهه حين يبدو على الغالب عندما لا يراه أحد فقلت لنفسى : « هذا الرجل يبلغ المائة ! انه يبدو كالاموات بل كأنه انتقل الى الجحيم من الآن ! »

وأخرج هارمون قطعة الطباقي من جيبه ، واقتطع منها قطعة ، وحشرها فى شدقه الشبيهة بمحفظة الجلد ، وقال ا « تصور أنه يمضى كل شتاء فى ستار كفيلد ، مع أن أكثر الصفوة من أهل القرية يغادرونها ! »

فسألت : « ولماذا لا يغادرها ؟ »

قال « لابد عندئذ من شخص يعنى بأهله . ولا يوجد غيره أحد . فقد عنى بأبيه ثم بأمه ثم بزوجته . »

فسألت : « ثم حدث الاصطدام ؟ »

فضحك هارمون فى أسى وقال : « تماما ! واضطر اذن للبقاء » فقلت : « فهمت ! ومنذ ذلك الحادث هل يعنى به أهله الآن ؟ »

ونقل هارمون الطباقي الى الشدق الآخر وهو فى تفكير وقال « فيما يتعلق بهذا أظن أن ايتان هو الذى يقوم بالعناية بذويه دائما »

لقد فصل هارمون جوالقصة بقدر ما يستطيع عقله ونزعته الخلقية . ولكن تبين لى فى الحال ان هنالك ثغرات فى حديثه ، وأن المعنى العميق للقصة فى هذه الثغرات . بيد أن عبارة واحدة علققت فى ذاكرتى . وصارت المحور الذى تدور حوله تقديرأتى ، وهى قوله : « تصور أنه يمضى كل شتاء فى ستار كفيلد . »

قبل أن تنتهى مدة اقامتى فى تلك القرية كنت قد فهمت معنى هذا القول . ومع ذلك فقد جئت إليها فى آخر الزمان بعد أن انتشر فيها استعمال الترام والدراجة والتوزيع الريفى ، وصار الاتصال بين اقرى المتناثرة فى الجبال ميسورا ، وبعد أن أنشئت فى البلدان التى هى أكبر منها الواقعة فى الوديان ، مثل بتسبريدج وشلالات شادومكتبات ، مسارح وقاعات لجمعية الشبان المسيحيين يستطيع أن ينزل إليها شبان فى الجبال للترويح عن نفوسهم . ولكن حين أطبق الشتاء على ستار كفيلد . وأصبحت القرية تحت طبقة من الجليد تتجدد دائما من السماء

الباهتة ، بدأت أعرف معنى الحياة فى تلك القرية فى عهد شباب
ايتان فروم ، أو معنى الموت الذى كان يحيط عندئذ بها

لقد أرسلنى أصحاب العمل فى مهمة متعلقة بإنشاء دار للقوة
الكهربائية كبيرة فى وصلة كوربرى ، ولكن اضرا باطويلا بين النجارين
آخر عملى وألقى رحالى مدة طويلة فى قرية ستار كفيلد ،
وهى أقرب قرية بها سكان الى مكان العمل فبقيت بها الجزء
الاكبر من الشتاء . وكنت كثير الامتعاض لذلك فى مبدأ الامر ثم
اعتدت نظام الحياة بها ، فصرت رويدا رويدا أرضى رضاء
عابسا عن تلك الحياة . وكنت فى مبدأ اقامتى بتلك القرية ،
قد لاحظت التباين بين ما فى جوتلك الجهة من حياة ، وما فى
معيشة أهلها من موت . وفى يوم اثر يوم ، بعد أن انتهى
تساقط ثلوج ديسمبر ، كانت سماء زرقاء زاهية تغمر هذا
المنظر الابيض بسيول من النور والهواء ، فتزيد من بريقه .
وكان أغلب الظن ان مثل هذا الجو من شأنه أن يسبب سرعة
انفعال أهل القرية وسرعة حركة دمائهم . ولكنه لم يزد هم الا
خمولا وبطئا . ولما أقمت مدة أطول ، ورأيت هذا الطور من
النقاء البلورى ، تتبعه فترات طويلة من برد لا شمس فيه ،
ثم تأتى عواصف فبراير فتضرب خيامها بتلك القرية المحبوبة ، ثم
تمر بها كتيبة تلك الفرسان الخاطفة من زوابع مارس ،
تشد أزر العواصف ، بدأت افهم لماذا يخرج أهل ستار كفيلد من
ذلك الحصار المستمر ستة أشهر كأنهم حامية جائعة استسلمت
للعُدو بلا شرط . على أن وسائل المقاومة كانت أقل كثيرا قبل
ذلك بعشرين سنة . وكان العدو حينئذ يتسلط على جميع
خطوط الاتصال بالقرى المنكوبة . وأمام التفكير فى هذه الاحوال
فهمت ما تنطوى عليه عبارة هارمون « ان الصفوة من
أهل القرية يغادرونها » من قوة . فاذا كانت هذه هى الحال ،
فكيف كانت ؟ وأى عقبات تجمعت ، فحالت دون فرار
رجل مثل ايتان فروم ؟!

كنت أقيم أثناء اقامتى بستار كفيلد لدى أرملة فى متوسط
العمر يعرفها الجميع باسم مسز ندهايل . وكان والد مسز هايل
محامى الجيل السابق بالقرية . وكانت دار المحامى فارنوم ،
حيث لا تزال تقيم صاحبة مسكنى مع والدتها ، اكبر دوا
فى القرية . وهى واقعة عند نهاية أهم طريق فيها . مدخلها

على الطراز القديم ، ونوافذها ذات ألواح ذجاجية صغيرة ،
تطل على طريق مبلط تحفه أشجار نرويجية طويلة تمتد
الى البرج الابيض الطويل للكنيسة سة الجماعية . وكان من البين
أن حال آل فارنوم قد تدهورت . ولكن المرأتين بذلتا كل ما في
وسعهما للاحتفاظ بشيء من المكانة . . وكانت مسز هایل
بنوع خاص على قسط من التهذيب يلائم بيتها الباهت ذا الطراز
القديم

كنت أستمع كل مساء في غرفة الجلوس ، ذات الارائك من
الحشب الثمين والمساند المحشوة بشعر الخيل ، يضيئها مصباح
قوى من طراز كارسيل ذو طنين، الى قصة أخرى أكثر تهديبا من
قصص ستار كفيد . وليس ذلك لان مسز ندهايل كانت تشعر
بشيء من التعالي الاجتماعي على الناس من حولها . ولا تزعم ذلك
لنفسها . بل ان المصادفة أتاحت لها احساسا أرق وتربية أعلى ،
مما ميزها تميزا كافيا على جاراتها بحيث تستطيع أن تحكم
عليهن بغير تحيز . ولم تكن تكره أن تستعمل هذه الموهبة . لذلك
كان لدى أمل كبير في أن أعرف منها الوقائع الخفية في قصة
ايتان فروم ، أو مفتاح خلقه الذي يتلاءم مع مآعرفته من وقائع ،
وكان عقلها يخترن طائفة من القصص البريئة ، وأى سؤال
عن الناس الذين تعرفهم ينتج مجلدا من التفصيلات . ولكني
وجدتها فيما يتعلق بايتان فروم متحفظة على غير انتظار . لأقول
ان في كلامها ذرة من الاستياء في التحفظ . بل كل ما هنالك أني
أحسست ان لديها ترددا لا يقهر في الكلام عنه وعن شئونه . وكل
ما سمحت به لاشباع فضولى قولها في صوت خفيض « نعم
. . عرفت كليهما . . وكان أمرا فظيحا . . »

لقد تغير مسلكها تغيرا ظاهرا وانطوت عبارتها على أسى عميق
حتى انى عدت فأثرت الموضوع لدى هارمون جو ، وحي القرية ،
وأنا أشعر بما في هذا العمل من تنكب للذوق . فلم أكافأ على تعبى
الا بهمة تدل على أنه لا يفهم . وقال لى : « ان روث فارنوم
خائرة الاعصاب دائما كالجرذ ، ولكن عندما افكر في الامر ، أجد
أنها أول من رأهما بعد أن عشر عليهما . وكان الحادث في المنطقة
التي تقع في أسفل دار المحامى فارنوم ، عند منحنى الطريق الى
كوربرى . وكان ذلك حوالى الوقت الذى خطبت فيه روث الى

نדהايل • وكانوا جميعا في شبابهم أصدقاء • وأعتقد أنها لا تحتمل الحديث عن هذا الامر • ولها من متاعبها مافيه الكفاية »
ولسكان ستاركفيلد جميعا ، سكان الاماكن الأكثر اشتها رأمنها من متاعبهم مافيه الكفاية ، حتى انهم يصبحون أقل اهتماما بنسبها بمتاعب جيرانهم • وهم يستلمون بأن قسط ايتان فروم من هذه المتاعب أكبر من المعتاد • ولكن لم يفسر لي أحد منهم ، سبب النظرة الجاثمة على وجهه ، وهي التي مازلت أصر على أنه لا الفقر ولا الآلام الجسدية يمكن أن تضعها على الوجه •

ولقد كنت أستطيع الاكتفاء بالقصة التي استخرجتها من شتات هذه الاشارات ، لولا أن أثارتنى مسزهايل بصمتها ، ولولا المصادفة التي حدثت بعد قليل من الزمن حين اتصلت اتصالا شخسيا بالرجل !!
كنت قد اتفقت حين وصولي الى قرية ستاركفيلد مع دنيس ايدى البقال الارلندي الثري ، الذي يمتلك في ستاركفيلد ما يمكن أن يسمى حظيرة خيل للنقل ، على أن يتولى نقل يومية الى منبسطات كوربري حيث أستطيع ركوب القطار من هنالك الى الوصلة ، ولكن في منتصف الشتاء مرضت خيول ايدى اذ أصيبت بوباء محلي وامتدت الاصابات الى غيرها من حظائر الحيل في ستاركفيلد وظللت يوما أو يومين لا أجد وسيلة للانتقال الا في صعوبة • وحينئذ قال لي هارمون جو ان جواد ايتان فروم الاسمر لا يزال يدب على رجله وقال ان صاحبه قد يسر اذا أتيح له نقل

فبهت لهذا الاقتراح وسألته : « ايتان فروم ؟ ولكنني لم أتحدث اليه مطلقا ! وما الذي يدعو لان يتعب نفسه من أجل ؟ »
وأدهشتني اجابة هارمون أكثر من اقتراحه حين قال : « لست أعلم أنه يفعل هذا من أجلك ، ولكنني أعلم أنه لا يأسف اذا كسب دولارا »

لقد قيل لي أن فروم فقير ، وان طاحونة قطع الاخشاب وأراضي مزرعته الجذباء ، لا تكاد تمده بما يقوم بأوده أثناء الشتاء ، ولكنني لم أتصور أنه في مثل هذه الشدة التي تفهم من كلمات هارمون ، وأعربت عن هذه الدهشة

قال هارمون : « ان الامور لم تسر على ما يشتهي ، فعندما يركد الرجل عشرين سنة أو أكثر ، كالسفينة القديمة ، وهو يرى أشياء يحب عملها ، فان ذلك يؤثرفيه ، فتضعف عزيمته ، ولقد كانت مزرعة فروم دائما عارية جذباء كائنا اللبن بعد أن تلعه

الهرة • وانك لتعلم ماقيمة تلك الطواحين القديمة التى تدار بالماء
فى هذه الايام • ومهما تصبب العرق من جبين ايتان فى سبيل
الطاحونة والمزرعة ، منذ شروق الشمس الى انتشار الظلام ، فانه
لا يكاد يخرج منها مايكفل له العيش على أن أهله يستهلكون
اكثر مما ينتجه ولا أعرف كيف يستطيع تدبير أموره الآن •
ولقد حدث أولا أن أصيب أبوه بضربة شمس وهو يجمع التبن
فخف عقله • وصار قبل وفاته يوزع النقود كما يوزع الاتقياء
نصوص الكتاب المقدس ، ثم خرفت أمه • وامتدت بها السنون
وهى ضعيفة كالطفل ، وتعتبر زوجته زينة أكبر عملاء الاطباء
فى هذه المقاطعة ، فالمرض والمتاعب هى مامتلات به صحاف
طعام ايتان فروم منذ أن عرف الاكل لأول مرة !!

وفى صباح اليوم التالى عندما خرجت لعملى رأيت الحصان
الاعجف بين أشجار فارنوم وقد أزاح ايتان فروم جلد المركبة
القديم ليفسح لى مكانا فى الزاحفة الى جانبه • وظل بعد
ذلك اسبوعا ينقلنى فى زاحفته الى منبسطات كوربرى فى كل
صباح • وفى عودتى بعد الظهر ، يقابلنى ويعود بى فى برودة
الليل الى قرية ستاركفيلد • وكانت المسافة ذهابا وايابا تزيد
على ثلاثة أميال • ولكن خطوة الحصان الهرم بطيئة • وكنا
نقطع الطريق فى نحو الساعة لو كان الجليد ثابتا تحت مزلق
الزاحفة • وكان ايتان فروم يسوق المركبة فى صمت وهو
ممسك بالجام فى رفق بيده اليسرى ، ويبدو جانب وجهه
الاسمر ذى الندوب تحت طاقيته الشبيهة بالحوذة ، وترى ظله
ينعكس على الجليد كأنه تمثال من البرونز لبطل من الابطال
وكان لا يدير وجهه الى قط • ولا يجيب عن الاسئلة التى أوجهها ،
أو النكات الصغيرة التى أجرؤ عليها ، الا بكلمات قصيرة •
وكأنه جزء من المنظر الطبيعى الحزين الصامت ، أو كأنه قد
تقمصه ذلك الأسى المتجمد فى منظر الطبيعة ، وانطبع فى نفسه
قساوة الجو الجليدى فحبست فى أطوائه كل دفء وحرارة • بيد
أن هذا الصمت لم يكن فيه مايشير الى الرغبة عن الصداقة
وكل ما شعرت به فى بساطة أنه يعيش فى أعماق وحدة خلقية ،
حتى ليصعب الوصول الى نفسه عادة • وشعرت كذلك أن هذه
الوحدة ليست نتيجة متاعبه الشخصية بالرغم من انها أليمة
فيما لاحظته • ولكنها نتيجة أيضا ، كما أشار هارمون جو
للتأثير المتجمع من برد الشتاء ومروره على قرية ستاركفيلد سنة
بعد سنة

وقد تمكنت مرة أو مرتين من اجتياز ذلك الجسر القائم بيننا وكانت النظرات الخاطفة التي حصلت عليها عندئذ مما زادني رغبة في أن أقوى معرفتي به . فقد تكلمت ذات مرة عن عمل هندسى قمت به فى السنة السابقة بفلوريدا ، وعن التباين بين منظر الشتاء الذى يحيط بنا والمنظر الذى كنت أراه فى السنة السابقة ، ودهشت حين أجبني فروم فجأة : « نعم لقد كنت هنالك ذات مرة ، وظللت مدة طويلة يتراءى لى منظر تلك الجهة فى الشتاء ، ولكن هذا المنظر اختفى تحت الثلوج »

لم يقل أكثر من ذلك الا اننى تخيلت البقية من نبرات صوته ، وعودته الى الصمت فى حدة

فى يوم آخر افنقدت مجلدا فى العلوم العامة وأنا أركب القطار من المنبسطات فلم أجده وكان المجلد فيما اظن يبحث فى شأن مكتشفات جديدة فى الكيمياء الحيوية . وكنت أحمله معى لأقرأه فى الطريق . ولم أفكر فيه حتى عدت مرة ثانية الى الزاحفة فى ذلك المساء . فرأيت الكتاب فى يد فروم .

قال لى : « لقد وجدته بعد ذهابك » . .

فوضعت المجلد فى جيبي ، وسرنا فى صمتنا المعتاد . وبينما كنا نصعد فى ببطء الى ذلك الطريق الطويل من منبسطات كوربرى الى هضبة ستاركفيلد ، شعرت فى الظلام انه أدار وجهه نحوى وقال : « قرأت فى هذا الكتاب اشياء لم أكن أعرف عنها كلمة واحدة »

كانت دهشتى من كلماته أقل من دهشتى لنبرة الاستياء الغريبة فى صوته . وكان من الواضح انه دهش وأسف قليلا لجهله

فسألته : « هل تهتم لمثل هذه الاشياء »

فأجاب : « كنت أهتم بها ! »

فقلت : « ان فى هذا الكتاب مسألة أو مسألتين جديدتين ولكن هذه الابحاث خطت أخيرا خطوات واسعة » . وانتظرت قليلا كي يرد الجواب ولكنه لم يفعل ، فقلت « اذا أردت أن تقرأ الكتاب بأكمله فانى أكون سعيدا بأن أتركه معك »

فتردد قليلا وبدا لى انه على وشك أن يخضع لموجة من الحمول . ثم أجاب فى عبارة قصيرة « أشكرك سأخذ الكتاب ! »

ولقد أملت في أن هذا الحادث سيجعل نوعا من الاتصال المباشر بيننا . وكان فروم بسيطا وصریحا . فكنت واثقا من أن فضوله قائم على اهتمام حقيقى بالموضوع . ومثل هذه الميول فى رجل هذه حالته مما يجعل التباين أليما بين مركزه المادى، وحاجاته النفسية . وكنت أومل أن فرصة التعبير عن هذه الحاجة قد تفتح على الأقل شفتيه ، ولكن يظهر أن شيئا فى تاريخه الماضى أو طريقة معيشته فى الحاضر قد جعله ينطوى على نفسه ، بحيث لا يمكن لدافع عارض أن يجذبه ثانية الى الناس ففى مقابلتنا التالية لم يشر الى الكتاب . وبدأ لى أن القدر قضى بأن يظل اتصالنا سلبيا ومن جانب واحد . وكأن لم ينفرج ستار تحفظه

ظل فروم يسوق المركبة بى الى المنبسطات نحو اسبوع وفى ذات صباح نظرت من نافذتى فوجدت الجليد ينزل ثقيلًا . وكان ارتفاع امواجه البيضاء الى جانب سور الحديقة ، وعلى حائط الكنيسة ، يدل على أن العاصفة استمرت طول الليل . وان هطول الثلج سيكون شديدا فى العراء ، وبد لى من الراجع أن يتأخر قطارى . ولكن كان لابد من وجودى فى محطة القوة الكهربائية مدة ساعة أو ساعتين بعد الظهر . وقررت انه اذا جاءنى فروم ، فسأذهب الى المنبسطات وأبقى هنالك الى أن يأتى القطار . ولا أعلم لماذا كانت صيغة تفكيرى شرطية مع أنى كنت واثقا بمجيئه . فهو من الرجال الذين لا يمكن ان يحول دون عملهم أية ثورة فى العناصر الطبيعية . ولقد رأيت مركبته تنزلق على الثلج فى الساعة المقررة ، كأنها شبح مسرحى يبدو من وراء ستار شفاف .

لقد صرت أعرفه معرفة حالت بينى وبين الاعراب عن الدهشة أو الشكر لاحتفاظه بموعده . ولكنى أعربت عن دهشتى حين رأيته يدير حصانه فى الاتجاه المخالف لطريق كوربرى قال لى ونحن نسير بين الثلوج : « لقد تعطل طريق السكة الحديدية بقطار بضائع سدت سبيله عاصفة من الثلج فى أسفل المنبسطات » .

فسألت : « اذن الى أين تسير بى ؟ »

أجاب وهو يشير بسوطه الى التل المقامة عليه المدرسة : « انى أسير بك رأسا الى الوصلة بأقصر طريق »

فصحت : « الى الوصلة في مثل هذه العاصفة ! انها لتبعد
مالا يقل عن عشرة أميال »!

فقال : « سيقطعها الحصان اذا أتحت له الوقت ! لقد قلت
ان لديك عملا تؤديه بعد ظهر اليوم وسأعمل على وصولك ! »
قال ذلك في هدوء حتى انى لم أستطع الا أن أقول : « انك
تسبغ على أكبر الفضل »

فقال : « لا شيء من ذلك »

كان الطريق يتفرع امام بناء المدرسة فنزلنا في طريق ضيق
الى اليسار يسير بين اشجار الهملوك التى انحنت رءوسها الى
جذورها ، بثقل ما عليها من ثلج ، وكنت كثيرا ما أسير فى ذاك
الطريق فى أيام الاحد وأعلم أن السقف المنفرد الذى أراه من
خلال فروع الاشجار العارية فى أسفل التل انما هو طاحونة
قطع الاخشاب التى يمتلكها فروم وكان منظرها يدل على قلة العمل
فيها ، بعجلتها المتبذلة الجائمة فوق النهر الاسود ، تغطيه قطع
من الثلج المصغر ومجموعتها من المخازن المنحنية الظهر تحت حملها
الابيض .

ولم يثن فروم حتى رأسه ناحيتها ونحن نمر . وبدأنا
نصعد المنحدر الآخر ونحن فى صمت ايضا . وبعد أن قطعنا
نحو ميل ، من طريق لم أمر به من قبل ، وصلنا الى حديقة
صغيرة من اشجار التفاح الضعيفة النامية ، بين مرتفع من
الارض تخرج من ثناياه احجار الازدواز ، تطل من بين الثلوج
التي تغطي الارض ، كأنها حيوانات أخرجت أنوفها للتنفس .
وفيما وراء الحديقة نرى حقلا أو حقلي ، وقد غابت حدودهما
تحت أكوام الثلوج ، وفيما فوق هذين الحقليين يطل على
الفضاء الواسع الابيض ، المؤلف من الارض والسماء ، احدى تلك
الدور الزراعية المتناثرة ، التى تشاهدها فى اقليم نيوانجلند ، وهى
تزيد فى كآبة المنظر ووحشته

قال فروم وهو يلوح بكوعه العاجز الى جانب الطريق : « هذا
مسكنى ! » ولم أجد ما أرد به حين رأيت المنظر وما فيه من بؤس وكآبة ، وكان
هطول الثلج قد وقف وسقطت أشعة الشمس مبللة على المنحدر
فكشفت عن الدار بكل ما فيها من قبح أليم . وكان فوق مدخلها

أكليل اسود معقود من غصون بعض النباتات الزاحفة •
وكانت الحوائط الخشبية الرقيقة خلف طلائها القديم الباهت ،
ترتعش تحت وطأة الرياح التى هبت على أثر انتهاء سقوط
الثلج •

جذب فروم اللجام من الناحية اليسرى ، ليحول دون الرغبة التى
يدت من الحصان فى الاتجاه نحو المدخل الخارجى المكسور ، واستمر
يقول : « كانت هذه الدار فى أيام والدى أكبر مما تراها ،
وقد اضطرت أخيرا الى هدم الجناح المقابل لها • »

فأيت عندئذ ان منظر الدار وما يبدو عليها من اهمال قد نشأ
بعضه عن حرمانها من ذلك البناء المألوف فى نيو انجلند ، وهو
الذى يصل بين الدار والحظائر ، بحيث يؤلف زاوية قائمة مع بناء
الدار الاساسى • فهذا البناء الموصل يؤلف معنى
رمزيا للحياة المتصلة بالارض ، حيث تضم بين جوانبها اكبر
مصادر الدفء والتغذية ، وهو يمكن السكان فى ذلك الجو العاتى
من أن يذهبوا الى عملهم فى الصباح دون مواجهة البرودة القاسية ، فان
هذه الوصلة أكثر من الدار نفسها ، تبدو مركز المزرعة فى نيو انجلند
وحجرها الاساسى • ولعل هذه الفكرة ، التى كثيرا ما خطرت لى
فى رحلاتى حول ستار كميلد ، هى التى جعلتنى اشعر بنغمة
كثيبة فى كلمات فروم ، وأرى فى الدار المتداعية مثلا لجسمه
المتقلص

وعاد فقال : « اننى الآن أكثر استخفاء ولكن المرور كان كثيرا
قبل أن تصل السكك الحديدية الى المنبسطات » وابقظ الحصان
الذى شرع يتوانى بهزة أخرى • وكان مجرد رؤيتى للدار قد أقام الثقة
بينى وبينه حتى لم تعد هنالك حاجة للتحفظ • فاستمر يقول
فى هوادة « لقد كنت دائما أرى أن أسوأ المتاعب التى حلت بأمى
هى نتيجة لذلك ، فحين اشتدت عليها علة النقرس حتى لم تعد
تستطيع الحراك كانت تجلس هنالك وتظل ساعات ترقب
الطريق • وفى احدى السنوات ظل العمال ستة أشهر يصلحون
الطريق الى بتسبريدج بعد الفيضانات • واضطر هارمون جو
الى أن يحول مركبته الى هذا الطريق ، فكانت تذهب فى
أكثر الايام الى مدخل البيت • ولكن بعد ان أخذت السكك الحديدية

تسير لم يعد أحد يمر بهذه الجهة • ولم تفهم أُمى ما حدث
وظلت متأثرة بهذا الحادث الى مماتها »

وحين انتقلنا الى طريق كوربري عاد الثلج الى السقوط فحجب
آخر نظرة الى الدار • وعاد فروم الى الصمت ، وانسدل بيننا ستار
التحفظ القديم • ولم تسكن الريح بعودة الثلج فى هذه المرة بل زادت
حتى صارت عاصفة ثلجية ، تنفد من خلال سحبها المهلهلة ، بين
حين وآخر ، أشعة شمس ذابلة ، تضىء ذلك المنظر الذى تعبت به
الرياح • ولكن الحصان كان عند حسن ظن فروم به ، فتقدمنا فى
طريقنا الى الوصلة مخترقين المنظر الابيض الموحش

وفى المساء هدأت العاصفة وانحسرت السحب عن الجانب
الغربى • فبدأ لعينى غير المجربتين ، أن هذا دليل على أن
المساء سيكون صحوا • فأتممت عملى فى أسرع وقت ، وأخذنا
الطريق الى ستاركفيلد ، متوقعا أن أبلغ تلك القرية فى
العشاء ، وعند غروب الشمس تجمعت السحب مرة ثانية مما
عجل بالليل قبل أوانه • وأخذ الثلج يتساقط مستقيما ومستمرا
من سماء لا رياح فيها ، وفى اصرار هادى عام ، فجعلنا ذلك أكثر اتباكا
منا حين كنا نواجه رياح الصباح وأمطاره • فكان هذا الثلج قطعة
من الظلام الدامس ، وكأنه ليل الشتاء نفسه نزل علينا طبقة
فطبقة

واختفى ضوء المصباح الصغير الذى يحمله فروم فى هذا الجو
الطاغى الذى قضى على حاسة فروم فى تمييز
الاتجاهات ، وأضل الحصان عن غريزته فى تعرف طريق البيت
• • وقد حدث مرتين أو ثلاثا أن بدت علامة كالخيال ، دلتنا على
اننا أخطأنا الاتجاه ، ثم عاد الضباب فابتلعنا • ولم نتمكن
أخيرا من الاهتداء الى طريقنا حتى كانت قد بدت على الحصان
علامات الاعياء • وشعرت انى أستحق اللوم لقبولى ما عرضه
فروم • وبعد مناقشة قصيرة أقنعت به أن أنزل عن الزاحفة
وأمشى على الثلج الى جانب الحصان • وهكذا قطعنا فى جهد
ميلا أو ميلين ووصلنا أخيرا الى مكان بدا لى انه ظلام لا يخترق ،
فأشار اليه وقال : « هذا هو مدخل دارى فى هذه الناحية »

كانت المرحلة الاخيرة أصعب مراحل الطريق فان السير فى

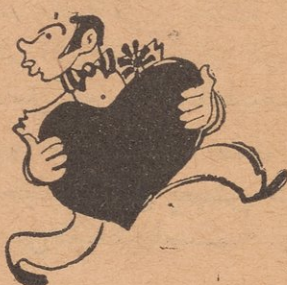
بطء مع البرد القارص لم يترك لى أية قوة • وكنت أشعر
بضلوع الحصان تنبض تحت يدي كالساعة •

وابتدأت أقول : « استمع الى يافروم ! لا أجد معنى لمسيرك
أكثر من ذلك » فقطع قولي قائلا : « ولا أنت ! لقد أخذنا كفايتنا
نحن الاثنين

وفهمت من هذا القول انه يدعوني لقضاء الليل فى مزرعته •
ولم أجبه • واجتزت المدخل الى جانبه ، وتبعته الى الحظيرة حيث
ساعدته فى خلع لجام الحصان المتعب واراحته ، ولما تم لنا ذلك
حمل المصباح الذى كان معلقا بالزاحفة ، وخطا وسط الظلام
ونادانى أن أتبعه

وكنا نرى فوقنا من بعيد ، نورا مربعا يرتعش من خلال
الثلج ، وسرت فى أثر فروم وأنا أتعثر فى اتجاه هذا الضوء ،
وكدت أسقط فوق أحد أكوام الثلج المتجمع أمام الدار • وأخذ
فروم يزيح الثلج عن درج الباب وهو يفتح طريقا وسط الثلج
بحذائه السميكة ثم رفع مصباحه واهتدى الى المزلج وسار امامى
داخل الدار وسرت خلفه فى مرضيق مظلم رأيت فى آخره درجا
كالسلم الخشبى المتحرك يبدو من خلال الظلام والى يميننا رأيت
خطا من النور يبدو منه مكان باب الغرفة التى كانت ترسل
ضوءها فى الليل البهيم ووراء الباب سمعت صوت امرأة تغمغم
مسح فروم قدميه على قطعة القماش الزيتية القديمة ووضع
مصباحه على كرسى مطبخ وهو قطعة الاثاث الوحيدة فى البهو
ثم فتح الباب وقال : « فلندخل » ومانطق بهذه الكلمة حتى سكت
الصوت المغمغم ••

فى تلك الليلة وجدت مفتاح لغز ايتان فروم وبدأت أجمع
شتات قصته ••



كانت القرية ترقد تحت قدمين من الثلج وكانت هناك أكوام متراكمة منه فى الاركان المعرضة الى الرياح . وفى سماء معتمة ، كنت ترى أطراف نجم « ديبير » كأقماع من الجليد . وكان النجم «أوريون» يخرج ألسنة نارية باردة . وبالرغم من غياب القمر كان الجو شفافا ، فبدت واجهات الدور البيضاء رمادية اللون من خلال أشجار البلوط فى بياض الثلوج ، وبدت أكوام الاعشاب فيها بقعا سوداء ، وكانت نوافذ الدور الأرضى فى الكنيسة ترسل سهاماً من الضوء الأصفر تذهب بعيداً عبر التموجات التى لانهاية لها .

أخذ الشاب ايتان فروم يمشى فى خطى سريعة يقطع شارع المهجور ماراً بالمصرف ، ثم بحانوت ميكل ايدى الذى بنى حديثاً بالطوب الأحمر ، ثم بمنزل المحامى فارنوم وقد أطلت أمام مدخله شجرتان سوداوان من الأشجار النرويجية الباسقة ، أمام دار فارنوم حيث ينحنى الطريق الى وادى كوربرى كانت كنيسة تشمخ ببرجها النحيل الأبيض وعمدها الضيقة ، وعندما قارب منها الشاب رأى النوافذ العليا ترسم اقواساً من الظل عند الحائط الجانبى للبناء ولكن من الفتحات الصغرى فى الجانب الذى ينزلق فيه الطريق عميقاً الى طريق كوربرى كان النور ينبعث فى خيوط طويلة فتظهر حفر عميقة فى الطريق المؤدى الى باب الدور تحت الأرض وهناك تحت حظيرة ملاصقة عدد كبير من الزاحفات شدت اليها خيول مكسوة بأغطية سميقة .

كان الليل هادئاً كل الهدوء والهواء نقياً لا رطوبة فيه حتى لا يكاد يشعر المرء بالبرد فلم تبد من فروم أية مبالاة بالجو . وكان لا يفصل بين الأرض البيضاء تحت أقدامه وتلك القبة المعدنية فوق رأسه الا الأثير وقال لنفسه « لكأنى داخل أنبوبة كهربائية سالبة أفرغ منها الهواء » وكان قبل أربع أو خمس سنوات قد قضى سنة فى كلية الفنون العملية بمدينة ووتر وخبير المعامل مع أستاذ للطبيعة كان يميل اليه وكانت الصور التى توحىها تلك التجربة تثب الى ذهنه فى لحظات غير منتظرة فى ظروف حياته التى يعيش فيها منذ ذلك العهد والمختلفة كل الاختلاف عن تلك الدراسة وكانت وفاة أبيه

والظروف السيئة التى حلت به بعدها قد وضعت نهاية سابقة لاوانها لدراسات ايتان. وبالرغم من أنه لم يقطع فى هذه الدراسة شوطا كبيرا تكون له نتيجة عملية فقد أشبعت الدراسة خياله وجعلته يشعر بوجود معان سامية مبهمة خلف الوجه العادى للأشياء .

وكان وهو يسير بين اثلوج تلمع فى ذهنه معان لهذه الاشياء تمتزج مع النشاط الجسدى الناشئ عن سيره المجد ، وفى نهاية القرية وقف أمام المدخل المظلم للكنيسة وهو يتنفس فى سرعة ويتلفت الى الشارع فى ارتفاعه وانحداره وهو خال من الناس وكان المنحنى الى طريق كوربرى تحت اشجار المحامى فارنوم هو المكان المفضل لى هواة الانزلاق فى ستر كفيلد وفى الامسيات الرائعة كان الجانب الذى تقوم فيه الكنيسة يعج الى ساعة متأخرة بصيحات هؤلأ الهواة. ولكن لم تكن هناك زلاقة واحدة فى هذه الليلة تغطى بياض الثلج فى ذلك الممر الطويل وكان سكون منتصف الليل يخيم على القرية وكل حياتها اليقظة تتجمع وراء نوافذ الكنيسة التى تسمع منها أنغام الموسيقى الراقصة مع خطوط النور الاصفر الذى يشع منها .

ودار الشاب حول جانب البناء وقطع المنحدر الى باب اندور الارضى ومشى فى دائرة على الثلج الذى لم تطأه قدم كى يبتعد عن أشعة النور المنبعثة من الداخل ، والى تنم عليه ، واقتررب تدريجيا من الزاوية البعيدة لحائط الدور الارضى ثم تقدم فى حذر ملتحفا بالظلام الى أقرب نافذة ورفع قامته المستقيمة انحيلة ومد عنقه واستطاع أن يلقى نظرة داخل الغرفة

وكان الغرفة وهى تبدو من الظلام البارد الخالص الذى يقف فيه قد غشيها ضباب من الحرارة وكانت الصفائح المعدنية التى تحيط بمصابيح الغاز تعكس ضوءا مبعثرا على الحوائط البيضاء . وكانت الحواجز الحديدية للمدفأة الواقعة فى نهاية الغرفة تبدو وكأنما ينبعث منها لهب بركان وكانت الغرفة غاصة بفتيات وشبان وقد صف الى الحائط المواجه للنافذة صف من كراسى المطبخ أخلاها فى تلك اللحظة النساء اللاتى هن أكبر سنا وقد توقفت الموسيقى عن العزف واسرع الموسيقيان وهما عازف كمنجة وفتاة تعزف على الهارمونيوم فى أيام الاحاد الى

مائدة عشاء أعدت فوق منصة في نهاية الغرفة صفت فوقها صفوف
فطائر اللحم وأطباق المثلجات التي تناولتها أيدي الحاضرين
من قبل ، فيتناولا ما طاب لهما من الطعام . وكان الضيوف على
أهبة الانصراف وابتدا سيلهم يتدفق نحو الممر الذي علق فيه
المعاطف والملافح حين تقدم الى وسط الغرفة فتى خفيف الحركة
ذو شعر اسود غزير وصفق يديه صفقة كان لها أثرها في
الحال فاسرع الموسيقيان الى آلتيهما وانتظر الراقصون وقد
التحف بعضهم بغطائه استعدادا للانصراف في صفين على جانبي
الغرفة وأخذ الشاب يبحث بين الجمهور هنا وهناك الى أن
جذب فتاة وضعت منديلا جذابا أحمر اللون حول رأسها وسار
بها الى نهاية الصف ثم شرع يدور بها دورانا سريعا على
نغمات رقصة فرجينية وثابة

كان قلب فروم يدق دقا متواصلا وهو يحاول أن يلقي نظرة
على الوجه المختفي وراء المنديل الشفاف وضائقه أن
عينا أخرى كانت أسرع من عينه . وكان زعيم هذه الرقصة
الذي يبدو كأن في عروقه دم أرلندا يحسن الرقص . وقد
انتقلت حماسه الى زميلته في انتقالها في سرعة بين الصفين ،
تديرها يد بعد يد في سرعة تتزايد ، وقد انحسر المنديل عن رأسها
ونزل الى كتفيها ورأى فروم في كل دورة شفيتها الضاحكتين
اللاهيتين وسحابة الشعر الاسود حول جبهتها ، كما رأى عينيها
السوداوين كأنهما نقطتان ثابتتان في خطوات متحركة

وأخذ الراقصان يزيدان من سرعتيهما والموسيقيان يجهدان
آلتيهما لكي يتمكنوا من اللحاق بهما كأنهما راكبان في حلبسة
السباق يلهبان جواديهما بالسوط ليبلغا نهايته . ومع ذلك
فقد بدا للشباب المتطلع من النافذة أن الرقصة لن تنتهي .
وكان بين حين وآخر يتنقل بنظرته من وجه الفتاة الى وجه
شريكها الذي بدت في عينيه في حماسة الرقص نظرة الامتلاك الجريء .
وكان دنيس ايدى بن مايكل ايدى البقال الايرلندي الطموح
الذي كان بمزونه وجرأته أول من عرف قرية ستاركفيلد الطرق
العملية « الماهرة » في أعماله واستطاع أن يبني مخزنه
بالحجارة فبرهن على نجاح محاولته . وبدا من الراجح أن
ابنه سيقضى أثره وأنه يستعمل تلك الوسائل عينها في التغلب على
فتيات ستاركفيلد . وكان ايتام فروم يعتبره حتى

تلك اللحظة شابا حقيق الشأن ولكنه بدا له الآن أنه جدير بأن يضرب بالسياط. ومن الغريب أن الفتاة لم تكن منتبهة إلى نظراته الجريئة. وكانت تستطيع أن ترفع وجهها الداهل إلى وجه الراقص وتضع يديها في يده دون أن يظهر عليها أنها تشعر بالاهانة لنظراته ولمسه

كان من عادة فروم أن يذهب سيرا على الأقدام إلى قرية ستار كفيلد ليعود بماتى سيلفر ابنة عمته زوجته في الأمسيات النادرة التي تتاح لها فيها فرصة للهو تجذبها إلى القرية. وكانت الزوجة هي التي أشارت بأن يسمح لها بهذه الفرصة عندما جاءت لتعيش معهما. وكانت ماتى سيلفر من قرية ستامفورد وحين نزلت بدار فروم لتساعد ابنة خالها زينة رؤى من الخير إلا تشعر بفرق كبير بين الحياة التي تركتها والوحدة في المزرعة بستان كفيلد، ولا سيما أنها لا تتناول أجرا ولولا هذا كما حدث فروم نفسه في سخرية لما اهتمت زينة بالتفكير في تسليية الفتاة

وعندما اقترحت زوجته أن يتيحا لماتى تلك المنزهة المسائية شعر في نفسه بضيق إذ يضطر لأن يقطع ميلين إلى القرية ذاهبا ثم عائدا بعد عمله اليومي أشاق في المزرعة. ولكن لم يمض عليه وقت طويل حتى بلغ الدرجة التي صار يتمنى فيها أن تكون كل ليالى ستار كفيلد ليالى لهو ومتعة.

لقد قضت ماتى سيلفر نحو السنة تحت سقف داره وكان يراها في الصباح وفي المساء ولكن لم يكن في هذه اللحظات ما يعادل الاوقات التي يقضيها برقتها حين تكون ذراعها ملتفة حول ذراعه وهي تسرع في خطواتها الخفيفة لتلحق بخطوته الطويلة في طريق عودتهما ليلا إلى المزرعة. ولقد مال إلى الفتاة منذ اليوم الاول الذي ذهب فيه بالزاحفة إلى منبسطات الوادي ليقابلها وابتسمت عند رؤيته وحركت يدها له وهي في القطار ونادت « لا بد أنك ايتان » وهي تقفز من القطار بحقايبها وكان هو يفكر وهو ينظر إلى جسمها الضئيل « انها لا تبدو كبيرة الصلاحية لعمل الدار ولكنها على كل حال ليست من النوع المتذمر » ولم يكن مجيئها إلى الدار وهي قطعة من الحياة الفتية الأملية بمثابة نار أوقدت في موقد خبت تارة واكتنفه البرد، بل ان الفتاة كانت أكثر من مجرد صبية براقية خدومة كما ظننها في بادىء الامر، فقد كانت لها عين ترى

وأذن تسمع . فيستطيع أن يريها أشياء ويخبرها بأشياء
ويتذوق السعادة التي تنشأ عن شعوره بأن لما يقوله هزات بعيدة
وأصداء يوقظها حين يريد

وكان يشعر بحلاوة هذا الاتصال على وجه خاص في أثناء
سيرهما الطويل ليلا عائدين الى المزرعة ، وكان دائما أكثر تأثرا
من الذين حوله واستجابة للجمال الطبيعي . وقد تولد هذا الشعور
من دراساته التي لم يتمها ، وحتى في أسوأ حالات تعاسته كانت
تحدثه الحقول والسماء في اقناع عميق قوى . ويظل هذا الحديث
مكبوتا يثير في نفسه ألما خفيفا يسدل على هذا الجمال ستارا
من الحزن . وكان لا يعرف هل في العالم من يشعر مثل شعوره
أم انه الفريسة الوحيدة لهذه الميزة الحزينة . ثم علم أن نفسا
أخرى تهتز بمس من هذا الشعور العجيب نفسه تعيش
تحت سقف داره ، وتأكل من خبزه ، هي انسانية يستطيع أن
يقول لها: هذا هو الكوكب أوريون الظاهر الى اليمين من النجم
الدبران وهذه المجموعة من النجوم الصغيرة كجماعة من
النحل - هي « البلياد » . . . أو يستطيع أن يقف بهامسحورة
أمام قطعة من صخر الجرانيت تطل من خلال الاعشاب بينما
يقص عليها قصة عصر الجليد وما يليه من عصور مترامية في
أقدم . ولم يكن الاعجاب بمعوماته ممزوجا بدهشة ماتى لما يقول
أقل دواعى سعادته ، فهناك مشاعر أخرى أقل وضوحا ولكنها
أكبر لذة تربطهما برباط من المتعة الصامتة : احمرار
الشمس عند غروبها وراء التلال في الشتاء وجرى السحب على
سفوح التلال وهي مغطاة ببقايا أعواد الذرة الذهبية . أو الزرقة
العميقة لظلال أشجار الهملوك على انثوج التي أضاءتها الشمس
وحين قالت له مرة « ان هذا المنظر يبدو كأنه من صنع مصور »
خيل الى ايتان أن فن التعريف بالمنظر لن يبلغ أكثر من هذا
وأنه عثر أخيرا على الكلمات التي تعبر عما يجيش في أعماق
نفسه

عادت الى مخيلته هذه الذكريات وهو واقف في الظلام خارج
الكنيسة فوجد فيها لنفسه ألما كأنها أمور قد انتهت . وساءل
نفسه وهو يشاهد ماتى تندفع في رقصها من يد الى يد كيف
تصور أنها اهتمت لحديثه التافه فقد بدا له وهو الذى لا يشعر

بانسراح الا في حضورها ، أن هذا المرح ان هو الا دليل صريح على عدم اهتمامها به ، فان الوجه الذي رفعته للراقصين معها هو الوجه نفسه الذي تطالع به كأنه نافذة يدخل منها شعاع شمس الغروب بل لاحظ أيضا يماءتين أو ثلاثا ظن في غمرة زهوه أنها تختص بهما : من ذلك طريقة نفخ رأسها الى الخلف حين تعبر عن انشراحها كأنما تتذوق ضحكتها قبل أن ترسلها ، وعادتها في اسدال أهدابها في بطن حين تسحر بمنظر أو تتأثر بأمر .

شعر بالتعاسة لما رآه وأيقظت التعاسة في نفسه مخاوف نائمة . فان زوجته لم تظهر أية غيرة من ماتى ولكنها في الايام الاخيرة أخذت تبدى تدمرا متزايدا من خدمتها للدار . واتخذت سبيلا معوجا لتوجيه نظره الى عدم كفايتها وكانت زينة دائما على ما يصفها أهل ستار كفيلد «متمرصة» واضطر فروم الى الاعتراف بأنها اذا كانت في صحة سيئة الى الحد الذي تعتقده في نفسها ، فلا بد أن تكون في حاجة الى ساعد أقوى من ذلك الساعد الذي يستند اليه ليلا في خفة ، وهما يسيران الى المزرعة . ولم تكن في ماتى نزعة طبيعية الى تدبير شئون المنزل ، ولم يعالج هو هذا العيب فيها . فهي لا تأخذ هذا العمل مأخذ الجد . وكان من رأى ايتان أنها لو تزوجت من رجل تحبه فلا بد أن تستيقظ هذه الغريزة النائمة فيها ، فتصير فطائرهما وحلواهما موضوع فخر في تلك الجهة ، ولكن الخدمة المنزلية ليست محببة الى نفسها . وكانت في مبدأ الامر غير موفقة في الاعمال المنزلية حتى انه لا يستطيع الا الضحك منها ، ولكنها كانت تشاركه في الضحك وذلك مما زاد في توثق صداقتهما فبذل ما يستطيع من مجهود لمساعدتها في مجهوداتها الفاشلة .

كان يستيقظ في الصباح مشلا ليوقد النار في المطبخ ، ويحمل الخشب اليه منذ الليل . ويهمل الطاحونة في سبيل العمل في مزرعة الدار ليتمكن من مساعدتها في البيت أثناء النهار بل كان يدلف في ليالى السبت الى المطبخ ليغسل أرضه وينظفه بعد أن تاوى المراتان الى غرفتهما وقد فاجأته زينة ذات مرة وهو يخض اللبن ، وابتعدت عنه في صمت مد أن ألقت عليه نظرة من نظراتها العجيبة

وفي الايام الاخيرة بدت عليها امارة أخرى من أمارات الاستياء غير ملموسة ، ولكنها تبعث على القلق . . ففي صباح يوم بارد من أيام الشتاء كان يرتدى ملابسه في الظلام بينما كان ضوء الشمعة يتراقص في الهواء الداخل من خلال نافذة غير محكمة فسمعها تتكلم خلفه وهي في السرير وتردد شكواها الدائمة -

« ان الطبيب لا يرغب في أن أبقي من غير أحد يقوم بخدمتي »
كان يظنها نائمة ففوجيء بصوتها ولو أن من عادتها أن تنطلق في الكلام بعد فترات طويلة من الصمت العميق فاستدار والتفت نحوها وهي لا تكاد تظهر تحت غطائها وقد اتخذ وجهها لونا رماديا فوق غطاء المخدة الناصع البياض وكرر سائلا « لا أحد يقوم بخدمتك ! »
قالت « اذا كنت تقول أنك لا تستطيع أن تؤجر فتاة بعد ذهاب ماتي »

واستدار عنها فروم مرة ثانية وتناول الموسيقى وانحنى ليري صورة خده في المرأة المعتمدة امام حوض الغسيل
وسمع صوت زوجته يقول في نعمة طويلة « أقصد عندما تزوج »
فأجابها وهو يحلق ذقنه بالموسى « انها لن تتركنا مادمت في حاجة اليها »

فأجابت زينة في نعمة تدل على التواضع الاليم « لن أسمح بأن يقال أنى وقفت في طريق فتاة مثل ماتي ، وحلت بينها وبين الزواج من فتى جميل مثل دنيس ايدى »
وحدق ايتان فروم في وجهه بالمرأة ورمى برأسه الى الخلف ليمر بالموسى من الاذن الى الرقبة . وكانت يده ثابتة ولكنه وجد في ذاك الاتجاه عذرا يخلصه من الاجابة في الحال

واستمرت زينة تقول « ولا يريد الطبيب أن أبقي وحيدة بغير أحد وطلب منى ان اكلمك في شأن فتاة سمع بها ويمكن أن تأتى . . . »

ووضع ايتان الموسى ووقف معتدلا وقال في ضحك « دنيس ايدى ؟ اذا كان هذا كل ما يردنى خاطر فالامر لا يحتاج الى الاسراع في اختيار فتاة »

قالت زينة في عناد « ولكنى احب أن أبحثك في هذا الامر »
وكان يرتدى ثيابه في سرعة . فرد عليها قائلا وقد أمسك

بساعته القديمة مقتربا من الشمعة « حسنا ولكن ليس لدى الآن فسحة من الوقت فقد تأخرت »

ويظهر أن زينة قبلت هذا القول على أنه خاتمة الحديث وظلت تراقبه في سكون وهو يضع حمالة السروال على كتفيه ويدخل ذراعيه في السترة ولكنها حين رآته يخطو نحو الباب قالت فجأة في لهجة المتألمة « اظن أنك تتأخر دائما لانك تحلق ذنك الآن كل صباح ! »

واخافته تلك الغمزة أكثر من أية اشارات غامضة اشارت فيها الى دنيس ايدي فالواقع أنه مذ جاءت ماتي سيلفر صار يحلق ذقنه كل يوم ولكنه كان يظن امرأته نائمة حين يترك جانبها في ظلام ليل الشتاء ويظن في غباء أنها لا تلاحظ في مظهره تغيرا . وحدث مرة او مرتين أن أقلقته طريقته زينوبيا في ترك الامور دون أن يبدو عليها أنها تلاحظها . ثم يتبين بعد أسابيع من جملة عابرة انها كانت تراقبه ، وأنها استنتجت ما تريد ، على أنه في الايام الاخيرة لم يكن في ذهنه مجال لهذه المخاوف الغامضة . وبعد أن كانت زينة لديه حقيقة ماثلة أصبحت مجرد خيال فهو يعيش كل حياته في مسمع ماتي سيلفر وبصرها . ولم يكن يتصور أن الامر يكون على غير ذلك، ولكنه الآن وهو واقف خارج الكنيسة ينظر الى ماتي تراقص دنيس ايدي ، هبت في ذهنه عاصفة من الاشارات والتهديدات لم يحفل بها من قبل .



اختبأ فروم خلف الباب الخارجى الكبير حين رأى جموع الراقصين تتدفق من الغرفة الواسعة، وظل يراقب ماتى فى دثاراتها المتباينة بينما يلقي فانوس متحرك بين فترة وأخرى ضوءا على وجوه احتقنت من تأثير الاكل والرقص . وكان أهل القرية الذين يسرون على الاقدام الاوائل فى تسلق المنحدر ليلبغوا اشرارع الاكبر فيها. أماجيرانهم الذين تقع بيوتهم فى المزارع فكانوا أكثر تودة فى الجلوس داخل الزاحفات التى صفت فى الحظيرة

وسمع صوت امرأة من بين الجماعة الملتفين حول الحظيرة تقول « ألا تركبين يا ماتى ؟ » وخفق قلب ايتان خفقانا قويا وكان فى موقف لا يرى منه الخارجين من غرفة الرقص الا بعد أن يتقدموا بضع خطوات من الجانب الخشبى للباب الخارجى ولكنه سمع من خلاله صوتا صافيا يجيب « رباه ! هل أركب فى مثل هذا الليل ؟ »

اذن هى قريبة جدا منه لا يفصلهما الا قطعة سميكة من الخشب وماهى الا لحظة حتى تخرج الى الليل . وتراها عيناه اللتان اعتادتا الظلام كما لو كانت فى وضوح النهار . وطفعت عليه موجة من الخجل فارتد الى زاوية الحائط المظلمة ، ووقف صامتا بدلا من أن يعلنها بوجوده وكان من عجيب علاقاتهما منذ مبدأ الامر أنها وهى الاخف حركة والارق والاقدر تعبيرا قد أمدته بشيء من سماحتها وبسماطتها بدلا من أن تحطمه بالتباين بينهما . ولكنه الآن شعر بتهيب وحياء أشبه بما كان يشعر به أيام تلمذته حينما أراد مغازلة الفتيات فى وسستر فى احدى الرحلات المدرسية

ظل مختفيا فخرجت وحدها وتوقفت على بعد ياردات قليلة منه . وكانت آخر من غادر البهو تقريبا . ووقفت تنظر حولها فى قلق كأنها تتعجب لانه لم يظهر لها . ثم اقترب منها شبخ رجل وكانا فى دثارهما يبدوان كأنهما فى اطار واحد

وقال الشبخ فى نغمة مزاح أثارت كراهية فروم : « هل نسيك السيد صديقك هذه الليلة يا مات ! ما أشد هذا ! لن أخبر الفتيات الاخريات بذلك فلست وضيعا الى هذا الحد .

ولكن تأملى اليس من حسن الحظ أنى أتيت بزاحفة الاب
معى ! »

وسمع فروم صوت الفتاة العذب وهى تقول : « ماذا تفعل
زاحفة أبيك هنالك ! »

قال ايدى وقد أراد أن يضع نعمة عاطفية فى صوته الجرى
« انها تنتظرنى لاركبها وقد جئت بمهره الصغير الارقش ،
اذ شعرت بأنى سأرغب فى نزهة ليلية راكبة »

وكان الفتاة ترددت وراها فروم تشد طرف غطاء رأسها
بين أصابعها فى حيرة . ولوأعطى ملك الانديا لما أبدى لها
إشارة فى هذه اللحظة . وقد بدا له أن حياته كلها رهينة بما
يصدر عنها بعد ذلك

وصاح دنيس بها وهو يسرع نحو الحظيرة « انتظرى دقيقة
حتى اطلق المهر من قيده ! »

ووقفت جامدة تراقب الفتى فى انتظار هادىء كان عذابا
للمراقب المختفى . ولاحظ فروم أنها لم تعد تدير رأسها من
جانب الى جانب كأنها ترتقب شخصا آخر فى الميل بل سمحت
لدنيس ايدى بأن يقود المهر ثم يركب الزاحفة ويرفع جلد الدب
كى يخلى لها مكانا الى جانبه . ثم حدث أن استدارت منفلة
الى المنحدر الصاعد من أمام باب الكنيسة

ثم التفتت وصاحت قائلة « سعدت مساء أرجو أن تكون
نزهتك جميلة »

وضحك دنيس واستحث المهر بسوطه حتى أصبح أمام
شبحها المتحرك

وصاح وقد انحنى خارج الزاحفة ماذا يده إليها « هيا !
ادخلى سريعا ! ان هذا المنحدر صعب والانزلاق فيه خطير ! »
فأجابته ضاحكة « سعدت مساء ! سوف لا أركب ! »

وكانا فى تلك الاثناء قد ابتعدا عن مجال سمع فروم فهو لا يستطيع
الا أن يتبع شبحهما وهما يتحركان الى أعلى المنحدر وقد رأى
دنيس يقفز من الزاحفة بعد لحظة ويذهب نحو الفتاة ، وقد
لف اللجام حول ذراع وحاول أن يمسك ذراعها بذراعه الاخرى .
لكنها تخلصت منه فى خفة ، وعاد قلب فروم الى مكانه من
الاطمئنان بعد أن كان قد أشرف على حافة سوداء . وبعد لحظة

سمع فروم رنين أجراس الزاحفات السائرة . ورأى شبعا
يتقدم وحده سائرا في المتسع الملىء بالثلج أمام الكنيسة .
وفي ظلال أشجار فارنوم تمكن من اللحاق بها فاستدارت إليه
ونظت بكلمة استغراب

فسألها في سرور على استحياء قائلا: « هل ظننت أنى نسيتهك
يا مات ؟ »

فقالت في جد : « ظننت من الممكن أنك لا تستطيع العودة
ن أجلى ! »

فقال : « لا أستطيع! أتظن من الممكن أن يحول بينى وبين
ذلك حائل ؟ »

قالت « انى أعلم أن زينة كانت تشعر باشتداد المرض عليها! »

قال : « انها الآن فى فراشها لا أخاف »

وكان هنالك سؤال يدور فى من وقت طويل ! « ثم توقف فترة
على المشى وحدك حتى المنزل ؟ » خلده ولكنه قال : « هل كنت عازمة
فضحكك وأجابت قائلة : « انى لا أخاف »

وكانا واقفين معا فى ظلال الاشجار وامامهما فضاء واسع
الارضاء رمادى فى ضوء النجوم فسألها :

« اذا كنت ظننت انى لم احضر فلماذا لم تركبى فى العودة مع
دنيس ايدى ؟ »

فسألته هى : « اين كنت انت وكيف عرفت ؟ انى لم ارك مطلقا ؟ »

وانطلقت دهشتها وضحكته معا كانطلاق نهير الماء من الثلج
تحت وطأة شمس الربيع ، وشعر ايتان بأنه اتى أمرا يدل على
حذق ومهارة ولكى يطيل من هذا التأثير ، ظل يبحث فى
ذهنه عن عبارة براقة مناسبة فلم يسعفه غير قوله « هيا بنا ! »

وشبك ذراعها فى ذراعه كما فعل ايدى وخيل اليه انها ضمت
الذراع الى جانبها فى رفق ولكن لم يتحرك احد منهما . وكان
الظلام مخيما بين الاشجار بحيث لا يكاد يتبين شكل رأسها الى
جانب كتفه فود لو أنه مس غطاء رأسها بخده ، وود لو أنه وقف
طول الليل معها فى هذا الظلام . . وتحركت خطوة أو
خطوتين ثم وقفت قبل أن تخطر الى طريق كوربرى المنحدر
الذى غطته الثلوج وترك فيه عدد لا يحصى من الزاحفات آثاره
فصار كالمرأة التى شوهاها النازلون فى خان قديم

قالت : « لابد أن عددا كبيرا من الناس كان ينزلق قبل أن يغيب القمر »

فسألها : « هل تحبين أن تأتي للانزلاق معهم فى إحدى الليالى ؟ »

فصاحت : « هل نأتى معا ! اذن يكون ليلا ساحرا .. ! »
فقال : « سنأتى غدا اذا ظهر القمر .. »

وتلكأت وزادت التصاقا به . . . « لقد كاد ند هائل وروث فارنوم يصطدمان بشجرة البلوط الكبيرة فى أسفل المنحدر حتى ظننا جميعا انهما لا محالة مقتولان .. أ »
وارتعشت فسرت رعشتها الى ذراعه وتساءلت : « ألا يكون هذا الامر فظيلا اذا وقع وهما فى مثل هذه السعادة .. ؟ »
فقال بلهجة الازدراء : « ان ند ليس ماهرا فى توجيه الانزلاق .. ! فلتشقى بأنى انزلوبك فى أمان .. ! »

وشعر بأنه يتباهى كما فعل دنيس ايدى غير أن شعوره بالسعادة أطاح برزائنه كما أن النغمة التى تكلمت بها عن الخطيبين حين قالت : « وهما فى مثل هذه السعادة » بدت له كأنها تفكر فى نفسها وفيه ..

وعادت الى الجهر بالقول : « ان هذه الشجرة خطرة مع ذلك ويجب قطعها » .

فسألها : « هل تخشينها حين تكونين معى .. ؟ »
فردت عليه بما يكاد يكون نوعا من عدم الاهتمام : « لقد أخبرتك أنى لست من النوع الذى يخاف من شيء » . وأخذت تسير فجأة فى خطى سريعة ..

كانت هذه التغيرات فى احوالها موضع لذة عند ايان فروم وموضع يأس فليس من السهل التنبؤ بتنقلات عقلها ، فهى شبيهة بتنقل العصفور على الاغصان ولم يكن من حقها ان يظهر عواطفه سافرة نحوها مما يحملها على الاعراب عن عراطفها فكان ذلك داعيا لان يعلق همية خيالية على كل تغيير فى نظرتها أو فى نبرة صوتها . ففي لحظة يظن انها فهمته فيخشى ، وفى لحظة أخرى يعتقد أنها لم يفهمه فييأس . وفى تلك الليلة تجمعت لديه الشكوك فكان الميزان يميل تحت ضغطها الى اليأس . وكان عدم اهتمامها أشد وقعا بعد موجة الفرح التى غمرته حين رفعت

اصطحاب دنيس ايدى . لذلك صعد تلك المرة الى جانبها فى صمت حتى وصلا الى الطريق المؤدى للطاحونة . وحينئذ ألحت عليه الرغبة فى أن يجد ما يطمئنه فلم يستطع مقاومة تلك الرغبة فتكلم فى تلغيم قائلا : « لقد كنت تجدينى فى الوقت الملائم لو انك لم تعودى فترقصى رقصتك الاخيرة مع دنيس » . ولم يكن لينطق بهذا الاسم دون أن يشعر بانقباض فى أعصاب حلقه .

فتساءلت : « كيف تنتظر يا ايتان أن أعلم بوجودك . . ؟ » وبدلا من أن يجيبها على سؤالها قال فى صوت مرتعش : « أظن ما يقوله الناس حقا »

فوقفت فجأة وشعر فى الظلام ان وجهها ارتفع للنظر فى وجهه ، وسألت « وماذا يقول الناس » . .

فقال فى تردد وهو يتابع افكاره : « انه لمن الطبيعى أن تفكرى فى تركنا »

فردت عليه فى سخرية : « أهذا ما يقوله الناس . . ؟ » ثم انخفض صوتها العذب المرتفع وقالت فى تمتمة : « انك نقصت أن زينه لم تعد ترانى صالحة ! »

وكانت ذراعاها قد افترقتا ، فوقفا بلا حراك يحاول كل منهما أن يتبين وجه الآخر وتابعت حديثها بينما كان هو يحاول عبثا أن يجد ما يقوله : « انى أعلم أنى لست على مهارة كافية وهناك أشياء كثيرة تقوم بها الخادمة ولا أحسنها وذراعاى ضعيفتان . ولو أنها أخبرتني بما يجب أن أفعل لحارلت . . ولكنك تعلم أنها قلما تتكلم ، ويبدو لى أحيانا أنها غير راضية دون أن أتبين السبب » . . واستدارت نحوه وصاحت به فى لحظة فجائية من الغضب : « كان عليك أن تخبرنى الا اذا كنت أنت ايضا راغبا فى رحيلى ! »

راغب فى رحيلها . . ! كانت هذه الصراحة بلسما لجرحه الدامى فكان أبواب السماء فتحت وامطرته بالغبطة وحاول مرة اخرى ان يجد كلمة تعبر عن شعوره . . ولم يجد مرة أخرى الا أن يشبك ذراعاها فى ذراعه ويقول : « هيا بنا ! »

وسار فى صمت يقطع الطريق المظلل بأشجار الهملوك حيث كانت طاحونة قطع الأخشاب التى يملكها تبرز فى ظلمة الليل

ثم خرجا مرة أخرى الى ضوء نسبي بين المزارع وظهرت أمامهما على الجانب الآخر مجموعة الأشجار التي تحف بالمزارع المنبسطة رمادية اللون في وحدتها وامتدادها تحت النجوم ، كان طريقهما يؤدي بهما أحيانا الى ظل أشجار متكاثفة ، وأحيانا تحت الظلال الخفيفة لمجموعة من الأشجار التي عريت عن أوراقها . ويبدو هنا وهناك بين الحقول منزل ريفي موحر وصامت كأنه مقبرة من المقابر . وكان سكون الليل شاملا حتى ليسمعان تكسر الثلوج تحت أقدامهما ، وكان لسقوط غصن ناء بحمولته من الثلج في الغاب صدى يشبه طلقات الغدازة . وذات مرة نبج ثعلب فذعرت ماتي واقتربت من ايتان وزادت سرعة خطواتها ..

وأخيرا شاهدا مجموعة الأشجار الباسقة النحيلة القريبه من مدخل دار ايتان فكان شعوره بقرب انتهاء السير مما أعاد اليه الالفاظ ..

فسألها : اذن لا تريدين فراقنا يا ماتي .. ؟ !
واضطر الى احناء رأسه ليستمع تمتتها الخافتة وهي تقول « وأين اذهب لو أردت ذلك ؟ »

وكان لهذا الجواب وخز في نفسه . ولكن النغمة التي قيل بها ملأت نفسه سرورا . فنسى ما كان يريد ان يقول وضغط عليها ضغطا شديدا حتى احس بحرارة جسمها تسري الى عروقه وسألها : « هل تبكين يا ماتي .. ؟ »

فقات في صوت مرعش : « لا .. ! أوكد اني لا أبكي .. ! »
ولجا باب المزرعة ومرا بالسور القصير الذي كان يحيط بمقابر أسرة فروم وبدأت أحجارها معوجة ذات زوايا عجيبة بين الثلوج ، ونظر ايتان الى تلك القبور في تطلع اذ ظلت تلك الصخرة الهائلة منذ سنوات تسخر من اضطرابه زرغنه في التغير والحركة . وكأنه كتب على كل حجر من هذه الاحجار : « أننا لم تتمكن من الرحيل ، فكيف تريد أنت ذلك ؟ » وكان كلما دخل أو خرج من الباب الخارجى للدار يمر في ذهنه خاطر يرتعش له ، وهو « سأظل مقيما هنا الى أن اضم اليهم » . اما الآن فقد تلاشت كل رغبة لديه في التغير . وأمدته منظر هذه الارض المسورة باحساس عميق هو الرغبة في الاستمرار والثبات .

وهمس قائلاً لها : « اظن أننا لن ندعك تذهبين يا مات ! »
وكان الموتى الذين كان من بينهم عشاق سيّامرون معه
على بقائها ، وفكر وهو يمر الى جانب هذه القبور : « سنظل
في هذه الحياة هنا معاً وسترقد يوماً ما الى جانبي هناك »
وتملكته تلك الفكرة وهو يصعد التل المؤدى الى الدار . ولم
يشعر من قبل بمثل ما شعر به الآن من سعادة اذ أطلق لنفسه
العنان لكي تجرى في مثل هذه الاحلام . وفي منتصف الطريق
الصاعد الى البيت تعثرت ماتى في شيء لم تنتبه اليه فجذب
كمه كي تثبت من قدميها . وكانت موجة الحرارة التي سرت
منها اليه كأنها امتداد الاحلام ، ولأول مرة أحاطها بذراعه فلم
تمانع وسارا وكأنهما يسيران على ضفة نهر في الصيف .

كان من عادة زينه ان تأوى الى فراشها بمجرد تناولها
طعام العشاء ، فتظلم نوافذ المنزل التي لا تغطيها الاخشاب
وكانت أغصان جافة من نبات الخيار تتدلى على باب الدار .
وكانها القماش الشفاف الاسود الذي يعلق على باب الدور حين
تحدث فيها وفاة . . ومر بذهن ايتان خاطر سريع . . ان هذه
كانتشارة الحداد على زينة ، وارتسمت أمام عينيه صورة
زوجته مستغرقة في النوم بفراشها وقد فغرت فاحا قليلاً ،
ووضعت اسنانها الصاعدة وقدح الى جانب الفراش . .

ودارا حول الدار الى خلفها مخترقين أحراش التوت المستقيمة
وكان من عادة زينه حين يعودان من القرية في وقت متأخر ان
تضع مفتاح المطبخ تحت المسحاة أمام بابه . ووقف ايتان
أمام الباب ورأسه لا يزال مليئاً بالاحلام وذراعه ملتفة حول
ماتى وابتدأ يقول : « ماتى ! » وكان لا يعلم ماذا يريد أن يقول
وتخلصت ماتى من ذراعه في صمت فانحنى يبحث عن المفتاح
ولكنه عاد فانتصب قائماً ، وقال في دهشة : « انه ليس في
مكانه » . .

وأخذ كل منهما يحرق في صاحبه بقدر ما يسمح الظلام
الجاثم فان هذا الامر لم يحدث قط من قبل .

وقالت ماتى في همسة مرتعشة : « من المحتمل أن تكون
قد نسيت » . . ولكن كلا منهما كان يعلم أن ليس من شأن زينه
أن تنسى . . !

وعادت ماتى تقول بعد صمت أطالا فيه السمع : « لربما
انزلق الى الثلج » ..

فقال فى النعمة ذاتها : « أذن يكون احد الناس قد دفع به
بعيدا » ، وخطر له خاطر عجيب آخر : « ماذا يكون لو ان جماعة
من الاشرار انسلوا الى الدار ؟ وماذا يكون لو أنهم .. »

وعاد يتصنت وقد خيل اليه أنه يسمع صوتا بعيدا فى الدار
ثم بحث عن عود من الثقاب فى جيبه وأشعله .. ثم
ركع وهو يبحث على ضوءه يير الثلج المتجمع عند الباب ..

وكان لا يزال راكعا حين رأت عيناه وهو فى مستوى الحافة
السفلى للباب بصيص نور خاف من أسفله ، فمنذا الذى يحرك
فى هذه الدار الساكنة .. ؟ لقد سمع خطوة على السلم وعادت
اليه فكرة الاشرار .. ثم فتح الباب ورأى زوجته ..

ظهر شبحتها طويلا عريضا فى ظلام المطبخ وهى تمسك بمخدة
من الريش تضعها على صدرها بيد ، وباليده الاخرى تمسك
مصباحا ، وكان الضوء فى مستوى ذقنها فظهر نحرها المجعد
وبرزت عظام اليد التى تقض على المخدة وزاد ضوء المصباح
فى بروز عظام وجهها تحس مشايك الشعر . وكان ايتان
لا يزال تحت تأثير حلمه الجميز فى تلك الساعة التى أمضاها مع
ماتى فكان لهذا المنظر امامه وقع ثابت كأنه نهاية الحلم قبل
اليقظة ، وشعر كأنه لم يعرف من قبل منظر زوجته أبدا ..

وتنحت لهما عن الطريق دور ، أن تتكلم فنفتت ماتى ونفذ
ايتان الى المطبخ ، وكان فى برودة القبو الرطب بعد البرد الجاف
فى الليل .

وقال ايتان محاولا المزاح وهو يزيل الثلج عن حدائه : « لقد
سئيتنا يا زينه »

قالت : « لا .. ! لقد احرك على المرض ، فلم أستطع اليوم »
وتقدمت ماتى ورفعت عن نفسها دثارها وكانت شعثا
وخداها بلون دثار الرأس القاتم وقالت : « انى لأسفة على ذلك
فهل أستطيع يا زينه أن أفعل شيئا يخفف آلامك .. ؟ »

وأشاحت زينة بوجهها عنها وهى تقول : « لا .. ! لا شيء »
ثم قالت لزوجها : « كان يجب أن تنفض هذا الثلج فى الخارج »

وسارت أمامهما خارجة من المظهى وتمهلت في البهو رافعة
المصباح بطول ذراعها كأنها تريد إضاءة السلم لهما ..

وتمهل ايتان فترة وقد زعم أنه يبحث عن المسمار الذى
يعلق عليه معطفه وقبعته .. وكان بابا غرفتى النوم متقابلين
في أعلى السلم ، وقد كره في هذه الليلة بنوع خاص ان تراه
ماتى وهو يتبع زينه الى غرفتاهما ..

قال وهو يستدير ليعود الى المظهى : « أظن أنى لن اجد
الا بعد لحظة .. ! »

وتوقفت زينه فجأة ، ونظرت اليه قائلة : « لا ادرى ماذا
تريد أن تفعل في المظهى .. ؟ »

وظلت تحديق فيه ركان ضوء المصباح السافر يظهر بوضوح
قاس تجاعيد وجهها في نهجته

وقالت : « في هذا الوقت من الليل ستموت بردا فقد انطفأت
النار من زمن بعيد » .

فلم يجبها وتحرك عائدا الى المظهى . ووقع نظره على ماتى
فخيل اليه أنه يبين هداها نظرة تحذير عابرة ثم خفضت
نظرتها وبلغت الاهذاب خديها المتوردين ، وأخذت تصعد السلم
قبل زينه .

وحينئذ أبدى ايتان رضوخه قائلا : « حقا ان الجو شديد
الرطوبة هنا » وعاد يصعد السلم خافض الرأس وراء زوجته
وتبعها الى غرفة النوم .



كان على ايتان أن يحتطب في الجهة السفلى لغابة الاخشاب، فخرج مبكراً في الصباح .

وكان الصباح في ذلك الشتاء صاحيا كالبلور . وقد بدأ وهج الشمس في السماء الصافية بينما كانت الظلال في حدود الغابة زرقاء مظلمة ، وترى فيما وراء الحقول البيضاء الالامعة بقعا من الغابات البعيدة تبدو كالداخان .

ويكون ايتان اصفى ما يكون ذهنا وتفكيراً في هدوء الصباح اباكر حين تهتز أعصابه في حركة عمله المألوف . . وتمتلئ رؤياه بجركات كبيرة من هواء الجبل وقد رأينا باب الغرفة يقفل في الليلة السابقة عليه وزوجته . ولكنهما لم يتبادلا كلمة بعد ذلك فقد صبت عدة نقط من زجاجة دواء كانت موضوعة فوق كرسي الى جانب سريرها ، وابتلعت الدواء ولقت رأسها قطعة من الصوف الاصفر ، ورقدت ، وأشاحت بوجهها الى الجهة الاخرى ، وخلع ايتان ملابسه في سرعة وأطفأ النور كي لا يراها حين يأخذ مكانه الى جانبها . وكان في مرقدته يسمع ماتى تتحرك في غرفتها وترسل شمعها ضوءاً خافتاً يصل الى السلم ويرسم خطاً من النور لا يكاد يستبين تحت باب غرفته وظل مثبتاً عينيه في هذا النور الى ان اختفى وساد الظلام ، ولم يعد يسمع صوتاً غير تنفس زينه الثقيل بتأثير الربو . وشعر ايتان في اضطراب أن هنالك أشياء كثيرة يجب أن يفكر فيها ولكن عروقه النافرة لم تنبض بغير شعور واحد هو حرارة كتف ماتى وهى ملتصقة بكتفه فلماذا لم يقبلها وهو ممسك بها عندئذ . . ؟ لم يكن ليسأل هذا السؤال قبل ساعات قلائل ، بل لم يكن يجروء على التفكير في تقبيلها قبل دقائق قليلة ، وهما واقفان في وحدتهما خارج الباب ، ولكنه منذ رأى شفيتها في ضوء صباح زوجته شعر بأن هاتين الشفتين خلقتا له . .

والآن في جو الصباح الالامع لا يزال وجهها يلزمه . . وهى جزء من حمرة الشمس وبريق الثلج الساطع . وما اكبر تغير الفتاة منذ مجيئها الى ستار كفيلد : لقد تذكر كيف كانت

انسانا لا لون له حين رآها في أول يوم عندما قابلها في المحطة
وكيف ظلت ترتعش بردا في الشتاء الاول حين كانت عواصف
الشمال نهز ألواح السقف الخشبي . . وتدفق الثلوج دقا . . في
انصبابها على النوافذ غير المحكمة

كان يخشى أن تكره هذه الحياة الصعبة بين الرد والوحدة
ولكن لم تصدر عنها علامة واحدة على عدم الرضا . وكان
من رأى زينه أن ماتى لابد أن تقبل قرية ستار كفيلد على
علاتها فليس لها مأوى آخر . ولكن ايتان لم يقر هذا الرأي
على أنه حقيقة نهائية فان زينة لمى الاقل لم تطبق هذا المدافىما
يتعلق بنفسها . .

ولقد شعر بالشفقة على الفتاة لان المصائب ربطتها اليهما
نوعاما . فان ماتى سيلفر كانت ابنة لاحد ابناء عمه زنوبيا فروم
وكان قد أثار في أهله مزيجا من الحسد والاعجاب ، لانه نزل من
تلال كولكتيكوت وتزوج بفتاة من اهل بلدة ستامفورد ثم ورث
عمل ابيها ، وهو صاحب - انوت بقالة وادوية ملء ، على أن سينف
أباها ، وقد كان رجلا بعيد المطامع ، توفي لسوء الحظ قبل
أن تتاح له الفرصة ليثبت عميدته في أن الغاية تبرر الوسيلة ،
وتبين من سجلات حسابه ما هي هذه الوسيلة . وكان من
حسن حظ امراته وابنته ان هذه السجلات لم تفحص الا بعد
جنازته الحافلة ، وماتت امرأته وتركت ماتى وحيدة ، وهي في
العشرين من عمرها ، لتسوق طريقها في الحياة بخمسين دولارا
هي ثمن بيع آلة البيانو . وكانت تجاربها في الحياة متنوعة الا أنها
كانت كاذبة ، فهي تستطيع تزيين قبعة وعمل نوع من الحلوى
العسلية . وتستطيع أن تنشيد الانشودة القائلة « لن تفرح
أجراس الموتى في هذا الليل » كما تستطيع ان تغنى انشودة
« الوتر المفقود » وانشيد من « كارمن » ، ولكنها حين أرادت أن
تنتقل بميدان نشاطها الى مجال الكتابة على الآلة الكاتبة وامساك
الدفاتر لم تحتمل صحتها هذا العناء . ولم يكن عملها وهي
على قدميها مدة ستة أشهر مما يساعدها على استرداد صحتها
وكان أقرب اقربائها قد اقنعوا بأن يضعوا ما جمعه من مال
بين يدي أبيها . . واذا كانوا بعد موته قد قاموا بالتردد واجبههم
المسيحي ، وقابلوا الشر بالخير فقدموا للفتاة كل ما قدروا عليه

من نصائح ، الا أنه لم يكن ينتظر منهم ، والحالة هذه ان يقرنوا هذا النصح بالمساعدة المادية . فلما أشار الطبيب على زنبوبيا بأن تبحث عن مساعده في الاعمال المنزلية رأى القوم ان الفرصة سانحة كي يحصلوا على شيء من التعويض من ماتى . . وكانت زنبوبيا تشك في مقدرة الفتاة على العمل . ولكن غريها الفكرة بأنها ستستطيع ان تكون حرة في تأنيب الفتاة على أخطائها ، دون أن تكون معرضة لفقدانها وهكذا جاءت ماتى الى ستر كفيلد .

وكان التأنيب عند زنبوبيا من النوع الصامت ولكنه يسر لهذا السبب أقل ايلاما ، وكان ايتان في الاشهر الاولى مورما بين الرغبة في أن يرى ماتى تتحدى زوجته وبين الخوف النتيجة . . ثم صار الموقف أقل توترا فان الهواء الطلق وساعات الصيف الطويلة في الفضاء أعادت الى ماتى الحياة والمرونة وصارت زينه أقل مراقبة لتقصير الفتاة إذ زادت أمامها فسحة الوقت الذى تقضيه في معالجة امراضها المعقدة ، فخيل الى ايتان ، وهو يعمل جاهدا ، ويكاد ينوء بعبء مزرعته المجربة ، وطاحوة نشر الاخشاب التى لا تربح ، ان السلام مخيم في الدار .

ولم يظهر في الواقع الى ذلك الوقت أى دليل ملموس يخلف ظنه ، ولكن منذ الليلة السابقة خيم على الافق جو غامض من الخوف نشأ عن اصرار زينه على الصمت . . ونظرة التحذير الفجائية من ماتى ، وعن ذكريات عابرة لا يكاد المرء يشعر بها ، وكأنها تلك النذر التى تنبئه في صباح بعض الايام الصافية أن الليل لا يأتى حتى ينهمر المطر .

كان خوفه شديدا ، وأراد أن يرجى الوصول الى الحقيقة - كشأن بنى الانسان - فظن منهما في قطع الاخشاب الى الظهيرة . ولما كانت هذه الاخشاب قد أعدت للمقاول اندرو هایل فقد كان من أبسط الامور أن يرسل يوتام باول الرجل الاجير الى مزرعته ماشيا وينزل هو نفسه بالمركبة الى القرية حاملا الاخشاب معه ، وكان قد تسلق فوق كتل الاخشاب واتخذ له مقعدا بالقرب من جواده الرماديين حين ارتسمت امامه بين عنقيهما نظرة التحذير التى رمقته بها ماتى في الليلة السابقة .

وجاءه خاطر غامض بأنه يفضل أن يكون بالدار لو حدثت
متاعب فأمر يوتام أمرا غير منتظر بأن يحل الجوادين من المركبة
ويسير بهما الى حظيرتهما ..

وعادا في بطن يسيران بالجوادين بين الحقول وحبس دحل
الرجلان الى المطهى كانت ماتى تحمل القهوة من الموقد وكانت
زينه جالسة الى المائدة ، وبوغت زوجها برؤيتها فقد كانت
مرتدية خير ثيابها ، وهو ثوب من صوف المارتىو الاسمر بدلا
من ثوب البيت المصنوع من الشيت ، وبدلا من الشال الذى
تضعه فوق كتفها . ووضع فوق شعرها المتموح بفعل
الدبابيس الخاصة ، قبعة عالية جامدة يذكر ايتان انه انفق في
شراؤها من محل الازياء بتسبريدج خمسة دولارات . وكان الى
جانبها على الارض حقيبتها القديمة وصندوق يدوى صغير لف
في جرائد .

فصاح : « الى أين يازينه ؟ »

اجابت في نغمة واقعية وكأنها تعلن انها ذاهبة الى غرفة
خزن المأكولات ، أو صاعدة الى سطح الدار للاشراف على
الاغطية المنشورة : « لقد اشتدت بى الآلام ، وسأذهب الى
بتسبريدج لامضى الليلة عند خالتي مارتا بيرز وأستشير الطبيب
الجديد .. ! »

لم تكن تلك القرارات الفجائية بجديدة عليه في حياته مع
زينه بالرغم من طول ملازمتها للدار .. فقد حدث قبل ذلك
مرتين أو ثلاثا أن حملت حقيبتها فجأة وسافرت الى بتسبريدج
أو سبرنجفيلد لاستشارة طبيب جديد ، وكان زوجها بخشى
مثل هذه الرحلات لما يتحملها في سبيلها من نفقات ، وكانت زينه
تعود منها وفي جعبتها نوية غالية الثمن ، وقد رسخت يارنها
الاخيرة لسبرنجفيلد في ذاكرته اذ انها عادت بعد أن دفعت عشرين
دولارا ثمنا لبطارية كهربائية لم تعرف مطلقا كيف تستعملها .
على أن شعور الارتياح في المرة الحاضرة كان طاغيا على المشاعر
الاخرى ولم تنتبه الشكوك في صدق قول زينه وانها في الليلة
السابقة لم تغض جفניה بسبب آلامها . وأن قرارها
الفجائى بزيارة الطبيب أمر طبعى لانها كعادتها لانهتم لغير صحتها .

وكانها كانت تنتظر مراجعتها في السفن فعادت الى القول
« اذ كنت لاتجد فراغا من قطيع الاخشاب ، فأظنك تستطيع أن
تسمح لبوتام بأن يسير في الزاحفة والحواد الاسمر كي
أركب القطار من المنبسطات » .

ولم يكن زوجها يستمع لم تقول وكانت المركبات السيارة
بين ستاركفيلد وبتسبريدج تنقطع عن السير في الشتاء ، وتقف
القطارات عند منبسطات كهري ، وهي قطارات بطيئة وقليلة .
وتبين لايتان بتقدير سريع أن زينه لن تعود الى المزرعة ، قبل
مساء اليوم التالي . . .

وعادت زينه تقول ، وكان صمته ينطوى على الرفض .
وكانت الكلمات تتدفق منها دائما عندما تكون على أهبة الرحيل :
« لم أكن أظن أنك تعترض على أن يذهب بوتام بول في المركبة
أن كل ما أعرفه هو أنني لا أستطيع الصبر على ما أنا فيه
أكثر من ذلك فان الآلام قد وصلت الآن الى ركبتي ، ولولا
هذا لمشييت حتى ستاركفيلد على الاقدام بدلا من أرهاقك .
ثم أطلب من ميكائيل ابدى أن ينقلني في مركبته الى
المنبسطات حين يرسلها لتأتي له ببضاعته وحينئذ أنتظر القطار
ساعتين في المحطة . ولكني أفضل ذلك على أن تقول . . »

فتنبه ايتان لنفسه بحيث استطاع أن يجيب « ان وهام
سيذهب بك بلا ريب » وقد شعر فجأة أنه ينعم النظر في ماتي
بينما زينه تحدثه ، وبذل جهدا كي يوجه نظره الى زوجته ،
وقد جلست أمام النافذة وزاد النور الباهت المنبعث من جموع
الثليج ، في تقلص وجهها واصفراره ، وأظهر بوضوح تلك التعاميد
الثلاثة المتوازية بين الاذن والخد ورسم خطوطا أخرى من الانف
النحيل الى جوانب الفم . ولم تكن زينه تكبر زوجها بأكثر من
سبع سنوات ، وكان ايتان في الثامنة والعشرين من عمره ومع
ذلك بدت عليها علائم الكهولة .

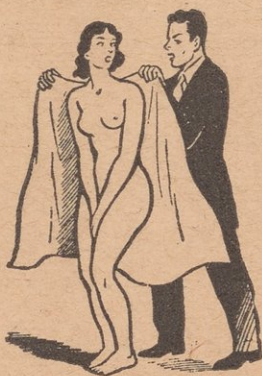
وحاول ايتان جاهدا أن يقو شينا مناسبا ، ولكن عقله أبى
أن يفكر الا في شيء واحد : هي أن زينه ستغيب ليلة لأول مرة
منذ جاءت ماتي لتعيش بينهما . وقد سأل نفسه هل نفكر الفناء
في هذا الامر أيضا ؟ . .

وكان يعلم أن زينه تسائل نفسها : لم لم يعرض أخذها
بالركبة الى المنبسطات ، ويرك يوهام باول ليقوم بنقل الاخشاب
الى ستاركفيلد ؟ ولم يهتد في بادىء الامر الى حجة يتعلل بها
للتخلص من هذا الواجب ثم قال : « كنت أود أن اذهب بك
بنفسى لو لم أكن مضطرا لجمع ثمن الاخشاب »

وما نطق بهذه الكلمات حتى ندم عليها - لا لمجرد أنه غير
صادق فيها إذ لم يكن من المنتظر أن يدفع هائل الثمن في الحال
بل لانه عرف بالتجربة انه ليس من الحكمة ان تظن زينه
ان سيكون لديه أموال قبل سفرها في احدى هذه الرحلات
العلاجية . على أنه في تلك اللحظة لم يك يرغب في شئ مما
رغبته في تجنب الركوب معها مدة طويلة خلف الجواد الهرم
الذى لا يقوى على غير المشى

ولم تجب زينه وكأنها لم تسمع ما قاله ، وكانت قد نحت
صفحة طعامها جانباً واخذت تقيس جرعة دواء من زجاجة
كبيرة على مقربة منها

ثم قالت : « انى لم استفد من هذا الدواء أية فائدة ومع
ذلك يجب أن اشرب بقية الزجاجة » ثم أزاحت الزجاجة الفارغة
ناحية ما تى وقالت « ان هذه الزجاجة تصلح للمخللات لذا
امكنك ازالة طعم الدواء منها »



ماسارت الزوجة في طريق رحلتها حتى تناول ايتان مسترته وقبعته من الشماعة وكانت ماتي تغسل الاطباق وهي ترنم بأحدى الالحان الراقصة التي سمعتها في الليلة السابقة . فقال لها : « ها نحن بعد وقت طويل ياماتي ! » فأجابت في سرور : « بعد وقت طويل يا ايتان ! » وكان هذا كل ما قاله

كان الجو دافئا براقا في المظهي . . وخيوط الشمس تخسرق النافذة الجنوبية الى الفتاة ، والى الهرة النائمة على الكرسي . . والى أزهار الجيرانيوم التي نقلت من مدخل الباب حيث زرعها ايتان في الصيف لينشئ حديقة لماتي . ولكنه كان أشد رغبة في تقطيع الاشجار والعودة الى المزرعة قبل الليل

وكان على طول الطريق في ذهابه يفكر في ماتي . وكان المظهي مكانا حقيرا غير منظم ولا لامع . لا كما عرفه في طفولته حين كانت ترعاه أمه ، ولكن من المدهش أنه صار مكانا ترتاح اليه النفس لمجرد غياب زينه عنه . ولأول مرة ينفرد الاثنان في داخل الدار ويجلس كل منهما على جانب من جانبي الموقد كأنهما زوجان . هو لا يغطي قدميه الا بالجرار ويدخن غليونيه ، وهي تضحك وتحدث في فكاهتها المعهودة التي كانت لها عنده طلاوة وكأنه لم يسمعها من قبل

لقد طابت نفسه بحلاوة تلك الصورة واطمأن اذ تبين ان مخاوفه مما قد تحدثه زينه من « متاعب » ليس لها اساس فأخذ ، وهو الذي يلزم الصمت عادة يصفر ويفنى بصوت عال وهو يسوق زاحفته قاطع الحقول المجللة بالثلج . ولقد بقيت فيه شرارة نائمة من الميل الى معايشة الناس لم تقلها فصول الشتاء الطويلة في ستار كفيلد . وكان بطبيعته بميل الى الجد ولا يتكلم كثيرا لذلك مجب اعجابا كبيرا بالجرأة والمرح في الآخرين ويؤثر فيه الاتصال الودي تأثيرا شديدا . وقد اشتهر في وستر بأنه منطو على نفسه وانه لا يشارك كثيرا في اللهو ولكنه كان في الحقيقة فخورا اذ كان رفقاؤه يقرعون ظهره وينادونه قائلين « يا ابني الكهل » أو « أيها الكهل الجامد ! » وكان وقف هذه العلامات الدالة على الزمالة في ستار كفيلد مما زاد شعوره بالوحدة

وزاد صمته سنة بعد سنة فقد ترك وحيدا يحمل عبء
المزرعة وطاحونة الاخشاب بعد حادث والده فلم يعد لديه الوقت
لاجتماعات اللهو في القرية . ثم مرضت والدته فصارت الرحلة
في الدار أشد وحشة منها في الحقول . وكانت أمه تحب
الحديث في أيامها ولكنها بعد « متاعبها » صار صوتها لا يسمع
الا نادرا ، وأن لم تفقد القدرة على الكلام . وكانت أحيانا في
ليالي الشتاء الطويلة حين سألها عنها في رأسه : لماذا لا تقول شيئا ؟
ترفع أصبعها وتجيّب : « لأنني أنصت ! » . وفي الليالي
العاصفة حين يخترق جوانب الدار صفير الريح تشكو إليه إذا
تحدث قائلة : « انهم يجأرون بالحديث هنالك فلا اسمعك ! »
ولم يعد يسمع حديث اناس في تلك الدار الا في أواخر أيام
مرض أمه : حين جاءت ابنة خالته زنوبيا سبيرز من الوادي
الآخر لتساعده في تمريضها . . وكان حديث زينه ولغوها بعد
السكوت المميت الذي أحاط به طويلا في سجنه ، كأنه الموسيقى
في أذنيه . وقد شعر أنه كان على وشك أن يصاب مثل أمه
لو لم يأت صوت جديد ليعيد إليه عقله . ويظهر أن زينه فهمت
حالته لأول وهلة ، فكانت تضحك منه لانه لا يعرف أبسط واجبات
التمريض وتطلب منه أن يبارح الدار في الحال ، ويتركها لتنظيم
الامور . وكان مجرد اطاعته لاوامرها وشعوره بالحيرة في
العودة الى عمله ثانية والتحدث الى امثاله من الرجال مما أعاد
اليه توازنه ، فبالغ في شعوره بفضلها عليه . وقد أخجلته
مهارتها وأدهشته ، وبدا له كأنها حائزة بالفريزة لكل الفضائل
المنزلية التي لم يستطع اكتسابها مع طول مرانه . وحين جاءت
النهاية كانت هي التي طلست منه أن يتشجع ويذهب لاحتضار
الحادث . وأعربت عن دهشتها إذ لم يقرر من قبل لمن يعطى
ثياب أمه وآلة الحياكة التي تمتلكها . ولما رآها بعد الجنازة
تستعد للرحيل تملكه جزع لا يقاوم من أن يظل وحيدا في
المزرعة ، فطلب منها أن تبقى الى جانبه دون أن يدرى ساهو
فاعل . وكان كثيرا ما يفكر أن هذا لم يكن ليحدث لو ان والدته
توفيت في الربيع بدلا من الشتاء

وقد اتفقا بعد زواجهما على انهما بمجرد ازالة الصعوبات التي

نشأت من طول مرض السيدة فروم ، يبيعان المزرعة وطاحونة
 الاخشاب ويذهبان ليجربا حظهما في مدينة كبيرة . وام
 يكن حب ايتان للطبيعة تتخذ شكل الميل للزراعة . فقد كان
 يرغب دائما في أن يكون مهندسا ويسكن المدن ، حيث المحاضرات
 والمكتبات الكبيرة ، وحيث يوجد أناس يغامرون ويعملون . وكان
 قد مارس عملا هندسيا صغيرا في فلوريدا وكل اليه اثناء دراسته
 في وستر . فزاده العمل ايمانا في مقدرته وأذكى عنده الرغبة في
 أن يرى بلاد العالم . وكان على ثقة من أنه مع زوجة «نشيطة»
 تعاونه مثل زينه لا يمضي وقت طويل حتى يخلق لنفسه مركزا
 وكانت القرية التي نشأت فيها زينه اكبر قليلا من ستار
 كفيلد واقرب الى السكك الحديدية . وقد افهمت زوجها
 من البداية أن الحياة في مزرعة منفردة ليس ما تنتظره بعد
 زواجها . ولكن الشاردين لم يسرعوا للشراء ، وبينما ايتان
 ينتظرهم تبين له انه من المستحيل الانتقال بها الى جهة اخرى .
 فلقد اختارت ان تنظر بعين الاحتقار الى ستار كفيلد ولكنها
 لا تستطيع السكنى في مكان لا يحفل بها ، ولو انتقلت الى بلاد صغيرة
 كسبريدج أو منحدرات شار لما شعرت بها تلك البلاد . ولو أنها
 ذهبت الى مدن أكبر من ذلك وهي انتي تجذب ايتان لفقدت
 شخصيتها تماما . ولم تضر سنة على زواجهما حتى بدت
 عليها أعراض هذا « المرض المستمر » الذي جعلها معرونة
 حتى بين جماعة القرية الغنية بالحالات المرضية . وكانت
 تمثل الصحة التامة لدى ايتان حين جاءت لتعنى بأمه ولكنه
 مالبث أن رأى أن مهارتها كممرضة اكتسبت من ملاحظة أحوال
 مرضها نفسه

ثم أصيبت هي أيضا بالصمت ولعله النتيجة المحتومة لتأثير
 الحياة في المزرعة ، أو ربما كما تقول أحيانا : لان ايتان لا يحسن
 الاستماع . ولم تكن هذه التهمة بغير أساس فهي لا تتكلم الا
 بالشكوى ، وتشكو من أشياء ليس في مقدوره علاجها . ولكي
 يوقف لديه الميل الى الاجابة التي تدل على الامتعاض ، تكونف
 لديه عادة عدم الرد ، ثم عادة التفكير في غير ما تتكلم فيه ، وهي
 تتحدث اليه . ولكنه في الايام الاخيرة قامت لديه الاسباب

لمراقبتها عن كثب ، فقد أخذت منها يثير هواجسه . رتذم ما اعترى أمه من صمت ، تنزايد فسأل نفسه : هل أصيبت زينه أيضا « بالخبل » . وهي حال تصيب النساء كثيرا . وقد ذكرت زينه التي تعرف المرضى في تلك المنطقة حق المعرفة حالات كثيرة من هذا النوع وهي مرضى أمه . وهو نفسه يعرف بعض المزارع المنفردة في الأراضى المحاورة حيث يذوى مصابون بهذا المرض ، وحيث وقعت مأسى فجائية في مزارع أخرى من أثر وجودهم . وفي بعض الأحيان كان يبدو له أن صمتها يخفى أغراضا بعيدة وله نتائج خفية . . وقد قام في نفسها شك واستياء من أمور من المستحيل معرفتها . وقد قلق لهذا المرض أكثر من قلقه للمرض . فكان هذا الاحتمال هو الذى تسلط عليه حين رآها واقفة عند باب المطهى

والآن وقد رحلت الى تسبيريدج هذا باله وتحولت أفكاره الى فرصة المساء مع ماتى . ولم يعد يشغل فكره الا قوله لزينه أنه سيتسلم ثمن الأخشاب . . ولقد وضحت نتائج هذا لتهور جليلة أمامه حتى أنه قرر بعد تردد كثير أن يسأل اندرو هايل أن يقدم له جزءا من الثمن

دخل ايتان بزاحفته الى ساحة منزل هايل ، ركان هذا المقاول ينزل من زاحفته

فقال : « مرحى يا ايتي ! انك أتيت بالأخشاب فى وقتها » وكان اندرو هايل رجلا ممتلئ الوجه أحمره ، له شاربان كبيران وخطهما الشيب ورقة قصيرة مترهلة لاتضائقها ياقة . ولكن قميصه النظيف نظافة تامة كاردائما يضم بمشبك ماسى صغير . على أن هذا المظهر من مظاهر الثراء لم يكن حقيقيا . فهو يقوم بأعمال كثيرة ولكنه مع ذلك سهل فى الانفاق ، ومطالب أسرته الكبيرة جعلته فى رأى أهل ستاركفيلد « متأخرا » . وكان صديقا قديما لأسرة ايتان وداره هى إحدى الدور التى تزورها زينه أحيانا ، لعلمها أن السيدة هايل كانت فى شبابه تعلم من امر الأمراض أكثر من أية امرأة أخرى فى ستاركفيلد . ولا تزال مشهورة بمعرفة وصف الأمراض ووسائل علاجها

وذهب هايل الى الجوادين الرمايين وربت على مؤخرتهما وقال انك ناسيدى تعنى بهم أعنايتك بحيوان أليف

واخذ ايتان ينزل الاخشاب فاذا أتم عمله فتح الباب الزجاجي للحظيرة التى يستعملها المقاول مكتبا وكان هائل قد جلس ومد قدميه نحو الموقد واسند ظهره الى منضدة قديمة ناثرت عليها الاوراق وكان المكان كصاحبه دافئا سمحا وغير منتظم

ورحب بايتان قائلا « اجلس ومد قامتك ! »

ولم يعرف الآخر كيف يمدى الحديث . ولكنه أخيرا أعرب عن رغبته فى الحصول على خمسين دولارا ورأى دهشة هائل لذلك الطلب . فصعد الدم لجلده الرقيق تحت لدعة هذه الدهشة وكان من عادة المقاول أن يدفع بعد ثلاثة أشهر ولم يحدث بينهما من قبل أن دفع الرجل الثمن بمجرد تسلمه الاخشاب .

وشعر ايتان أنه لو ألح لحاجته العاجلة ، فان هائل قد يضغط نفسه ليدفع له ماطلبه . ولكن كبريائه وغريزة الحذر فيه حالا دون استعماله هذه الحجة . فلقد مضت فترة من الوقت بعد وفاة أبيه قبل أن يستطيع رفع رأسه فوق الماء ولم يكن يريد أن يظن اندرو هائل أو غيره من أهل سـ سنار كـ فيلد ، أنه ينحدر نحو الفرق مرة ثانية . ثم انه يكره الكذب فاذا كانت به حاجة للمال لذلك لانه فى حاجة اليه وليس من شأن أى انسان أن يسأله . لذلك نراه قد طلب هذا الطلب فى شىء من عدم التوفيق الملازم للرجل المتكبر الذى لا يريد أن يعترف لنفسه أنه ينحنى أمام غيره . فلم يدهشه إذن ان قابل هائل طلبه بالرفض

ورفض المقاول طلبه فى راحة صدر شأنه فى كل شىء . واعتبر الطلب نوعا من الفكاهة العممية . فتساءل عما اذا كان يريد شراء بيانو كبير أو يضيف قبة لداره وعرض عليه فى الحالة الأخيرة ان يتبرع بخدماته

وكان ايتان قليل الحيلة . وبعد فترة خجل حيا هائل ، وفتح باب المكتب ، وعند خروجه ناداه المقاول صائحا : « قل لى الست فى شدة الحاجة الى المال ؟ »

ونظمت كبرياؤه قبل أن يتدخل عقله « لاحاجة بى مطلقا »

فقال : « هذا حسن لانى فى شىء من الازمة المالية والواقع انى كدت أسألك ان تمهلنى على هذه الصفقة أكثر من الوقت العادى . فالعمل غير ناشط . ثم انى أبنى منزلا صغيرا لند وروث

عندما يتزوجان وانى لسعيد بهذا العمل ولكنه يكلف بعض المال » وكانت نظرته تنظر العطف من ايتان ثم أتم حديثه قائلا « ان الشباب يحب أن تكون الاشياء جميلة . وانك اتعلم ذلك اذ لم يمض وقت طويل مداخذت تهىء دارك لزيته »

ترك ايتان جواده في سربط الخيل لدى هایل ، وذهب لعمل آخر في القرية . وكانت العبارة الاخيرة التى قالها المقاتل برن في أذنيه وهو يسير . وكان يفكر في أن السنوات السبع التى امضاها مع زينه لا تظهر للأسف عند الغير بأنها وقت طويل .

وكان الغروب يقترب . ونرى هنا وهناك النور من وراء الألواح الزجاجية يخترق الضيق الرمادى مما يزيد منظر الثلوج بياضا . وكان البرد القارس قد طرد الناس الى دورهم ، فساد الطريق الزراعى الطويل غالبا . على انه سمع فجأة رنين أجراس زاحفة واجتازته مركبة زاحفة يجبرها جواد مرح عرف فيه ايتان مهر ميكائيل ايدى وأصل عليه الشاب دنيس ايدى محبيا من زاحفته وقد وضع على رأسه طاقية جميلة من الفرو وصاح « مرحى يا ايتى » . ثم مرت الزاحفة .

وكانت الزاحفة فاصدة وجهة مزرعة فروم وانقبض قلب ايتان وهو يسمع رنين الاجراس المتباعد : أليس من الراجح ان ايدى سمع بسفر زينه الى بتسبريدج ، وانتهاز الفرصة لبمضى ساعة مع مائى ؟ لقد خجل ايتان من عاصفة الغيرة التى هبت في صدره ، وبدا لديه أنه لا يليق به أن تكون أفكاره غنيمة انى هذا الحد

وسار الى ركن الكنيسة ودخل تحت ظلال أشجار فارنوم التى وقف عندها فى اللسالة السابقة ورأى أمامه شبحا غير واضح فما اقترب منه حتى رآه يتحول الى شبحين يجتمعان لحظة ، وسمع قبلة وضحا مكتوما وصيحة أثارها اكتشاف ، اقترابه . وانفصل الشبحان على عجل ، وسمع باب دار فارنوم يغلق واسرع احد الشبحين فى الطريق أمامه . وابتسم ايتان لما سببه من ارتباك . فماذا يهم كلا من ند هایل وروث فارنوم اذا بوغتا فى قبلة ؟ ان أهمل ستاركفيلد جميعا يعلمون انهما خطيبان . ولقد سر ايتان اذ فاجأ عشيقين فى البقعة التى وقف فيها هو ومائى ، وفى قلب كل منهما ظمأ نحو الآخر . واستشعر

وخز الالم حين فكر أن لاجابة بهذين الاثنين الى اخفاء سعادتهما
وعاد ايتان فاخذ جواده من مربوط خيل هائل ، وابتدأ
طريقه الصاعد قافلا نحو المزرعة وكان البرد اقل شدة منه في أثناء
النهار . وكانت السماء الملبدة بالسحب المتراكمة تنذر بسقوط
الثلج في الغد ، وهنا وهناك ، يطل نجم من بين السحب ويظهر
خلفه بئر عميق ازرق . ولا تضي ساعة او ساعتان حتى
يبرز القمر من وراء التلال خلف المزرعة فيصبغ أطراف السحب
الممزقة بحلة ذهبية ، ثم لا يلبث أن تبتلع هذه السحب . وكان
سود الحقول هدوء حزين كأنها شعرت بان البرد خفف قبضته
فتمطت في نومها الشستوى الطويل

وكانت اذنا ايتان متقيظتين لسماع أجراس الزاحفات ، ولكن
مقطع سكون الطريق المنزل أى صوت . ولما صار على مقربة
من المزرعة رأى من خلف الأشجار القليلة نورا يضيء من
الدار فوقه ، فقال لنفسه : انها في غرفتها تعد نفسها للعشاء .
وتذكر نظرة السخرية التي بدت في عيني زينه حين جاءت ماتي في
ليلة وصولها الى العشاء بعد أن ربت شعرها ووضعت شريطا
في رقبتها

ومر على القبور في فناء الاضحة وأدار رأسه ناظرا الى
أحد الاضحة ، وكان يهتم له بصفة خاصة وهو صبي ، لانه
يحمل اسمه وقرا :

« انه مكان مقدس لذكرى ايتان فروم وزوجته انديورانس
.. اللذين عاشا معا في سلام مدة خمسين عاما .. »

كان يظن من قبل أن خمسين عاما زمن طويل للمعيشة معا
ولكن هذه الفترة تبدو له الآن وكأنها تمر مرور البرق . ثم
أصابه سهم من السخرية فاذا به يسائل نفسه هل تكتب هذه
الكتابة نفسها حين يسجى هو وزينه في قبرهما عند ما يحين
الاجل ؟ .

وفتح باب مخزن الفلال واطل في الظلام وهو يخشى أن مهر
دنيس أيدي في مربوط خيله الى جانب جواده الهرم . ولكنه
وجد الجواد يمضغ طعامه بفكين فقدا الاسنان فاخذ ايتان يصفر
في ارتياح وهو يزيل اربطة السرج من الجوادين الرماديين ويضع
كمية من القرطم حيث يأكلان ونم تكن حنجرته جميلة ، ولكنه مع

ذلك اخذ في الغناء بصوت قبيح، وهو يقفل الجرن ويصعد التل الى الدار . ووصل الى باب المطهى وادار اكرة الباب ، ولكن الباب لم يفتح امامه

واخذته الدهشة حين رجا ايباب مغلقا وعالج اكرة الباب في عنف ولكنه تذكر ان ماتى وحدها ومن الطبيعى أن تقيم الحراجر دونها في المساء . ورقف في الظلام ينتظر أن يسمع خطوبها، ولكنه لم يسمع وعبثا أنصت بأذنيه . فنادى في صوت يرتعش سرورا « أين أنت يامات ؟ »

لم يجبه الا الصمت ونكسه بعد دقيقة او دقيقتين سسمع صوتا على السلم ورأى نورا من تحت الباب ، كما رآه في الليلة السابقة . وكانت حوادث الليلة السابقة تتكرر في دقة غريبة ، حتى كاد يعتقد وهو يسمع صوت المفتاح يدور في القفل ، انه سيشاهد امرأته امامه . ولكن الباب فتح وواجهته ماتى بدلا منها .

وكانت واقفة كما وقفت زينه وفي يدها مصباح ، ومن رانها المطهى المظلم . وكان الضوء في مستوى الامس وقد رسم في وضوح الامس رقبتها الجميلة الدقيقة ، وساعدها الاسمر الذى لا يزيد على ساعة الطفل . ثم ارتفع الضوء فرمى بريقه على شفتيها وغطى عينيها بظلال من القطيفة وظهر البياض الناصع فوق سواد قوس الحاجب

وكانت ترتدى ثوبها العادى القاتم ولم تغط رقبتها بشيء ، ولكنها ربطت شعرها بشريط قرمزى اللون أسبغ عليها بهاء، وبدأت لاثان أطول قامة واملأ جسمها ، وعليها مظهر أكثر أنوثة في شكلها وحركتها ووقفت الى جانب من الباب وهى تبتسم في سكون . ثم تحركت في كثير من الخفة والرشاقة ووضعت المصباح على المائدة . ورأى أنها أعدت مائدة العشاء في عناية ، فعليها فطائر بالمربى صنعت منذ قريب، وفاكهة ناضجة ، والمخللات التى يحبها في طبق من الزجاج الجميل ، وكان الموقد يضىء بناره بينما تمددت هرة المنزل تراقب المائدة بعين ناعسة

وامتلأت نفس ايتان شعورا بالرخاء . فخرج الى الممر وعلق سترته على الشماعة وخلع نعليه المبللين فما عاد حتى كانت ماتى

قد وضعت أثناء الشاي على المائدة واخذت الهرة تتمسح بقدميهائى اغراء .

وصاحت ماتى وعيناها تضحكان خلف أهدابهما : « ماذا تربدين أيتها الهرة : لقد كدت أطاك بقدمى ! »

وشعر ايتان بوخزة فجائية من الغيرة . هل هو السبب فى اضاءة هذا الوجه ؟

فألقي سؤالاً وهو ينحنى فى غير عناية ليفحص الموقد : « حسنا يامات هل جاءك زائرون ؟ »

فهزت رأسها بعلامة الالجاب وقالت : « نعم جاء واحد » وشعر بظلمة يريد لها جبينه

وسأل وهو ينظر اليها نظرة جانبية فى تقطبية : « من هو ؟ »

وكانت عيناها ترقصان خبثاً وهى تقول : « ومن يكون غير يوتام باول الذى عاد وطلب جرعة من القهوة قبل أن يفصد منزله ؟ »

وارتفعت الظلمة وعاد اليه الضوء وقال « هذا كل شىء ؟ ارجو أن تكونى قد أحببته الى رغبته » . ثم بعد فترة سكون رأى من اللائق أن يسأل : « أظنه قد سار بزينة الى المنبسطات دون حادث » ؟

قالت : « أى نعم لقد رجف فسحة من الوقت لذلك »

وانشأ هذا الاسم نوعاً من الحاجز بينهما . ووقف الاثنان ينظر كل منهما نظرة جانبية الى الآخر قبل أن تقول ماتى فى وضحك وخجل « أظن الوقت حان للعشاء ! »

وجذبا مقعديهما الى المائدة . وقفزت الهرة دون أن تدعى الى مقعد زينه الخالى بينهما . . فصاحت ماتى « أيتها الهرة ! » وضحك الاثنان

كان ايتان قبل لحظة يشمر بانه يريد ان يفيض بالحديث ولكن ذكر زينه عقد لسانه . . ويظهر ان عدوى ارتبساكه سرت الى ماتى فجلست وقد خفصت أهدابها تتجرع الشاي . بينما أظهر هو شهية لا تشبع للفطائر والخللات . واخيراً بعد أن بحث عن بداية مؤثرة للحديث تجرع جرعة طويلة من الشاي وجرع .

صوته وقال « يظهر ان الثلج سيتساقط »

فزعمت انها تهتم لذلك اهتماما كبيرا . وقالت : « هل هذا حق ؟ وهل تظن ذلك ؟ وهل يؤثر في موعد عودة زينه ؟ »
واحمر وجهه كثيرا بعد هذا السؤال ووضعت فنيحان الشاي بعد أن همت بأخذ جرعة منه

ومد ايتان يده ليتناول بعض المخللات مرة أخرى وقال « ليس من السهل معرفة ذلك في هذا الوقت من السنة فان الثلج يتراكم في المنبسطات » وقد شابه الاسم مرة أخرى وشعر كأن زينه في الغرفة بينهما

وصاحت ماتى في مداعبة : « انك نهمة ايتها الهرة ! »

وكانت الهرة قد شبت بقدميها الاماميتين في غير ضجة من مقعد زينه الى المائدة ، دون أن يلاحظ ذلك أحد . ومدت حسدتها في اتجاه ابرق اللبن وهو بين ايتان وماتى وقد انحني الاثنان في الوقت ذاته واجتمعت يدهما على قاعدة الابريق وكانت يد ماتى هي الاسرع ونرّك يده تطبق عليها لحظة أكثر مما يجب وانتهزت الهرة هذه الظاهرة غير العادية فحاولت أن تعود الى وضعها السابق ، وفي عودتها اجرت طبق المخللات فسقط الى الارض وتحطم في ضجة

وفي لحظة كانت ماتى قد قفزت من مقعدها وركعت الى جانب الشظايا .

وصاحت : « أواه يا ايتان انها شظايا كثيرة ماذا تقول زينه ؟ »

وفي هذه الفرصة وجد شجاعة فقال وهو يضحك : « لا بد ان تعرف بان الهرة هي السبب في كل حال » وركع الى جانب ماتى ليجمع بقايا المخللات العائمة

ورفعت اليه عينين متألتيين وهي تقول : « ولكنك ترى انها لم تكن تريد استعماله حتى ولو جاء ضيوف . ولقد ارتقيت سلما لاصل اليه في اعلى دولا ب الادوات الخزفية حيث يحتفظ بخير أشياءها ، ولا ريب في أنها تريد ان تعرف لماذا فعلت »

وكان الامر جديا حتى ان ايتان جمع اطراف عزيمة وقال .
لا حاجة لان تعرف بالامر اذا كنت تسكتين وسأتى بأخر مثله تماما

في الغد من المكان الذي أتت به منه ! سأذهب الى شلالات شاو
ار لزم الامر »

قالت : « لن تجد آخر هناك ، فقد كان هدية عرس
الا تذكر ؟ لقد جاءها من فيلادلفيا حيث تقيم خالة زينة التي تزوجت
من قس ، وهذا هو السبب في أنها لا تستعمله ابدا . . ماذا فعل
الابتان ؟ ماذا ترى ؟ »

وبدأت تبكى وشعر بكل دمة من دموعها تتساقط عليه
كأنها الرصاص المصهور وتوسل اليها قائلا : « لا تفعلنى يا مات !
لا تفعلنى ! »

وهبت على قدميها وتبعها وهو لا يعرف ماذا يفعل ثم أخذت
تضع الشظايا على المائدة كأنها بقايا ليلهما الذي تحطم
وقال لها فجأة في صوت الامر « اعطينى هذه الشظايا ! »
فأفسحت له المكان اطاعة لامره بالغريزة ، وهى تقول :
« ماذا تريد أن تفعل يا ابتان ! »

فلم يجبها بل جمع شظايا الطبق في كفه الكبيرة وسار بها
من المطبخ الى الممر الخارجى ثم أوقد طرف شمعة وفتح
دولاب الخزف ومد ذراعه الطويلة الى أعلى قسم فيه ووضع
الشظايا الى جانب بعضها في مهارة . ودقق النظر حتى ثبت
له أن من المستحيل أن يرى الطبق مكسورا من أسفل فاذا
الصقه بالغراء فى الصباح التالى فقد تمر أشهر قبل أن تلاحظ
زوجته ما حدث . وبعدئذ قد يستطيع شراء بديل له من
شلالات شاو أو من بتسبريدج . فلما تبين له أن لا خوف من
اكتشاف ما حدث عاد الى المطبخ فى خطوة خفيفة . ووجد
ماتى تزيل بقايا الطعام المتساقطة على الارض وهى فى يأس

فأمرها قائلا : « ان الامر يمكن اصلاحه يا مات فعودى بنا الى
العشاء ! »

واطمأنت الى قوله ونظرت اليه بعينين براقتين من خلال
اهدابها المبللة بالدموع . وامتلات نفسه فخرا حين رأى أن نعمته
هدأت من ألمها فلم تسأله حتى ماذا فعل ؟ وهو لم يتذوق هذا
انوع من السيطرة الا وهو يدرج فى مهارة قطعة كبيرة من
الاخشاب من فوق الجبل الى طاحونته .

أتما العشاء وأخذت ماتى فى ازالة بقايا الطعام من المائدة .
وذهب ايتان فى هذه الاثناء ليلقى نظرة على أبقاره ثم يدور
فاحصا أرض المنزل . وكانت الارض مظلمة تحت سماء ملبدة
وكان الهواء ساكنا حتى ليسمع سقوط قطعة من الجليد بين
حين وآخر من الاشجار البعيدة على حافة غابة الاخشاب

ولما عاد الى المطبخ كانت ماتى قد وضعت مقعده على مقربة من
الموقد وجلست بجانب المصباح وأخذت تحيك بعض الثياب وكان
المنظر مثل ما تصوره فى مخيلته أثناء الصباح . فجلس وأخرج
غليونه من جيبه ، ومد قدميه نحو وهج الموقد . وكان العمل
الشاق الذى قام به أثناء النهار فى الجو البارد قد جعله يشعر
بالكسل وبالنشاط فى الوقت ذاته وشعر كأنه انتقل الى عالم آخر
ملؤه الدفء والانسجام والاطمئنان الى أحداث الزمان . وكان
كل ما يضايقه فى جلسته انه لا يرى ماتى من المكان الذى
يجلس فيه . ولكنه يشعر بالكسل بحيث لا يريد التحرك . فقال
لها بعد لحظة : « تعالى هنا واجلسى الى جانب الموقد »

وكان مقعد زينة المتحرك فى مواجهته وهو خال فقامت ماتى
اطاعة له ، وجلست فيه وأسندت رأسها الصغير الى المخدة المطرزة
التى كان يبرز من اطارها عادة ذاك الوجه الضخم . فشعر
ايتان برجة وقتية ، اذ خيل اليه أن ذاك الوجه ، وجه المرأة
الاصيلة التى نحيب قد مسح معالم وجه المرأة الدخيلة .
ويظهر أن ماتى نفسها تأثرت بشئ من هذا الحرج . فعدلت
من جلستها وانحنت الى الامام لتتكب على عملها . فلم يعد
يرى غير طرف أنفها الدقيق واللون الاحمر فى تموجات شعرها
ثم هبت على قدميها وقالت « لا أجد من الضوء ما يكفى
للحياكة ! » وعادت الى مقعدها الاول بجانب المصباح

وزعم ايتان انه يريد أن يزيد جذوة النار اشتعالا فى الموقد
فلما عاد الى مقعده نحاها جانبا ، فصار يرى صفحة وجهها
وضوء المصباح يسقط على .ها . وكانت الهرة ترقب فى حيرة
هذه التنقلات التى لم تألفها فقفزت الى مقعد زينه وجمعت
أطراف جسدها حتى صارت كالكرة ، وجلست ترقبهما وقد
حسرت نظرتهما .

وساد السكون العميق ارجاء الغرفة وكانت الساعة الكبيرة تدق فى حركتها المنتظمة فوق المنضدة ، وتتطاير بين حين وآخر قطعة من الفحم المحترق الى جوانب الموقد ، بينما تمتزج رائحة ازهار الجيراليوم برائحة الدخان المتصاعد من قم ايتان . وأخذ هذا الدخان يعقد ضباباً أزرق حول المصباح ويملا أركان الغرفة بضباب رمادى يشبه نسيج العنكبوت .

وارتفع كل حجاب بين الاثنين وأخذا يتحدثان فى طلاقة لسان . وتكلما عن أمور اليوم وما ينتظر من تساقط الثلج وعن الاجتماع القادم لاسر القرية فى الكنيسة ، وعن حوادث الحب والخصام فى ستار كفيلد وكانت بساطة الحديث وتناول الامور العادية ، قد أثر فى ايتان ، فتوهم ان بينهما صداقة بعيدة الامد ، لا يمكن ان ينشأ مثلها من العواطف الجياشة ، واستسلم للخيال وقام فى نفسه انها كانا ينفقان مساءهما كل ليلة هكذا، وانهما سيظلان هكذا . . .

وقال أخيراً : « هذه هى الديلة التى كنا نريد الذهاب فيها لممارسة الانزلاق يا مات ! » قالها فى شعور قوى كأنهما يستطيعان ذلك فى أى مساء يختارانه وأمامهما فسحة من الوقت .

فردت اليه ابتسامته بمثلها وقالت : « أظنك نسيت ! » فقال لها « لا لم انس ! ولكن الظلام عميق خارج الدار وقد نذهب غدا اذا ظهر القمر ! » فضحكت سرورا ورمت برأسها الى الخلف وكان ضوء المصباح يلعب على شفثيها واسنانها وقالت : « أظن اننا نمضى وقتنا جميلاً يا ايتان ! »

وظل مثبتا عينيه فيها وهو فى دهشة من طريقة تغير وجهها مع كل تغير فى حديثها ، كما يتموج ويتغير حقل القمح مع هبوب نسيم الصيف . وقد ثمل بما بدا له من ان كل كلمة عادية ينطق بها تنقلب لديها سحرا دون أن يجرب طرقاً أخرى لاستعمال هذا السحر .

فسألها : « هل تخافين اذا انزلقنا فى طريق كوربرى فى مثل هذه الليلة ؟ »

فزادت وجنتها احمرارا وقالت : « لا أخاف اكثر منك ! » فقال « انى لا أخاف فعلاً . ولن أقدم على ذلك فهناك ركن

فظيع عند شجرة البلوط الكبيرة وإذا لم ينتبه المرء كل الانتباه فلا بد من أن يصطدم بالشجرة » وتمتع بشعور الحماية والسلطة التي تنقلها كلماته ولكي يطيل هذا الشعور ويزيد منه قال « اظننا في أمان هنا »

فأسبلت أهدابها في بطن بطء بالطريقة التي يحبها وتنهدت قائلة « نعم نحن في أمان ! »

وكانت نبرة صوتها حلوة بحيث أخرج غليونته من فمه واقترب من المائدة ، وانحنى الى الامام ولمس طرف القماش الاسمر الذي تحيكه وابتدأ يقول في ابتسامة : « قولى لي يا مات ! ماذا تظنين انى رأيت تحت ظلال أشجار فارنوم وأنا عائدا الى المنزل الآن ؟ لقد رأيت احدى صديقاتك يقبلها احد الناس ! »

وكان يريد ان يطلق هذه الكلمات طول المساء ولكنه بعد أن نطق بها تبين له انها الفاظ غير لائقة مطلقا ولا مناسبة لها . أحمر وجه ماتى احمرارا شديدا واسرعت مرتين أو ثلاثا بابرتها بحيث جذبت طرف القماش منه دون أن تشعر وقالت فى صوت منخفض كأنه خاض موضوعا جديدا : « اظنك تعنى روث وند ؟ »

خيل الى ايتام أن اشارته قد تفتح الطريق امام بعض النكات المألوفة . وهذه تمهد لقبلة لا ضرر منها أو لمجرد ضغط يبيدها ولكنه شعر الآن ان ذلك الاحمرار قد ! قام حراسة ملتبهة حولها ، وان ظن ان تحفظه الطبيعى هو الذى يجعله يشعر بمثل هذا الشعور . فهو يعلم ان اكثر الشبان لا يبالغون فى معنى تقبيل فتاة جميلة . وتذكر ان ماتى لم تمنع فى الليلة السابقة حين أحاطها بذراعه . ولكن هذا كان خارج الدار وتحت جناح الليل المنبسط ولكنه الآن فى الغرفة المضاء بالمصباح وما تنطوى عليه من معنى النظام والخضوع للقواعد المتعارفة ، وهى أكثر بعدا منه بما لا يقاس حتى كأن لا تقارب بينهما .

ولكى يخفف ما أصابه من تحفظ قال : « أظنهما سيحددان يوما للزواج فى وقت قريب »

فأجابت : « نعم ! لن أدهش اذا تم زواجهما فى الصيف القادم ! » ونطقت بكلمة الزواج وكأن صوتها يتغنى بهذه الكلمة وكأنه ممر مجلل بالأشجار يؤدى الى وديان ساحرة . وشعر

ايتان بوخز فى جسده وقال وهو يتململ فى مقعده : « لن
أدهش اذا كان دورك يجرى بعدها مباشرة » .

فضحكت ضحكا ينم على شىء من الشك وقالت : « لماذا تظل
تردد هذا المعنى ؟ »

فضحك ضحكا هو صدى لضحكها : « اظننى اردد هذه
الفكرة كى ألفها ! »

وعاد فاقترب من المائدة ، وظلت فى حياكتها وهى صامتة ،
وقد أسبلت أهدابها على عينيها . وجلس ايتان وهو مأخوذ
بمراقبة الطريقة التى بها ترتفع يداها فوق قطعة القماش وتنزلان
وكانهما عصفوران فى طيران متواز بينان عشا .
وأخيرا قالت فى صوت منخفض من غير أن تدير رأسها أو ترفع
نظرتها : « ألا يكون سبب ذررك هذا أن زينه مستاءة
منى ؟ »

وعاد اليه خوفه السابق كاملا ، وقال متلعثما : « ماذا
تعنين ؟ »

فرفعت اليه عينيها مضطربتين ، وتركت القماش يسقط على
المائدة بينهما ، وقالت : « لا أعلم ولكن دار فى خلدى فى
الليلة الماضية انها غاضبة ! »
فزأر قائلا : « أحب أن أعرف لماذا ؟ »

فأجابت : « لا يعرف أحد من أمر زينة شيئا » وكانت هى
المرءة الاولى التى تكلم فيها صراحة فى موقفها نحو ماتى . وكان
ذكر اسمها قد وصل الى أقصى أركان الغرفة ثم عاد اليهما ثانية
وقد تردد مرارا فى اصداء كثيرة . وانتظرت ماتى كأنها
تترك لهذا الصدى فرصه كى يزول واستمرت تقول : « ألم تقل
لك شيئا ؟ »

فهز رأسه قائلا : « لم تفه بكلمة » .
ومالت برأسها الى الخلف كى ترد شعرها الذى تدلى فوق
جبينها وضحكت قائلة : « لقد تخيلت ذلك لضعف اعصابى اذن
ولن أفكر فى هذا من بعد ! »

فقال لها : « لا تفكرى فى هذا الامر يا مات ! »
وبعثت الحرارة الفجائية فى لهجته الدم الى وجهها مرة ثانية
ولكنه لم يصبغ الوجه مرة واحدة بل تدريجيا وفى رقة كأنه
انعكاس فكرة تستولى فى بطاء على قلبها وجلست صامتة وقد

شبكت يديها على عملها وخيل اليه ان تيارا دافئا تدفق نحوه عن طريق قطعة القماش التى لا تزال مطوية بينهما فمد يده ، فى حذر وراحة الكف الى أسفل ومست أصابعه طرف القماش واهتزت أهدابها هزة خفيفة دلت على ما يبدو ، انها شعرت بحركته وان هذه الحركة أرسلت تيارا معارضا اليها فتركت يديها بلا حراك على الجانب الآخر من القماش .

وبينما كانا جالسين سمعا حركة خلفهما فأدارا رأسيهما فكانت الهرة وقد قفزت من مقعديزينة المتحرك لتدرك فأرا فى الدائر الخشبي حول الحائط . وكان من نتيجة الحركة الفجائية ان ظل المقعد يتأرجح كأن شبحا يجلس عليه .

وفكر ايتان « فى مثل هذا الوقت من الغد سيتأرجح هذا المقعد وهى جالسة فيه ، لقد كنت فى حلم وهذا هو المساء الوحيد الذى نخلو فيه معا » وكانت عودته الى الحقيقة المؤلمة كالعودة الى اليقظة بعد تناول المخدر . فصار جسده وعقله نهبا لآلم ناشئ عن تعب لا يمكن وصفه . ولم يجد سبيلا الى ما يقوله أو يعمل له لوقف تلك الاويقات فى مرورها الجنونى السريع .

ويظهر ان التغير فى حالته اثقلت عدواه الى ماتى . فنظرت اليه فى حنان وكان عينيها مقفلتان بالنوم حتى لتجد صعوبة فى فتحهما . وانتقلت نظرتها الى يده التى كانت تغطى طرف قماشها وتقبض عليه كأنه جزء منها . فرأى رعشة لا تكاد ترى تمر على وجهها فانحنى على طرف القماش دون أن يعرف ما يفعله وقبله . وبينما كانت شفتاه فوق القماش شعربان القماش ينساب من تحتها فى بطاء . فاذا ماتى قد نهضت من مكانها وطوت قماشها فى سكون ، ثم شبكته بمشبك ، وتناولت المقص وملبس الاصابع ووضعتهما مع القماش ، فى صندوق مغطى بورق مزخرف كان قد اشتراه من بتسبريدج .

فنهض ايضا ووقف يتنقل بنظره فى الغرفة من غير غرض ودقت الساعة احدى عشرة دقة . .

فسألت فى صوت منخفض : « هل النار كافية ؟ » فانحنى وفتح باب الموقد وقلب النار ، ولما نهض رآها تجسر الى جانب الموقد ، صندوق الصابون الذى وضعت فيه قطعة من السجاد ليكون للهرة فراشا . ثم قطعت أرض

الغرفة ورفعت آيتين بهما ازهار الجرائيوم لتبعدهما عن
النافذة وبردها . فتبعها ونقل اوانى الجرائيوم الاخرى ونبات
الهيانت الذى غرس فى اناء من الصفيح ، والنبات
الامانى المتعلق الذى امتد فعلق الى مسمار قديم .

فلما تمت تلك الواجبات الليلية ، لم يبق امامه ما يعمل
الا حمل الشمعدان من الصفيح من الممر واشعاله . . وأطفأ
ايتان المصباح ووضع الشمعدان فى يدها وسارت به من المطهى
امامه . وكان منظر شعرها الاسود وهى تحمل الضوء امامها
كغمامة تمر على القمر .

وقال لها حين وطأت بقدمها درجة السلم الاولى « سعدت
مساء يا مات ! »

فاستدارت ونظرت اليه لحظة واجابت « سعدت مساء يا ايتان »
وصعدت السلم .

فلما ان أقفلت باب غرفتها تذكر انه لم يمسه حتى
يدها . . .



كان يوتام باول بينهما عند الفطور في صباح ائيوم التالى .
وحاول ايتان أن يخفى سروره العظيم بأن بالغ في مظهر عدم
المبالاة . فكان يستند بظهره على المقعد ليلقى بشيء من الطعام للهرة
أو يبدى استياء من الجو ولم يتعرض لمساعدة ماتى حين نهضت
لتحمل الاطباق .

لم يعرف السبب في سعادته الى هذا الحد اذ لم يتغير شيء في
حياته أو في حياتها . فانه لم يمس أطراف أصابعها ، ولم
تواجه عيناه عينها ، ولكن المساء الذى قضياه معا صور له ما قد
تكون عليه الحياة الى جانبها . وكان سعيدا الآن لانه لم يأت شيئا
يعكر من صفو السهرة ، وقد خيل اليه أنها عالة بما رده عن
ذلك . .

كان هنالك حمل من الاحشاب ينقل الى القرية ، وكان يوتام
باول الذى لا يعمل بانتظام لدى ايتان فى الشتاء قد جاء لمساعدته
في نقله . ولكن ثلجا مبللا ذاب وتحول الى مطر مثليج قد سقط
فى أثناء الليل فصارت الطرق كالزجاج ، وكان الجو مشبعاً
بالرطوبة وقد رجع الرجلان أن تهدأ الحالة بعد الظهر فيكون الذهاب
الى القرية أسلم منه فى الصباح ولذلك اقترح ايتان على مساعده
أن يضعوا الاحشاب على الزاحفة كما فعلا فى الصباح السابق ،
ولا تنقل الاحشاب الى ستار كفيلد الا بعد انتصاف اليوم .
وبذلك يتمكن من ارسال يوتام الى المنبسطات ليقابل زنوبيا
ويذهب هو بالاحشاب الى القرية وقد طلب من يوتام أن يذهب
ليعنى بالجوادين الرماديين ، وعلى ذلك ظل لحظة على انفراد مع ماتى
فى المطبخ . وقد وضعت الاطباق التى استعملت فى طعام الفطور
فى جردل من الصفيح وانحنت عليها بذراعين نحيلتين عريتا الى
الكوع . وكان البخار المتصاعد من الماء الساخن قد تجمع قطرات
على جبينها وعقد شعرها فى حلقات صغيرة .

وظل ايتان ينظر اليها وقلبه فى حلقه وكان يود لو يقول «انا
لن نكون على انفراد مرة ثانية كما نحن الآن » ولكن بدلا من
ذلك امتدت يده الى حافظة الاطباق الموضوعة على رف الدولاب
ووضعها فى جيبه وقال « أظن انى أستطيع العودة للغداء » .
فأجابته « فليكن يا ايتان » . وسمعها فى خروجه تغنى وهى
تعنى بالاطباق .

وقد عزم على أنه بمجرد وضع الأخشاب في الزاحفة يرسل يوتام الى المزرعة ويسير مسرعا على قدميه ليشتري غراء للطبق الذي كسر ، ولو سارت الامور سيرا عاديا لتمكن من تنفيذ فكرته ولكنها سارت على غير هواه من البداية . ففى طريقه الى غابة الأخشاب انزلق أحد الجوادين على الثلج البراق وأصيب بجرح في ركبتيه ، وبعد أن رفعاه عاد يوتام الى الحظيرة ليأتى بقطعة من القماش يربط بها الجرح ، ثم عندما ابتداء أخيرا تحميل الزاحفة بالأخشاب ، نزل المطر المثلج مرة أخرى ، وصارت جذوع الاشجار لزجة ، فاستغرق من الزمن مرتين أكثر من العادة . . وقد أحسن يوتام حين وصف اليوم بأنه صباح غاضب . ويظهر ان الجوادين كانا غير راضيين أيضا وهما يرتعدان ويضربان الارض بحوافرهما تحت أعطيتهما المبللة ، وعلى ذلك لم ينته من العمل الا بعد ساعة الغداء بوقت طويل ، وعدل ايتان عن الذهاب لأنه كان يريد أن يسير بالجواد الى حظيرته ويغسل الجرح بنفسه .

وظن أنه لو قام بالحشب بعد الغداء مباشرة فقد يعود الى المزرعة بالغراء قبل أن يعود يوتام بالجواد الاسمر الهرم من المنبسطات . ولكنه كان يعلم أن الفرصة ضئيلة جدا فهي تتوقف على حالة الطرق ، وعلى تأخر قطار بتسبريدج عن مواعده . وقد صار يفكر فيما بعد بنوع من الاحتقار لنفسه أية أهمية علقها على هذه الاحتمالات .

وما انتهى من الغداء حتى قصد غابة الأخشاب ولم يجرؤ على الانتظار الى أن يرحل يوتام بأول . وكان الرجل الاجير لا يزال يجفف قدميه المبلتين على نار الموقد . ولم يستطع ايتان الا أن يلقي نظرة سريعة على ماتى وهو يهمس : « ساعدو مبكرا » .

وخيل اليه أنها أحنّت رأسها دلالة على الفهم ، وبهذه الترضية البسيطة خرج الى الامطار .

ولم يبلغ منتصف الطريق حتى أدركه يوتام بأول وهو يحث الجواد الاسمر على السير الى جهة المنبسطات . وفكر ايتان في انه يجب أن يسرع في القيام بهذا العمل . وانحدر بالزاحفة في منحدر بناء المدرسة ، وعمل في سبيل انزال الاخشاب بسرعة ما يعمله عشرة من الرجال ، ولما انتهى من عمله أسرع الى حانوت ميكائيل ايدى ليشتري الغراء ، فعلم ان ايدى ومساعدته يمران « بالسوق » وان دنيس الشاب الذى قلما يتنازل ليحبل محلما ، قد جلس أمام الموقد مع عصبة من خلاصة شباب ستار كفيلد . وقبلوا ايتان بترحاب لا يخلو من السخرية ،

ودعوه الى مشاركتهم في مجلسهم ولكن احدا منهم لم يكن يعرف مكان الغراء . وكان ايتان في تلهفه على لحظة انفراد أخيرة بما تى واقفا ينتظر بفارغ صبر ، بينما دنيس يبحث بحثا لاجدوى منه في جوانب المخزن غير المعروفة لديه

وقال « يظهر أن كل الغراء قد بيع ولكنك اذا انتظرت حتى يعود الكهل فقد يجد شيئا منه » .

فأجاب ايتان وهو يتأهب للذهاب « أشكرك ولكنى سأحاول أن أجد بعض الغراء في حانوت السيدة هومان » .

فأقسم دنيس بغريزته التجارية على أن ما لا يوجد في حانوت ايدى لا يمكن أن يوجد لدى الارملة هومان ، ولكن ايتان لم يهتم بهذا القول وصعد الى الزاحفة وسار بها الى الحانوت المنافس وهناك بعد بحث طويل وأسئلة تدل على العطف ، عن سبب حاجته الى الغراء ، وهلا يصلح عجين الدقيق العادى بدلا منه ، عثرت الارملة هومان أخيرا على زجاجة الغراء الوحيدة وسط كمية غير متجانسة من أقراص السعال وأربطة لشد خصور السيدات .

نادته صاحبة الحانوت وقد لوى عنان جواديه الى طريق منزله « لعل زينه لم تكسر شيئا تعتربه » .

تحول المطر الثلج غير المنتظم الى مطر منتظم . وكانت مهمة الجوادين شاقة بالرغم من عدم وجود الأحمال ، وسمع ايتان مرة أو مرتين رنين أجراس زاحفة فكان يتلفت الى الورا وهو يتخيل ان زينة ويوتام قد أدركاه ، ولكنه لم ير الجواد الاسمر الهرم فكان يعود بنظره مواجهها المطر ليستحث الجوادين النضخمين . وكانت الحظيرة خالية عندما وضع فيها الجوادين وبعد ان عنى بهما أقل عناية سار الى الدار وفتح باب المطهى ، وكانت ماتى منفردة كما تصورها ، منحنية على اناء المطهى فوق الموقد ، وعندما سمعت خطوته بوغتت وقفزت اليه . فصاح بها وهو يريها الزجاجة فى يده ، بينما كان ينحيها فى خفة جانبيا : « انظرى يامات . . لقد جئت بشئ يصلح الطبق : فلنهتم بهذا العمل سريعا » ولكن يظهر انها لم تسمع لهذا القول ، فقد همست وهى تمسك بكمه : « لقد عادت زينة يا ايتان »

فوقفا وكل منهما يحملق فى وجه الآخر وقد امتقع وجهاهما كشر يكين فى جرم .

وغمغم ايتان قائلا « ولكن الجواد الاسمر ليس فى الحظيرة » .

فقالت له مفسرة « لقد اشترى يوتام باول أشياء لزوجه من المنبسطات » وذهب بالزاحفة الى دارها ونظر في ذهول حول المطهى الذى بدا باردا حقيرا فى غروب الشمس وفى ذاك اليوم المطير من أيام الشتاء .

وسأل ماتى وقد خفض صوته الى همس : كيف حالها : فحولت نظرها وقالت وهى فى شك : « لا أعلم فقد قصدت غرفتها مباشرة » .

فسأل « ألم تقل شيئا » ؟

فأجابت « لا : »

وأبدى ايتان حيرته فى صفيح منخفض وأعاد الزجاجة الى جيبه وقال : « لا تخافى ! سأنزل وأصلحه أثناء الليل » ثم ارتدى ثانية سترته المبللة وذهب الى الحظيرة لاطعام الجوادين .

وبينما كان هنالك عاد يوتام باول بالزاحفة فلما انتهى ايتان من عنايته بالحياد قال له « تعال لنأكل شيئا هنا » وكان يحب أن يتأكد من وجود محاييد على مائدة العشاء لان زينة تكون دائما « عصبية » بعد عودتها من رحلاتها ولكن الرجل الاجير الذى قلما يرفض طعاما لا يحتجز ثمنه من أجره ، فتح فكيه القويين ليحبيب فى بطنه « انى شاكر لك ولكنى أفضل أن أعود لمنزلى » ونظر اليه ايتان فى دهشة وقال « خير لك أن تأتى ليحفف ماء المطر من ثيابك ويظهر أن لدينا عشاء ساخنا » .

ولم يتأثر وجه يوتام بهذا النداء ولما كانت عباراته محدودة فقد كرر القول « انى أفضل أن أعود لمنزلى »

رأى ايتان فى هذا الاصرار على رفض الطعام والدفع دون مقابل ما يندر بشرا ، وأخذ يتساءل : ماذا حدث فى أثناء عودة زوجته مما جعل يوتام قنوعا الى هذا الحد . ربما أن زينة لم تتمكن من استشارة الطبيب الجديد أو لعلها لم ترتج الى نصائحه . فقد كان ايتان يعرف أنه فى مثل هذه الاحوال تعتبر زينة أول شخص تقابله مسئولا عن سبب مضايقتها .

ولما عاد الى المطهى وجد أن المصباح يرسل ضوءه على نفس المنظر الذى يبعث على الارتياح كشأنه فى المساء السابق . وقد أعدت المائدة بمثل العناية السابقة وكانت نار قوية تلمع على الموقد والسهرة تنعس من الدفء وجاءت ماتى تحمل طبقا من الفطائر

ونظرت الى ايتان ونظر اليها فى صمت ثم قالت كما قالت فى الليلة السابقة « أظن الوقت قد حان للعشاء »

خرج ايتان الى الممر حيث علق ثيابه المبللة وأخذ ينصت لخطوات زينة . فلما لم يسمع شيئا نادى اسمها فلم تجبه . ولقد تردد لحظة ثم صعد الى غرفتها وفتح الباب . وكانت الغرفة تكاد تكون مظلمة ولكنه رآها في الظلام جالسة الى النافذة منتصبه القامة . وعرف من جمود ظلها على زجاج النافذة أنها لم تخلع الثوب الذي كانت ترتديه في سفرها .

واجترأ على أن يقول وهو على عتبة الباب « مرحى يا زينة ! » ولم تتحرك من مكانها فاستمر يقول « لقد أعد العشاء فهلا تنزليين ؟ »

فأجابت : « لا أظن انى أستطيع أن أذوق لقمة ! » وكانت هذه العبارة مألوقة لديه . وكان ينتظر بعد ذلك أن تقوم كالعادة وتتبعه للعشاء ، ولكنها ظلت جالسة ولم يوفق لشيء أكثر من قوله « أظنك متعبة بعد ركو بك طويلا » فالتفتت اليه عندئذ وأجابه في جد « ان مرضى أشد مما تظن » فسقطت هذه العبارة على أذنيه ذات وقع عجيب ، فكثيرا ما سمعها تفوه بهذه الالفاظ من قبل ، وماذا يكون لو انها كانت صادقة .

وتقدم خطوة أو خطوتين في الغرفة المظلمة وقال : « أرجو ألا لا يكون الامر كذلك يا زينة ! » ظلت تطيل النظر اليه في ظلام الغرفة بسمة صاحب السلطة الذي يعلم أنه اختير لأمر خطير ثم قالت : « لقد حدثت لدى مضاعفات ! »

وعرف ايتان أن لهذه الكلمة معنى استثنائيا فكل فرد بين جريتهم كان يشعر بشيء من متاعب الامراض أما المضاعفات فانها للخاصة المختارة وهذه المضاعفات اذن ميزة ولو انها في كثير من الاحوال تكون ايضا وثيقة الموت . فالناس تمر بهم سنوات ومعهم متاعب أمراضهم ولكنهم يسقطون صرعى بسبب « المضاعفات » . وكان قلب ايتان يتأرجح ذهابا ورجوعا بين شعورين ولكن الشفقة في هذه اللحظة هي الغالبة . فما أشد صلابة امراته وما أشد وحدتها وهي جالسة في الظلام مع مثل هذه الافكار سألها وقد خفض صوته بالغريزة « أهذا ما قاله لك الطبيب ؟ » فأجابت : « نعم انه يقول ان الطبيب العادى كان يجب عليه أن يشير باجراء جراحة »

وكان ايتان على علم برأى نساء الجيرة فيما يختص بتدخل الجراحة ففريق يفخر بالمكانة التي تسبغها الجراحة ، وفريق يبتعد عنها ويراهما غير لائقة وكان ايتان مغتبطا دائما لاسباب اقتصادية بأن زينة من أنصار الرأي الاخير .

وحاول أن يهدئ من روعها بأيسر سبيل على أثر القلق الذي سببه خطورة اعلانها فقال « وماذا تعرفين عن هذا الطبيب ؟ على كل حال لم يقل أحد من الاطباء بمثل ما قاله من قبل ! »

وتبين له في الحال الخطأ الذي وقع فيه فقد كانت تريد العطف لا التيسير فقالت : « لم أكن بحاجة لان يخبرني أحد بما بي في كل يوم من تقهقر فكل الناس يرون ذلك ماعداك ، وكل الناس يعرفون من هو الدكتور بك في بيتسبريدج وهو يأتي مرة كل أسبوعين الى شلالات شادوبيتسبريدج للاستشارات ولقد كادت اليزاسبيرز تفقد حياتها بمرض الكلية قبل أن تذهب اليه ولكنها الآن غادرت فراشها وهي تخرج وتشارك في جوقة الغناء بالكنيسة ! »

فأجاب ايتان في عطف : « اني سعيد لذلك ، ويجب أن تفعل ما يخبرك به هذا الطبيب » .

فقالت وكانت لا تزال تنظر اليه « اني عازمة على ذلك ! » وقد استرعى انتباهه نغمة جديدة في صوتها ليس فيها تألم ولا تأنيب وانما تدل على العزيمة الثابتة .

فسألها وقد بدأ يتوقع نفقات جديدة « وماذا يريد منك أن تفعل ؟ »

فقالت « انه يريد أن تكون معي فتاة أجيعة ويقول انه لا ينبغي لي أن أقوم بأي عمل في خدمة الدار »

فصاح ايتان في دهشة « فتاة أجيعة ؟ »

فأجابت « نعم وقد دبرت لي خالتي مارتا فتاة في الحال ويقول الجميع اني حسنة الحظ اذ وجدت فتاة ترضى بالاقامة هنا واتفقت على أن أمنحها دولارا زيادة في أجرها لكي أتأكد من قدومها وستأتي غدا بعد الظهر » .

وتراوح بين الغضب واليأس فقد كان يتوقع طلبا عاجلا للنقود،

ولكنه لم يكن يتوقع عبثاً استمراراً على موارده الضئيلة ، ولم يعد يعتقد فيما قالت زينة عن تفاقم حالتها ، ولم ير فى رحلتها الى بيتسبريدج الا مؤامرات دبرت بينها وبين أقاربها من آل بيرنس كى يحملوه أجر خادم • وتغلب الغضب فى تلك اللحظة وقال « اذا كنت تريدان الاتفاق مع خادمه فقد كان من الواجب أن تخبرينى قبل رحيلك »

فأجابته : « وكيف أعلم بذلك قبل رحيلى ؟ وكيف كنت أعرف ما قاله الدكتور بك ؟ »

فضحك ايتان ضحكة قصيرة تدل على عدم التصديق • وقال « آه ! الدكتور بك ! وهل أخبرك الدكتور بك كيف أدفع لها أجرها ؟ »

وارتفع صونها فى غضب بارترفاع صوته وقالت « لا لم يخبرنى ! لأننى كنت أخجل من أن أخبره بأنك تبخل على بالمال الذى يرد على الصحة التى خسرتها فى تريض أمك ! »

فسألها « هل خسرت صحتك فى تريض أمى ! »

فأجابت « نعم وقد قال لى جميع أقربائى عندئذ انه لم يكن فى وسعك الا أن تتزوجنى بعد ! »

فقاطعها صائحا « زينة »

وكانت أفكارهما فى الظلام الذى يخفى وجهيهما أشبه بثعبانين يتقاتلان وينفث كل منهما السم نحو منافسه وقد استولى على ايتان شعور بفضاعة هذا المنظر ، اذ كانت المعركة وحشية لا معنى لها كأنها صراع جسدى بين خصمين فى الظلام •

واستدار الى الرف فوق الموقد وبحث فى الظلام عن الكبريت وأضاء الشمعة الوحيدة فى الغرفة ولم يستطع نورها الضعيف فى مبدأ الامر أن يبدد شيئاً من الظلام ثم ظهر وجه زينه عابسا فى زجاج النافذة العارى عن الستائر ، وقد تحول من أسود الى رمادى •

كان ذلك أول غضب سافر بينهما فى السنوات السبع الحزينة التى قضياها معا • وشعر ايتان انه خسر مزية لا تعوض بنزوله

الى مستوى الجدل معها ولكن المشكلة العملية كانت قائمة ولا بد من معالجتها .

فقال لها « انك تعلمين يا زينة انى لا أمتلك نقودا لأجر الفتاة فلتعيديها من حيث أتت ! فلن أستطيع دفع أجرها . »

فقالت « قال الطبيب اننى أسير الى الموت اذا ظللت أعمل كالعبيد على الصورة الحالية وهو لا يفهم كيف قويت على ذلك الى الآن ! »

فاندفع يقول « تعملين كالعبيد ! » ثم راجع نفسه وقال « لن تضعى يدك فى شىء اذا كان هذا غرضه . سأقوم أنا بكل شىء فى الدار . . . »

فقاطعته قائلة « لقد كفاك انك تهمل أمور المزرعة الآن ! » وكانت صادقة فى قولها ولم يجد ما يرد به عليها وأتاح لها الفرصة لتقول ساخرة : « خير لك أن ترسلنى الى الملجأ وتستريح . . . اظن ان بعض أعضاء أسرة فروم كان لهم مثل هذا المصير ! »

وآلمته الاهانة كأنار ولكنه تركها تمر وقال « انى لا أملك مالا . وهذا ينهى كل شىء »

ومرت فترة هدوء فى نضالهما وكان المتبارزين يجربان مضاء أسلحتهما ثم قاتت زينة فى صوت متزن : « أظنك تسلمت خمسين دولارا من أندرو هايل ثمنا للاخشاب » - فقال :-

« ان أندرو هايل لا يدفع قبل ثلاثة أشهر ! »

ولم ينطق بهذه العبارة حتى تذكر العذر الذى اعتار به كى لا يرافق زوجته الى المحطة فى اليوم السابق فصعد الدم الى حاجبيه المقطبين . فقالت : « لقد قات لى بالأمس انك انفقت معه على أن يدفع الثمن فوراً ، وقلت أن ذاك هو السبب فى أنك لا تستطيع أن ترافقنى الى المسطحات »

لم يكن لدى ايتان مرونة فى الخداع ، ولم يسبق له أن عرف الاكذوبة ولم يوفق الى وسائل التهرب فتمتم قائلاً : « اظن ذلك كان خطأ فى الفهم »

فقالت « اذن أنت لا تمتلك المال »

قال « لا ! »

فقالت « لا ! وهل كنت أعرف ذلك عندما تفقت مع الخادمة؟ »
قال « لا » ثم سكت فترة ليسيطر على صوته وأنتم
الكلام « ولكنك تعرفين ذلك الآن ! وأنى لأسف ، ولكنى لا أستطيع
أن أفعل شيئاً . انك زوجة رجل فقير يا زينة وسأبذل ما
أستطيع فى خدمتك ! »

وظلت لحظة جالسة بلا حراك وكأنها تفكر وقد مدت ذراعيها
فوق ذراعى المقعد وعيناها مثبتتان فى الفضاء ثم قالت فى
هدوء « أظن من الممكن تدبير هذا الامر »

فطمأنه تغير لهجتها وقال « لاشك أن ذلك من الممكن وانى
لا قدر على عمل الكثير فى سبيلك وماتى ... »

ويظهر أن زينة كانت تقوم فى ذهنها بحساب معقد بينما هو
يتكلم ، وخرجت من التفكير الى القول « على كل حال سوف
نوفر طعام ماتى »

وكان ايتان قد ظن أن المناقشة انتهت واستدار ليذهب للعشاء
فوقف فجأة وهو لا يفهم ماسمعه وسأل : « نوفر طعام ماتى »
وضحكت زينة وكانت فى صوتها رنة غير مألوفة لم يذكر أنه
سمعها من قبل وقالت « هل تظن انى كنت أريد الاحتفاظ
بفتاتين ؟ لعل ذلك ما أخافك من النفقات »

وكان لا يزال غير مدرك تماماً ما تقوله ، فقد تجنب بالغريزة
منذ بداية المناقشة أن يذكر اسم ماتى وهو يخشى أمرا لا يكاد
يعرفه ! أهو النقد لها أو الشكوى منها أو الاشارات الغامضة
لاحتمال زواجها قريبا ، ولكن فكرة التخلص النهائى لم ترد
على خاطره ولم تدخل حتى الآن فى حيز ادراكه .

فقال لها « انى لا أفهم ماذا تقصدين فان ماتى سيلفر ليست
فتاة أجيرة وهى من أقربائك »

فصاحت « انها فتاة معدمة رمى عيؤها علينا بعد أن عمل
أبوها ما عمل لخرابنا وقد بقيت لدى سنة كاملة وجاء دور غيرى
ليؤيها »

وفى اللحظة التى خرجت فيها تلك الكلمات الصارخة سمع
ايتان دقا خفيفا على الباب الذى أقفله خلفه وسمع صوت ماتى

المرح وهى تنادى من السلم « ايتان ، زينة هل تعلمان بمرور الوقت ؟ ان العشاء حاضر منذ نصف ساعة ! »

وسادت لحظة سكوت داخل الغرفة ثم نادى زينة وهى جالسة: « سوف لانزل للعشاء! »

فقالت الفتاة « انى لاسفة !هل تشعرين بتعب؟ وهل احضر لك لقمة من طعام ؟ »

وانتبه ايتان الى نفسه فى جهد وفتح الباب قائلا « انزلى يا مات ليس بزينة شىء غير التعب . وانى سوف اגיע للطعام » .

فسمعها وهى تقول « ليكون ذلك » وسمع خطواتها السريعة على السلم ثم أغلق الباب وعاد الى الغرفة وكان مكان زوجته لم يتغير وكان وجهها جامدا لا يرق وشعره باليأس من أن يقدر على عمل شىء .

وقال لها « انك لن تفعلنى يا زينة ! »

قالت وقد مدت شفيتها « لن أفعل ماذا ؟ »

قال « أن تطردى ماتى هكذا »

قالت « اننى لن أتعهد بأن أحتفظ بها مدى الحياة ! »

فاستمر يقول فى فصاحة متزايدة « انك لا تستطيعين طردها من البيت كاللصبة وهى فتاة مسكينة بلا مال ولا أصدقاء . وقد بذلت أقصى جهدها من أجلك . وليس لها مأوى تلجأ اليه ولربما نسيت انها من لحملك وذمك ولكن ناس جميعا سيذكرون ذلك ! واذا أنت أقدمت على شىء من هذا فماذا يقول الناس عنك ؟ »

وانتظرت زينة لحظة وكأنها أرادت أن تتيح له من الوقت ما يستطيع أن يقدر فيه التباين بين حماسه وهذوئها ثم أجابته فى صوت هادىء « انى أعرف جيدا ما يقال بسبب بقائها هنا طويلا »

وسقطت يد ايتان من أكرة الباب ، وكان ممسكا بها منذ

أغلقه لتبقى ماتي في الخارج فقد كان رد زوجته كالسكين نفذ الى أضلاعه . وشعر فجأة بضعف وخوار وكان عازما على أن ينزل عن كبريائه فيناقشها في أن ماتي لا تكلفهما كثيرا ، وأنه سيعمل على شراء موقد واعداد مكان للفتاة الاجيرة في غرفة السطح . ولكن كامات زينة كشفت له عن الخطر الذي تنطوي عليه مثل هذه المناقشة .

فقاطعتها في تلغثم وهو يخشى من أن تتم الزوجة عبارتها «هل أتت عازمة على ابلاغها ضرورة ذهابها في احوال ؟ »

فأجابته وكأنها تحاول أن تريه وجه الصواب في أقوالها : « ان الفتاة ستحضر من بتسبريدج في الغد وأظن من الواجب أن تجد مكانا لنومها »

ونظر اليها ايتان في كراهية فهي لم تعد تلك المرأة المنطوية التي عاشت الى جنبه لا تهتم الا بنفسها . بل سارت قوة غريبة سرية ، قوة سوء تجمعت اثر سنوات طويلة من التفكير الصامت وزاد من حدة كراهيته شعوره بالعجز . ولم يكن فيها ما يمكن للمرء أن يحبه ولكن مادام يستطيع أن يتجاهل هذا الامر وينفذ اغراضه فقد ظل غير آبه ولكنها الآن تغلبت عليه فملأت نفسه باكراهية ، وليست ماتي الا قريبة لها ، لا قريته ، فلم يكن أمامه من وسيلة ليرغمها على الاحتفاظ بالفتاة في ظل دارها . فهبت في نفسه ذكرى ماضيه الذي لم يتحقق وفشل شبابه والمتاعب والجهد الذي لا جدوى معه . وانقلبت الى مرارة تتمثل في تلك المرأة التي كانت تسد الطرق في وجهه أينما يتجه . لقد انتزعت منه كل شيء وهي تريد الآن ان تنتزع الشيء الوحيد الذي يعوضه عن كل شيء آخر . وقد اشتعلت نار الكراهية في نفسه لحظة وجرت في ذراعه فضم قبضته وتقدم بلا وعى خطوة الى الامام ثم وقف .

وقال في صوت المتحير « هل - هل ستنزلين الآن ! »

فأجابت في هدوء « لا أظن ! سأرقد على فراشي بعض الوقت » فاستدار وغادر الغرفة .

وكانت ماتي جالسة بجوار الموقد ورقدت القطة بين ركبتيها ،

فهبّت واقفة عندما دخل ايتان وحمل طبق فطير اللحم الذى كان مغطى الى المائدة .

فسألت « أرجو ألا تكون زينة مريضة ؟ »

فأجاب « لا »

وكانت تضيء له المائدة بجلوسها على الجانب الآخر وقالت « فلنجلس أذن للطعام فى الحال اذ لا بد أنك تشعر بشدة الجوع » ورفعت الغطاء ووضعت الطبق أمامه وكأن عينيها تقولان: « اذن سنمضى ليلة سعيدة أخرى معا »

فأصاب شيئا من الطعام فى حركة آلية وأخذ يأكل ثم شعر باشمزاز فى حلقه وأعاد الشوكة

ونظرت اليه ماتى فى رقة ولاحظت ما فعله .

وقالت « ماذا جرى يا ايتان؟ ألا يعجبك طعم الفطير ! »

فقال « نعم ! انه جيد جدا ، ولكننى... » وأبعد عنه الطبق وقام من مقعده ومشى الى جانبها من المائدة ... فقامت واقفة وفى عينيها خوف

قالت « ان فى الامر شيئا يا ايتان ! أرى ذلك ! »

وكانها ذابت أمام ما اعترأها من خوف فأمسك بها بين ذراعيه وضمها اليه وشمر بأهداب عينيها تضربان خديه كالفراشة الحبيسة ثم تمتمت « ماذا هنالك ؟ ماذا هنالك ؟ » وكان قد وجد شفيتها فأخذ يرشف من فيها بلا شعور ونسى كل شيء الا لذة التمتع بها

وظلت ملتصقة به لحظة وقد جذبها التيار الأقوى ثم تخلصت منه فى رفق وارتدت خطوة أو خطوتين وامتقع لونها وقلق خاطرها وقد أنارت نظرتها عطفه فصاح وكأنه يراها غريقة فى حلم : « لن تذهبي يا مات وإن أسمح بذلك ! »

فغمغمت سائلة « اذهب ! اذهب ؟ هل يجب أن أذهب ! »

وكانت الكلمات تتجاوب فيما بينهما كمشعل للتحذير ينتقل من يد الى يد فى ظلام الليل

وغلّب ايتان الخجل لانه لم يسيطر على نفسه حين قذفها بالخبر في وحشية ودارت رأسه فاضطر الى أن يستند الى المائدة وكان طول هذا الوقت يشعر كأنه لا يزال يقبلها ولكنه يموت تعطشا الى شفيتها .

وصاحت سائلة : « ماذا حدث يا ايتان ؟ هل جن جنون زينة من أجلى ؟ »

فأيقظته صيححتها من أحلامه، ولو انها زادت غضبا وشفقة ، وأكد لها قائلا « لا ! لا ! ليس الامر كذلك ولكن الطبيب الجديد زادها قلقا على نفسها وانك لتعلمين أنها تعتقد في كل مايقوله الاطباء في أول مرة تراهم فيها . ولقد قال لها هذا الطبيب أنها لن تعود اليها صحتها اذا لم تمتنع عن عمل أى شىء في الدار - لمدة شهر ستة »

وانقطع عن الكلام وقد حول عينيه في تعاسة فظلت صامته لحظة أمامه وقد ذبلت كالنور المنكسر وبدت صغيرة وضعيفة فتقطع قابله ولكنها رفعت رأسها فجأة ونظرت اليه مباشرة وقالت « وهل تريد فتاة اكثر مهارة في مكانى ، أليس كذلك ؟ »

قال « هذا ما تقوله الليلة »

فقالت « ان ما تقوله الليلة ستقوله غدا »

وأحنى الاثنان رأسيهما امام كلمة صدق لاشك فيها فهما يعلمان ان زينة لا تغير رأيها ، واذا أصرت على شىء فلا بد أن يكون .

وساد بينهما صمت طويل ثم قالت ماتى فى صوت منخفض « لا تحزن ولا تبتئس لذلك يا ايتان ! »

فتأوه قائلا « رباه ! رباه » وقد خبا بريق العاطفة التي شعر بها وذاب : فصار شفقة اليمة ورأى جفون عينيها وهي تحاول ان تحتجز الدمع وود لو يضمها بين ذراعيه ليهدىء من روعها . وقالت وقد حاولت أن تكون مرحة :

« لقد تركت عشاءك يبرد ! »

وصاح قائلا « أين تذهبين ؟ يا مات ! أين تذهبين ! »

فغضت من عينيها ومرت رعدة على وجهها ورأى أن فكرة المستقبل بدت لها واضحة لأول مرة وقالت في تردد « قد أجد عملا من الاعمال في ستامفورد » وكأنها عالمة بأنه يعرف أن لا أمل في ذلك

وسقط في مقعده وغطى وجهه بيديه وتملكه اليأس إذ فكر في أنها ستشقى وحدها جاهدة لتجدد البحث عن عمل . ففي المكان الوحيد الذي تعرفه كانت محوطة بعدم الاهتمام أو بالعداء ، وماذا تكون فرصتها بين الملايين من الباحثين عن الخبز في المدينة وقد عادت الى ذاكرته قصص تقيسة سمعها في ووتر ووجوه الفتيات اللاتي بدأن حياتهن في الامل مثل ماتي . . . انه من المستحيل أن يفكر في مثل هذه الاشياء دون أن تشور نفسه وهب واقفا فجأة وقال :

« لا يمكنك أن تذهبي يا مات . . . لا أدعك ترحلين ! انها دائما تنفذ رغبتها ولكنني عازم على أن أنفذ رغبتى الآن . . . »
ورفعت ماتي يدها في اشارة سريعة ، وسمع خطوات امراته من خلفه .

ودخلت زينة الغرفة في خطواتها المتتدة الهادئة وجلست سريعا في مقعدها المعتاد بينهما .

وقالت في صوتها الدائم الشكوى : « شعرت بذرة من تحسن وقد قال لي الدكتور بك أن من الواجب أن أكل ما استطعت كي أحتفظ بقوتي حتى ولو لم تكن لدى شهية للطعام » ومدت يدها الى ماتي لتناولها ابريق الشاي ، وكانت قد بدلت ثوب الخروج اللمين لديها بثوبها من الشيت الاسود وعلى كتفها الشال الاسمر اللون ، وهذا لباسها اليومي وقد بدت في سحنتها العادية ومسلكها المأوف ، وصبت لنفسها الشاي ومزجته بكمية كبيرة من اللبن ، واقتطعت قطعة كبيرة من فطيرة اللحم وبعض المخللات ثم أتت اشارتها العادية إذ تعدل من أسنانها ، وبدأت الاكل وتمسحت القطة بها بها لتسترضيها فانحنى عليها قائلة : « انك هرة طيبة » واعطتها قطعة من اللحم من طبقها وجلس ايتان صامتا ، بينما كانت ماتي تلوك طعامها في شجاعة ، وسألت زينة سؤالا أو سؤالين عن زيارتها

لبتسبريدج ، واجابت زينة فى صوتها العادى ثم اندفعت فى الحديث فقصت عليهما عدة اوصاف بارزة لامراض باطنية بين اصدقائها واقربائها وكانت تسدد نظرها لماتى وهى تتكلم وظهرت على وجهها ابتسامة باهتة زادت من عمق الخطوط بين انفها ورقبتها .

فلما انتهى العشاء قامت من مقعدها وضغطت بيدها الجزء المسطح من جسمها فيما فوق القلب وقالت فى لهجة لا تنطوى على الشر : « ان فطيرة اللحم التى تعملينها يامات تكون دائما ثقيلة على » وكانت قلما تختصر اسم الفتاة واذا فعات فهى علامة انود .

وأتمت كلامها قائلة : « أظن من الخير أن اذهب لايبحث عن مسحوق المعدة الذى جئت به فى السنة الماضية من سبرنجفيلد فأنى لم أستعمله منذ زمن بعيد وقد يفيد فى ازالة الالتهاب ورفعت مات عينيها وجرأت على القول : « هل آتى به لك يا زينه ؟ »

فأجابت زينه فى غموض وقد ألتمت احدى نظراتها السرية : « لا فانه فى مكان لا تعرفين عنه شيئا »

وخرجت من المطبخ وقامت ماتى وأخذت فى نقل الصحاف عن المائدة . وعندما مرت بمقعديتان تقابلت عيناها فى نظرة طويلة يائسة . وكان المطهى الدافى لا يزال هادئا كشأنه فى الليلة السابقة وقفزت الهرة الى مقعد زينة المتحرك ، وبدأت حرارة النار تقوى من عبيق ازهار الجيران يوم وقام ايتان وهو متعب واقفا على قدميه .

وقال : « سأنطلق الى الخارج لادور حول البيت » وذهب الى الممر ليحمل الفانوس .

وما أن وصل الى الباب حتى قابل زينه عائدة الى الغرفة . وكانت شفتاها ترتجفان غضبا وعلى وجهها الباهت حمرة التأثر وقد انحسر الشال عن كتفيها وهى تجرجره تحت أقدامها وكانت تحمل فى يديها قطع الطبق من الزجاج الاحمر .

وقالت وهى تنظر الى ايتان مرة ومرة الى ماتى « أحب أن أعرف
من عمل هذا »

ولم تتلق جوابا واستمرت تقول فى صوت مرتعش ،
ذهبت لاحضر المسحوق الذى خبأته فى علبة نظارة والدى القديمة ،
فى أعلى دولاب أوانى الخزف حيث أضع الأشياء التى أريد
الاحتفاظ بها ولا أحب أن تتداولها أيدي الناس « وهنا
انقطع صوتها وظهرت دمعتان صغيرتان على أهدابها وانحدرتا
فى ببطء على خديها • ثم عادت الى قولها : « ولا يمكن الوصول
لحرف الاعلى الا باستعمال سلم وقد وضعت الطبق الذى أهدهته
لي خالتي فياورامابل عمدا فى ذاك المكان حين تزوجنا ولم انزله
من مكانه الا عند تنظيف الدار فى الربيع وكنت عندئذ أرفعه
بيدى حتى لا ينكسر ! ثم وضعت قطع الزجاج باحترام على المائدة
وقالت فى صوت مرتعش : « أريد أن أعرف من فعل هذا »
وعند هذا التحدى استدار ايتان عائدا الى الغرفة وواجهها
قائلا : « استطيع ان أذكر لك الآن لقد كسرت الهرة »

« الهرة ؟ »

« هذا ما أقوله ! »

فصوبت نظرتها اليه ثم أدارت عينيها نحو ماتى التى كانت
تحمل مجموعة الاطباق الى المائدة •
ثم قالت « أريد أن أعرف كيف دخلت الهرة دولاب
الوانى ؟ »

أجاب ايتان « أظنها كانت تطارد الفئران ، فقد رأيت فأرا
فى المطبخ ليلة امس » •

فظلت زينه تجول بنظرها بينهما ثم أخرجت ضحكتهما
القريبة وقالت فى صوت عال : « انى أعرف ان هذه الهرة ذكية
ولكنى لم أتصور انها من الذكاء بحيث تجمع قطع الطبق الذى
كسرت وترجعها كل قطعة الى جانب الاخرى فوق الرف بعد
ان سقط بفعلها »

وجذبت ماتى ذراعها من الماء الساخن وقالت : « ليس لايتان
من ذنب يا زينه ، فالهرة هى التى كسرت الطبق ولكنى أنا

التي أنزلته من دولاب الاواني الخزف وأنا التي تستحق الموم على كسره . »

ووقفت زينه الى جانب بقايا كنزها وقد انتصب جسدها حتى لكانها تمثال الغضب ثم صاحت « انت التي انزلت طبقى ؟ لماذا » واصطبع خدا ماتي بلون آحمر براق وقالت : « !ردت أن يكون منظر مائدة العشاء جميلا ! » فقالت زينة :

« أردت أن تكون مائدة العشاء جميلة فانتظرت الى أن أدت ظهري وأخذت الشيء الذي اعتزبه أكثر من اى شيء آخر أمتلكه ولم أستعمله قط حتى عندما يأتى قس الكنيسة للفداء أو تأتي العمدة مارتا بيرس من بتسبريدج ! »

وانقطعت زينة عن اتمام عبارتها بشهقة كأن تعبر بها عن الخوف الذي انتابها لتدنيس هذا الشيء المقدس ثم عادت تقول : « انك فتاة شريرة يا ماتي سيلفر واني أعرف ذلك دائما فيك فهي الطريقة التي ابتدا بها أبوك ، وقد حذرني الناس منك فحاولت أن أحتفظ بأشياءى حيث لا تصل يدك اليها . ولكن يدك امتدت الى أنفوس ما أحرص عليه » واندفعت فى البكاء فترة قصيرة عابرة ثم عادت الى شأنها المعهود كتمثال من الحجارة .

وشرعت تقول : « لو أنى أصغيت الى رأى الناس لذهبت قبل الآن ولما حدث منك هذا » ثم حملت قطع الزجاج المكسور وخرجت بها من الغرفة وكأنها تحمل جثة هامدة .



عندما دعى ايتان الى المزرعة على أثر مرض أبيه دبرت له أمه غرفة صغيرة لاستعماله الخاص فيما وراء غرفة الضيوف التي لا يقيم بها أحد وفي هذه الغرفة أقام رفوفا كثيرة ثبتها الى الحائط بمسامير وصنع مقعدا واسعا على هيئة صندوق من بعض الألواح وعلق على الحائط المصنوع من جص صورة لابراهيم لنكون نتيجة زمنية عليها آراء للشعراء وحول بهذا الاثاث الضئيل أن يقلد بعض التقليد غرفة المكتب لدى قس عرفه في ووتر ، كان يعيره بعض الكتب ، وكان لا يزال يستعمل هذه الغرفة في الصيف ولكن حين جاءت ماتي للمعيشة بالمزرعة في الصيف أعطى لها الموقد فصارت الغرفة لا تسكن لعدة شهور في السنة .

قصد هذا المأوى بمجرد أن ساد السكون الدار وتأكد من تنفس زينة المنتظم أن مشادة المطهى ليس وراءها ما يعقبها . ولقد ظل ايتان وماتي صامتين بعد أن غادرتهم زينة ، لا يحاول أحدهما أن يقترب من الآخر . ثم عادت الفتاة الى عملها في تنظيف المطهى بعد العشاء وحمل هو الفانوس وذهب لدورته العادية حول الدار . وكان المطهى خاليا حين عاد اليه ولكن غليونه وكيس دخانه وضعا على المائدة وتحتها قطعة ورق انتزعت من غلاف اعلان بائع الحبوب ، وقد كتب عليها ثلاث كلمات « لا تحزن يا ايتان »

فلما ذهب الى غرفته المظلمة الباردة وضع الفانوس على المنضدة وقرأ هذه الرسالة مرة ومرة ، وكانت أول مرة كتبت له فيها ماتي رسالة . وكان امتلاكه لهذه الورقة يشعره بشعور جديد غريب هو أنها قريبة منه . ولكنها زادت من ألمه اذ ذكرته بأنهما منذ الآن سوف لا يجدان وسيلة للاتصال غير هذه الوسيلة فلا يجد من الحياة في ابتسامتها والحرارة في صوتها غير الورق البارد والكلمات الميتة .

هبت في نفسه حركات ثورية غامضة فيه من الشباب والقوة وعصارة الحياة ما لا يخضع بسهولة لتحطيم آماله . فهل يقضى سنى حياته ويبدلها الى جانب امرأة عنيدة تنطوى نفسها على المرارة ؟ لقد كانت أمامه فرص وظروف ضاعت واحدة فواحدة أمام ضيق ذهن زينه وجهلها واى نفع نشأ عن ذلك ؟ كانت أشد مرارة وأقل رضا ائة مرة عما كانت عليه حين

زواجها . وكانت اللذة الوحيدة التي بقيت لها هي ان تسبب له
الآلام ولقد قامت في نفسه الغريزة الطبيعية وهي الدفاع عن النفس
أمام مثل هذا العبث .

انه يعرف حالة رجل على الجانب الآخر من الجبل ، وهو
شاب في مثل سنه ، تخلص من مثل هذه الحياة التعيسة بان ذهب
الى الغرب مع الفتاة التي أحبها ، وقد طلق من زوجته وتزوج هذه
الفتاة ونجح في الحياة ، ورأى ايتان هذين الزوجين في الصيف
السابق في شلالات شاد حين جاء لزيارة بعض الاقرباء . وكانت
لهما ابنة صغيرة شقراء الشعر تضع في صدرها حلية من الذهب
وكانت ثيابها كثياب أميرة صغيرة ولم يكن نصيب المرأة المهجورة
أسوأ من الزوجة فقد نزل لها الزوج عن مزرعة واس استطاعت
بيعها . وبشمنها وبالنفقة المقدرة لها افتتحت مطعما صغيرا في
بتسبريدج ، وازدهرت أعمالها وصارت لها مكانتها . وقد أشعل
هذا التفكير جذوة في نفسه : لماذا لا يرحل في اليوم التالي مع
ماتى بدلا من ان يدعها ترحل وحدها وسيخفى حقيقته تحت
مقعد الزاحفة ولا تشك زينه في شيء الى أن تصعد لغرفتها
للراحة بعد ظهر ذاك اليوم فتجد رسالة على فراشها .

كانت دوافعه لاتزال سطحية ، فهب من مقعده وأشعل الفانوس
وجلس الى المنضدة ، وبحث عن ورقة فوجدها وابتدأ الكتابة :

« انى فعلت من أجلك يا زينة كل ما أستطيع فعله ، ولم أر أن
لذلك فائدة ، ولا ألومك على ذلك كما لا ألوم نفسي وقد يكون
من الخير أن ننفصل ، وسأذهب لأجرب حظى في الغرب وتستطيعين
أنتب أن تبعى المزرعة والطاحونة وتحفظى بالثمن . . »

وهنا وقف القلم عند هذه الكلمة التي نبهته الى ظروفه التي
لاترحم : فاذا وهب زينه المزرعة والطاحونة فماذا يبقى له لابتداء
حياة جديدة ؟ انه ليس على يقين من انه سيجد عملا في الغرب ،
ولم يكن ليخشى على نفسه من المحاولة وهو وحيد ، ولكن الموقف
يتغير حين تكون ماتى معتمدة عليه . وماذا يخبىء القدر لزينة ؟
ان المزرعة والطاحونة مرهونتان الى حدود قيمتها ، واذا وجدت
مشترى ، وهو أمر مستبعد ، فمن المشكوك فيه أن يتبقى لها
ألف دولار من الثمن . . وكيف تدبر أمور المزرعة ؟ ان ايتان
لا يخرج منها ما يقيم أوده الا بالعمل المستمر ، والملاحظة

الشخصية الدائمة ، ولا يمكن لزوجته أن تتحمل هذا العبء وحدها ولو كانت فى صحة أقوى هى عليه .

تستطيع اذن أن تعود الى أهلها وترى ماذا يفعلون من أجلها . . انه القدر الذى تريد أن تجبر ماتى عليه فلم لا تجرب به هى ؟ والى أن تكتشف مقره وتقيم قضية طلاق يكون على الراجح قد وجد عملا يربح منه ما يمكنه من أن يدفع لها نفقة مناسبة . أما الجانب الآخر من المسألة فهو ان يدع ماتى تذهب وحدها دون أن يكون هنالك أمل فى أن تجد من يعينها .

كان قد بعثر محتويات درج المكتب فى بحثه عن فرخ من الورق واذ أمسك بالقلم سقطت عيناه على نسخة من جريدة « نسر بتسبريدج » وكانت صفحة الاعلانات مطوية أمامه فى القسم الاعلى وقرأ فيها الكلمات المغربية : سياحة الى الغرب بأسعار مخفضة .

وجذب الفانوس الى قرب وقرأ الاجور بلهفة ، ثم سقطت الجريدة من يده ودفع الرسالة التى لم يتمها جانبا ، وكان منذ لحظة يفكر فيما يعيش عليه هو وماتى عندما يبلغان الغرب ، ولكنه رأى الآن أنه لا يجد حتى المال الذى يأخذها به الى الغرب ولم يكن الاقتراض مستطاعا فانه منذ ستة أشهر قدم ضماناته الوحيدة للحصول على المال ولعمل اصلاحات ضرورية فى الطاحونة وهو يعلم انه لن يستطيع اقتراض عشرة دولارات فى ستاركفيلد من غير ضمان . وأطبقت عليه الحقائق التى لا يمكن تجاهلها كما يفعل حراس السجن حين يضعون مذنبا فى الاغلال - لم يكن هنالك من سبيل - لاسبيل فانه سجين طول الحياة ، وسينطفىء الآن بصيص النور الوحيد فى حياته

عاد متثاقلا الى الارىكة ومدأعضاءه المرهقة حتى ليشعر أنه لن يتحرك من بعد وارتفعت الدموع الى حلقه ثم سارت فى طريقها فى ببطء الى جفنيه وهى كالنار المحرقة .

وبينما هو فى رقدته أخذ زجاج النافذة المواجه له يضىء تدريجيا ، ورصع الظلام حوله مربعا من سماء أبنارها ضوء القمر ، وكان غصن من شجيرة يقطع أحيانا هذا الضوء ، وهو غصن شجيرة التفاح التى كان يجد ماتى جالسة تحتها أحيانا فى ليالى الصيف عند عودته من الطاحونة . وقد اشتعلت بالضوء أطراف السحب الممطرة ، ثم ذهبى السحب وبرز ضوء القمر خالصا فى سماء زرقاء ، واستند ايتان الى رسغه وأخذ

يراقب المنظر وهو يزيد بياضاً ثم يزداد وضوحاً تحت تأثير القمر . وفى تلك الليلة كان يجب أن يأخذ ماتى الى ممارسة الانزلاق وهنالك كان المصباح الذى يضىء لهما الطريق . وأطل على منحنيات الجبال فى بريقها ورأى ظلال الغابات التى طليت أطرافها بالفضة واحمرار التلال كالاشباح وهى على وجه السماء وكان الليل بدا فى أبهى حلة ليسخر من تعاسته .

وغلبه الكرى وحين استيقظ كان برد الفجر فى الشتاء قد بلغ الغرفة فشعر بالبرد وتصلب جسده بالجوع وأحس بالحجل لانه جاع . ففرك عينيه وذهب الى النافذة وكانت شمس حمراء قد ظهرت على أطراف الحقول الرمادية اللون وراء أشجار تبدو سوداء منكسرة وقال لنفسه . . هذا هو اليوم الأخير لمات وحاول أن يتخيل الدار بغيرها .

وبينما هو واقف سمع خطوة من خلفه ودخلت ماتى سألته : « أكنت هنا طول الليل يا ايتان ؟ »

وكانت تبدو صغيرة ضئيلة فى ثوبها الرخيص وهى ملتحفة بشالها الاحمر وقد بدل الضوء الابيض لون بشرتها من اللون الباهت الى الشحوب حتى ان ايتان وقف أمامها لا يستطيع الكلام

وأستمرت تقول وقد صوبت اية عينين زال عنهما البريق « لا يد أن اطرافك تجمدت »

وأقترب منها خطوة وسألها : « كيف عرفت بوجودى هنا ؟ »

قالت : « انى سمعتك تنزل مرة ثانية بعد ان أويت الى فراشى وأصغيت طول الليل فلم أجذك تصعد ثانيا »

واجتمع كل ما يشعر به من عطف عند شفثيه فنظر اليها وقال : « سأذهب معك الآن لايقاد النار فى المطهى » .

وعاد الى المطهى وأتى بالفحم والاشباب ونظف لها الموقد فى حين انها أتت باللبن وبقايا فطيرة اللحم وعندما بدأت الحرارة تشع من الموقد ونفذ أول شعاع من الشمس الى أرض المطهى بدأت أفكار ايتان السوداء تذوب وتتحول الى أفكار أكثر رقة فخيّل اليه وهو يرى ماتى تقوم بعملها كعادتها فى كل صباح أنه من المستحيل أن تنقطع عن أن تكون جزءاً من المنظر وقال لنفسه انه

بالغ بلاريب فى معنى تهديدات زينة ، وانها أيضا ستكون أعقل
مع طلوع النهار .

وذهب الى ماتى وهى منحنية على الموقد ووضع يده على ذراعها
وقال لها وهو ينظر فى عينيها بابتسامة « أريد منك ألا تقلقى
أيضا »

فاحمر وجهها فى حرارة وهمست ترد عليه « لا يا ايتان!
سوف لا أقلق »

فأضاف قائلا « أظن أن الامور ستتحسن » .
فلم يتلق اجابة عن ذلك غير حركة سريعة لجفنيها واستمر
يقول « هل لم تقل شيئا فى هذا الصباح ! »

فأجابت : لا ! لم أرها بعد !

فقال : لا تهتمى اذا رأيتها !

تركها بعد هذا الرجاء وخرج الى حظيرة البقر وقد رأى يوتام
باول يصعد التل خلال ضباب الصباح وكان هذا المنظر الذى
اعتاده مما زاد الطمأنينة فى نفسه

وبينما كان الرجلان ينظفان أمكنة طعام البقر ارتكن يوتام
على منجلته وقال « سيذهب دانييل بيرن الى المنبسطات فى ظهر
اليوم ويستطيع أن ينقل حقيبة ماتى معه مما يسهل على أخذها
معى فى الزاحفة »

ونظر اليه ايتان فى ذهول فاستمر يقول « وتقول السيدة
فروم ان الفتاة الجديدة ستبلغ المنبسطات فى الساعة الخامسة
ويجب أن أذهب بماتى عندئذ كى تركب قطار الساعة السادسة
الى ستامفورد »

شعر ايتان بالدم يدب فى عروقه ومضت فترة قبل أن
يستعيد صوته ليقول « ليس من المؤكد ذهاب ماتى ! »

فقال يوتام فى عدم اهتمام « أهذا صحيح؟ » وعادا لعملهما
وعندما عادا الى المطبخ كانت المرأتان تاكلان فطورهما وكان
يبدو على زينه اليقظة والنشاط غير المعتاد وشربت فنجانين من
القهوة وأطعمت القطة بنتف من فطيرة اللحم ثم قامت من مقعدها
وسارت الى النافذة وشدت ورقتين أو ثلاثا صفراء من نبات
الجيران يوم وقالت فى تفكير « لا توجد ورقة صفراء لدى العمة
مازتا ولكن النباتات تذبل اذا ما أهمل شأنها » ثم التفتت الى
يوتام وسألت « تقول متى يأتى دانييل بيرن ؟ »

فألقى الرجل الاجير نظرة تردد نحو ايتان ثم قال « قرب
الظهر »

والتفتت زينه الى ماتى وقالت « ان حقيبتك أثقل من أن
تحملها الزاحفة وسيأخذها دانييل يرن معه »

فقلت ماتى : شكرا لك يا زينه •

وأتمت زينه كلامها فى صوت ثابت « أحب أن أفحص معك
الاشياء أولا فانى أعرف أن هنالك فوطه لا أجدها ، ولا أعرف ماذا
عملت بخزانة الكبريت التى كانت موضوعة وراء البومة المحنطة
فى غرفة الضيوف » •

وخرجت تتبعها ماتى ولما اختلى الرجلان قال يوتام لرئيسه
« أظن الاوفق أن أحبر دانييل بالمرور هنا »

وانتهى ايتان من أعمال الصباح العادية فى الدار وفى الجرن
ثم قال ليوتام « سأذهب الى ستاركفيلد ، قل فى الدار انى
لا أحضر للغداء »

وقد هبت فيه روح الثورة مرة ثانية فان الذى بدا له غير
مصدق فى ضوء النهار الذى يحمل على التعقل قد حدث فعلا
وعليه أن يشهد ابعاد ماتى وهو كالمتفرج الذى لا شأن له به •
ولقد أهينت رجولته بالدور الذى كان عليه أن يلعبه وبالتفكير فيما
لا بد أن يكون لماتى من رأى فيه • وتنازعت نفسه دوافع غامضة
وهو يسير فى القرية وعقد العزم على أن يعمل شيئا ولكنه لم
يعرف ما يفعله •

اختفى ضباب الصباح وبدت الحقول كأنها درع فضيه تحت
ضوء الشمس وكان يوما من الايام التى يبدو فيها بريق الشتاء
تحت غلالة باهتة من الربيع • وكانت صورة ماتى ماثلة أمامه
طول الطريق ولا يكاد يكون هنالك غصن يظلل السماء أو كومة
من الاعشاب المتشابكة على جانبيه يخلو من ذكرى براقه لها •
وذات مرة اخترق السكون نداء طير فى حرج جبلى فكان شديد
الشبه بضحكتها حتى أن قلبه انكمش ثم تمدد • وكل هذه
الامور آرتة أن من الواجب ان يفعل شيئا فى الحال •

وفجأة خطرت له فكرة ، هى أن أندرو هايل ، وهو رجل ذو قلب
رحيم ، قد يعدل رفضه ويقدم له مبلغا صغيرا من ثمن الاخشاب لو
علم أن حالة زينه الصحية تتطلب استئجار خادمة • وكان هايل
يعلم ما فيه الكفاية عن موقف ايتان ، فمن المستطاع ان يجدد له

الرجاء دون أن ينزل كثيرا عن كبريائه • فضلا عن ذلك ماقيمة
الكبرياء أمام غليان العواطف في صدره ؟

وكلما فكر في مشروعه كبر في نفسه الامل ، واذا كان
يؤثر في أذن مسز هایل فلا بد له من النجاح واذا كان في جيبه
خمسون دولارا فلا شيء يحول بينه وبين ماتى

كان غرضه الاول أن يبلغ ستاركفيد قبل أن يبرحها هایل
لعمله فهو يعلم أن النجار يقوم بعمل في طريق كاربورى ومن
الراجع أن يغادر منزله مبكرا فزادت سرعة ايتان في خطواته
انواسعة مع سرعة تفكيره وحين وصل الى أسفل تل المدرسة رأى
راحفة هایل تبدو من بعيد ، فأسرع ليقابلها ولكنه حين اقترب
منها رأى أن الذى يقودها هو ابن النجار الاصغر وان الجالس الى
جانبه ويبدو كشرنقة كبيرة وضعت مستقيمة وأبست نظارة
ان هى الا السيدة هایل فأشارا ايتان اليهما بالوقوف وأطلت
عليه السيدة هایل وقد أبرقت أساريرها وتجاعيدها بعلامئ العطف
قالت له « انك تسأل عن مستر هایل ؟ نعم ستجده فى الدار
الآن فهو لا يذهب للعمل فيما قبل الظهر ، وقد امتيقظ فاذا
به يشعر بشيء من آلام النقرس فحملته على أن يضع احدى لوزقات
الدكتور كايدر الكهل ويجلس الى جانب النار »

وكانت تنظر الى ايتان نظرة الوالدة فانحنت لتقول « انى
سمعت أخيرا من مستر هایل أن زينة ذهبت الى بتسبريدخ لترى
الطبيب الجديد • وانى لا سفة حقا لاشتداد وطأة المرض عليها
مرة ثانية ، فهل تظن أحدا هنا يستطيع أن ينفعها ؟ انى لا أعرف
أحدا فى هذا المكان شعر بوطأة المرض أكثر من زينه • وانى
لا تسأل ومستر هایل دائما : ماذا يكون من أمرها لو لم تجدك للعناية
بها ، وكنت أقول مثل هذا عن أمك فلقد كان القدر شديدا لوطأة
عليك يا ايتان فروم »

وأحنت له رأسها أخيرا علامة العطف بينما أخذ ابنها يستحث
الجواد ووقف ايتان فى منتصف الطريق وأخذت الزاحفة تتوارى
عنه وهو يحدق فيها

لم يتكلم اليه أحد بمثل العطف الذى أظهرته له السيدة هایل
منذ وقت بعيد وكان أكثر الناس لا تهمهم متاعبه أو أنهم يرون
من الطبيعى أن شابا فى مثل سنه يحتمل بلا شكوى عبء

حياة ثلاثة أشخاص عاجزين • ولكن السيدة هاييل قالت له « ان
القدر كان شديد الوطأة عليك يا ايتان فروم ! » وشعرانه أقل
انفرادا بالتعاسة فاذا كانت أسرة هاييل آسفة له فمن المؤكد أنها
تجيب نداه •

وابتداً ينزل فى الطريق الى دار الاسرة ، ولكنه بعد أن قطع
بضع ياردات توقف عن السير فجأة وقد ارتفع ادم الى وجهه •
ولأول مرة رأى فى ضوء الكلمات التى سمعها ما هو قادم على فعله
فهو ينوى الاستفادة من عطف أسرة هاييل للحصول على المال
منهم بوسيلة احتيالية • هذا هو الواقع الصريح للغرض الغامض
الذى دفعه رأسا الى ستاركفيلد

ولما أن رأى فجأة الى أى حد دفعه جنونه زال هذا الجنون عنه
ورأى حياته أمامه كما هى : انه رجل فقير متزوج من امرأة مريضة
اذا هجرها صارت وحيدة معدمة واذا وجد القوة على هجرها فانه
لن يفعل ذلك الا بخداع شخصين عطوفين أشفقا عليه
فاستدار وعاد أدراجه الى المزرعة فى بطاء



كان دانييل بيرن جالسا على باب المطهى فى زاحفته خلف جواد رمادى اللون غليظ العظام يدق الثلج بحافره ويقلب رأسه الطويل من جانب الى جانب

وذهب ايتان الى المطهى ووجد زوجته الى جانب الموقد ملتحفة بشالها فوق رأسها . وهى تقرأ فى كتاب « أمراض الكلى وطرق علاجها » جاءها بالبريد منذ أيام ناقصا بعض الطوابع فاضطرت لدفع رسوم البريد الزائدة عليه

ولم تتحرك زينه من مكانها ولم تنظر اليه حين دخل وبعد لحظة سأل « أين ماتى ؟ » فأجابته دون أن ترفع عينيها من صفحة الكتاب « ذهبت على الغالب لنقل حقيبتها ! » فارتفع الدم الى وجهه وسأل « تنقل حقيبتها . . وحدها ؟ » فردت قائلة « ان يوتام باول يقطع أخشابا ويقول دانييل بيرن انه لا يجرؤ على ترك الجواد »

ولم ينتظر زوجها حتى يسمع تنمة العبارة بل ترك المطهى وارتقى الدرج مسرعا وكان باب غرفة ماتى مغلقا فتردد لحظة أمام الباب ثم همس مناديا « مات ! » ولكنه لم يسمع جوابا فوضع يده على مقبض الباب

لم يدخل غرفتها من قبل الا مرة فى أوائل الصيف حين أراد أن يغطى بالجص شقا ظهر فى السقف ولكنه يذكر جيدا منظر كل شىء فيها فيذكر عطاء الريش بلونه الاحمر والابيض ومخدة الدبابيس الجميلة على الصندوق ذى الادراج وصورة أمها فى اطار من المعدن المطلى ووراءها باقة من الحشائش الملونة بالاصباغ ، وقد اختفت الآن كل هذه العلامات الدالة على سكنها الغرفة فصار منظر الغرفة عاريا جامدا كما كانت عندما دخلتها مع زينه فى أول يوم وصولها . وقد رآها جالسة فوق الحقيبة فى وسط الغرفة وهى فى الثوب الذى ترتديه يوم الاحد وقد أدارت ظهرها الى الباب وغطت وجهها بكفيها ، فلم تسمع نداء ايتان لانها تبكى ولم تسمع خطوته الى أن وقف خلفها ووضع يديه على كتفيها .

وقال : « مات ! كفى ! لا تبكى با مات ! » فهبت واقفة ورفعت اليه وجهها المبلل بالدموع وقالت : « ظننت يا ايتان انى لن أراك مرة ثانية »

فضمها بين ذراعيه واحتضنها بشدة ورفع الشعر الذى تدلى
على جبينها بيد مرتعشة
وقال : « لن ترينى مرة ثانية .. ! كيف .. ؟ »
فقالته وهى تبكى : « أخبرنى يوتام ألا ننتظر فى الغداء
وظننت ... »

فاتم عبارتها فى خشونة قائلا : « ظننت انى أردت ان انتهى
من كل ذلك .. ! »

وتعلقت به دون أن تجيب فوضع شفتيه على شعرها الناعم
الغزير كالحشائش فى المنحدرات الدافئة ، العطر برائحة كرائحة
فتات الاخشاب تحت أشعة الشمس .

ونفذ صوت زينة من الباب اليهما وهى تنادى من أسفل :
« يقول دانييل بيرن فلتسرعى اذا أردت أن تنقلى هذه الحقيبة »
فافترقا وقد اربدت ملامحهما وارتفعت الى شفتى ايتان
كلمات المقاومة ، الا أنها ماتت عندهما . ووجدت ماتى منديلها
وجففت عينيها ثم انحنى وأمسكت بمقبض الحقيبة .

ونحاهما ايتان جانبا وهو يأمرها : « دعيها يا مات .. ! »
فأجابت : « انها تحتاج الى شخصين لنقلها الى خارج الغرفة »
ونزل عند هذا الرأى وأمسك بالمقبض الآخر .. ! وتمكنا من
نقل الحقيبة الى الخارج ثم كرر القول : « دعيها .. ! »

ورفع الحقيبة الى كتفيه وحملها نازلا بها من السلم وقطع
بها الممر الى المطهى . وكانت زينة قد عادت للجلوس الى جانب
الموقد ، ولكنها لم ترفع رأسها من كتابها وهو فى سيره ، وتبعته
ماتى الى خارج الباب وساعدته فى وضع الحقيبة فى مؤخرة
الزاحفة ، ثم وقفا جنبا الى جنب على عتبة الباب يرقبان دانييل
بيرن يتخذ مكانه خلف جواده العنيف .

وخيل الى ايتان أن قلبه مشدود الى رباط تزيد من شدة يد
غير منظورة كلما دقت لحظات الساعة فى سيرها . وفتح ايتان
شفتيه مرتين ليخاطب ماتى فلم يجد صوتا ينطق به ، وأخيرا
حين استدارت للعودة الى الدار وضع يده عليها ليوقفها قليلا .
وهمس : « سأكون أنا السائق للزاحفة فى سفرك يا مات » .
فتمتت قائلة : « أظن زينة تريد أن أذهب مع يوتام » .
فكرر القول : « سأكون أنا السائق لزاحفتك يا مات .. »
ودخلت الى المطهى دون أن تجيبه ..

ولم يستطع ايتان ان يأكل فى الغداء وكان اذا رفع عينيه

وقعت على وجه زينة المجدد، وبدأ له أن جوانب فمها تنفرج في ابتسامة وقد اكلت بشهية معلنة أن حالتها الصحية تحسنت بتحس الجوى ، ودعت يوتام بأول إلى تناول نصيب آخر من الفول وكان من عاداتها تجاهر أمره ..

فإذا انتهى الطعام أخذت ماتى تقوم بعملها العادى من نقل ما وضع على المائدة وتنظيفها وغسيل الأطباق ، وجلست زينة بعد اطعام الهرة على المقعد المتحرك بجوار الموقد وبارح يوتام بأول مقعده فى تردد وهو عادة آخر من يقوم عن الطعام وتحرك نحو الباب .

وحين بلغ الباب استدار ليسأل ايتان : « فى أية ساعة أعود لاسافر بماتى .. ؟ »

وكان ايتان واقفا بقرب النافذة يملا غليونه بحركة آلية وهو يراقب ماتى فى حركتها ذاهبة وجائية ، فأجاب : « لا حاجة لمجيئك فسأذهب أنا بماتى الى المحطة » ورأى خد ماتى يصطف بالاحمرار وزينة ترفع رأسها فى سرعة ..

وقالت الزوجة : « أحب أن تبقى هنا بعدظهر اليوم يا ايتان ويستطيع يوتام أن يذهب بماتى ! »

وألقت ماتى نحوه نظرة توسل ولكنه كرر فى اختصار : « سأذهب معها بنفسى ! »

وقالت زينة فى صوتها المتزن : « اردت أن تبقى لتصلح الموقد فى غرفة ماتى قبل أن تأتى الفتاة الاجيرة فمئذ شهر لم يكن الدخان ينسحب جينا » .

فارتفع صوت ايتان فى غضب : « أظن أن ماكان مقبولا لدى ماتى يصح أن تقبله فتاة أجيرة ! »

وأصرت زنيه فى صوتها المتزن على القول : « أعلنتنى الفتاة القادمة أنها معتادة الإقامة بمنزل فيه فرن »

فرد فى سرعة : « اذن كان يحسن بها أن تبقى حيث هى ! » والتفت الى ماتى وقال لها فى صوت جاف : « فلتستعدى فى الساعة الثالثة يا ماتى ، فان لدى عملا فى كربورى »

كان يوتام بأول قد قصد الى الجرن وتبعه ايتان اليه وهو يستشيط غضبا وعارضاء ينتفضان بشدة وعلى عينيه غشاوة ويسير فى عمله وهو لا يدرى أية قوة تسيره ويمشى بقدمين ويعمل بيدين لا يكاد يدرى من أمرهما شيئا ، ولم ينتبه الى نفسه الا بعد أن خرج الجواد الاسمر وأوقفه بين مقبضى الزاحفة ورمى

باللجام على رأسه ، وربط المقبضين وشدهما فتذكر اليوم
الذى تأهب فيه مثل هذا التأهب ليذهب الى المنسبطات ويأتى
بقريبة زوجته . كان ذلك منذ أكثر من سنة بقليل بعد ظهر
يوم رائق مثل هذا اليوم فى جوفه نفحة الربيع ، وفى ذاك اليوم
انتفت الجواد الاسمر بعينيه الواسعتين وشم بأنفه يده كما
يفعل الآن فعادت اليه ذكرى الايام الخالية بين فترتين ،
وأصطفت أمامه يوما بعد يوم .

ورفع الغطاء من فرو الدب فى الزاحفة وصعد الى مقعده
فيها ، وسار بها الى الدار وعندما دخل المطهى وجده خالبا ،
ولكن حقيبة ماتى اليدوية ودثارها كانا الى جانب الباب ، فذهب
الى أسفل السلم وأصغى فلم يسمع صوتا من الطابق الاعلى
ولكنه ما لبث أن سمع حركة فى الغرفة المهجورة التى اتخذها
للبحث . ففتح الباب ورأى ماتى واقفة فى قبعتها رسرتها الى
جانب المائدة وظهرها اليه .

وبوغتت بدخوله واستدارت فى الحال وقالت :
« هل حان الوقت .. ؟ »

فسألها : « ماذا تفعلين هنا يا مات .. ؟ »

فنظرت اليه فى خجل وأجابت فى ابتسامة مترددة :

« كنت ألقى نظرة الى ما حولى .. هذا كل شيء .. »
وعادا الى المطهى دون أن يتكلمها ، وحمل ايتان حقيبتها
اليدوية ودثارها وسأل : « أين زينة ؟ »

فأجابته : « لقد صعدت الى غرفتها بعد الغداء مباشرة وقالت
انها تشعر بتلك الآلام المبرحة تعود اليها ، وانها لا تريد أن
يقلقها أحد .. »

سأل : « ألم تودعك ؟ ! »

فأجابت : « لا .. ! هذا كل ما قالته ! »

ونظر ايتان فى بطء حول المطهى وارتعد اذ قال لنفسه أنه
سيعود بعد ساعات اليها وحده ثم تغلب عليه الاغراق فى الخيال
فلم يستطع أن يصدق أن ماتى تقف أمامه للمرة الاخيرة ..

فقال لها فى لهجة تكاد تنم على الانشراح : « هيا بنا » وفتح
الباب وحمل كيسها الى الزاحفة ثم قفز الى المقعد وانحنى
ليدثرها بالغطاء فدلقت الى جانبه ثم صاح بالجواد :

« انطلق » ، بعد أن هز اللجام فسار الجواد فى هدوء ينحدر
من التل .

وصاح قائلا : « ان لدينا الوقت لنزهة طريفة » وبحث عن
يدها تحت الفرو وضغطها في يده ، وكان وجهها مختفيا ،
وشعر بدوار كأنه وقف في أحد أيام العطلة يتناول خمرا في
مقهى ستار كفيلد .

ووصل الى المدخل الخارجى للدار فخرج بالجواد الى اليمين
صاعدا في الطريق الى تسبريدج بدلا من السير في طريق ستار كفيلد
وجلست ماني ساكنة لا تبدى أية علامة تدل على الدهشة ،
ولكنها قالت بعد لحظة : « هل أنت عازم على الذهاب عن طريق
بحيرة الظلال ؟ »

فضحك وأجاب : « حذرت أنك ستعرفين . . »
وزادت التصاقا به تحت فرو الدب ، ولو أنه نظر جانبيا
حول كم سترته لما رأى غير مقدمة أنفها وخصلة متطابقة
من شعرها الاسمر وكانت الزاحفة تسير بهما في بطاء صاعدة
في الطريق بين حقول تلمع تحت ضوء الشمس الباهتة . ثم
اتجهت الى اليمين نازلة في طريق ضيق ، غرست على جانبيه
الاشجار وكانت أمامهما سلسلة من تلال ترى عليها بقع من
الغابات السوداء وتؤلف هذه التلال دوائر بيضاء متتابعة الى
ما وراء السماء . ثم انتقلت بهما الزاحفة من هذا الطريق الضيق
الى غابة صنوبر مليئة بكرات الصنوبر . . صبغتها الشمس
بالحمرة فيما بعد الظهيرة وتلقى أشجارها ظلالا خفيفة زرقاء على
الثليج ، وحين دخلا الغابة هدأت الرياح وكان الدفء والسكون
خيما مع ابر الثلج المتساقطة من الاغصان . . وكان الثلج هنا
ناصعا حتى أن الآثار الدقيقة لحيوانات الغابة قد تركت عليه
ما يشبه نقوش الدانتلا ، وتبدو كرات الصنوبر التى سقطت
على سطحه كحلى من البرونز .

واستمر ايتان يسير بالزاحفة في صمت الى أن بلغا قسما
من الغابة كانت الاشجار فيه أقل تكاثفا ، فوقف الزاحفة ،
وساعد ماني على النزول منها . ومرا بين الجذوع العطرة والثلج
يتكسر في جفاء تحت أقدامهما الى أن بلغا بحيرة صغيرة مجللة
بالاشجار ، وعلى سطحها المتجمد من الجانب المقابل لهما تل واحد
يرتفع الى كبد الشمس الغاربة ويلقى ظلا طويلا كالقمع ، ولذلك
سميت بحيرة الظلال ، وكانت بقعة سرية منزوية تنطوى على
مثل الحزن الصامب العميق في قلب ايتان !

وبحث في جوانب ذلك الشاطئ ذى الجص والاحجار الى
أن وقع نظره على جذع شجرة ملقى كاد يغطيه الثلج ، وأخذ

يوقد ذاكرتها قائلا : « هنا جلسنا عندما قمنا برحلة صغيرة »
وكانت تلك النزهة احدى انزهات القليلة التي اشترك فيها معاه
وهى رحلة نظمها الكنيسة بعد ظهر يوم طويل من أيام الصيف
السابق . فامتلا المكان بمرح المتنزهين وكانت ماتى قد رجته
فى أن يذهب معهم ولكنه رفض ، ثم حدث قبيل الغروب أن كان
نازلا من الجبل حيث كان يقطع أخشابا فقابل فريقا من المتنزهين
أوغلوا الى ناحيته فجذبوه الى الجماعة حول البحيرة . فرأى ماتى
وحولها عدد من الشبان المعجبين بها وهى فى مثل نضرة التوت
تحت قبعتها تعدلهم القهوة تحت نار هيئت فورا كما يفعل الفجر
وقد تذكر الخجل الذى اعتراه حين اقترب منها فى ثياب العمل
الرثة وكيف ان وجهها أضاء حين رآته وكيف انها اقتحمت الحشد
من حولها لتأتى اليه وفى يدها قدح من القهوة وقد جلسا بضع
دقائق على هذا الجذع الملقى الى جانب البحيرة وكانت قد سقطت
حلية صدرها الذهبية وأخذ الشبان يبحثون عنها ولكن ايتان
هو الذى رآها بين الحشائش . . كان هذا كل شىء . . ولكن جميع
اتصالاتهما تتألف من مثل هذه اللحظات المهمة التى
تباغتهما فيها السعادة كأنها فراشة عرضت لهما فى غابات الشتاء
قال : « لقد كانت حليتك هنا » ووضع قدمه على باقة من
أعشاب الأعناب البرية .

فأجابت : « لم أر أحدا له مثل هاتين العينين الحادثتين » . .
وجلست على جذع الشجرة فى الشمس وجلس الى جانبها
وقال : « لقد كنت جميلة فى تلك القبة الوردية كأنك صورة
من رسم فنان . .

فضحكت سرورا وقالت : « أظن القبة هى الجميلة » .
ولم يكونا قد اعربا عن ميولهما من قبل بطريقة ظاهرة وخيل
الى ايتان فى لحظة انه رحل طليق يغازل الفتاة التى يريد
أن يتزوجها فنظر الى شعرها وودلو يستطيع لمسه مرة ثانية
ويستطيع ليقول لها أن رائحته كرائحة الغابات ولكنه لم يكن قد
اعتاد قول هذه الاشياء مطلقا .

وهبت واقفة فجأة وقالت : « يجب الا نبقى هنا أكثر من
هذا . . ! »

واستمر يطيل النظر اليها وهو لم يستيقظ بعد من أحلاه
ثم أجاب : « لا تزال اماننا فسحة من الوقت . . »

ووقفا ينظر كل منهما الى الآخر كأن عيني كل منهما تحاولان
جاهدتين أن تشبع بصورة الآخر وتحفظ بها . . وكانت

هناك أمور يرى أن يقولها قبل افتراقهما ولكنه لا يستطيع قوتها
فى هذا المكان وبه ذكريات الصيف فاستدار وتبعها فى صمت
الى الزاحفة ، وتحركا ، بينما كانت الشمس تغيب خلف التلال
وتتحول ألوان كرات الصنوبر من الاحمر الى الرمادى ..

وعاد الى طريق ستاركفيلد بعد أن اخترقا ممرا ملتويا وكان
الضوء لا يزال ماثلا فى السماء ولا يزال ينعكس لون أحمر جاف
على التلال الشرقية وكانت جذوع الاشجار المتجمعة بين الثلج تبدو
كطيور وضعت رءوسها تحت أجنحتها ثم بهت لون السماء
فكانها ارتفعت أكثر مما هى تريد الابتعاد عن الارض
فلما بلغا طريق ستاركفيلد قال ايتان « ماذا تزمعين أن تفعل
يامات ؟ »

فسكتت قليلا ثم قالت أخيرا : « سأحاول أن أجد عملا فى
أحد الحوانيت الكبيرة »
فقال : « انك لتعلمين انك لا تستطيعين مزاولة مثل هذا العمل
فالوقت الطويل وقلة الهواء الطلق كادا يقتلانك من قبل »
قالت : « لقد صرت أكبر قوة بكثير منى قبل المجئ الى
ستاركفيلد »

فقال : « والآن ستضحين بكل ما استفدته فى هذه الفترة ! »
ويظهر أنها لم تجد جوابا لهذا القول وسارا فترة دون أن يتكلما
وكان ايتان فى كل ياردة من الطريق يجد بقعة ضحكا عندها
أو صمتا فتعود به الذكرى الى الماضى .
وسألها : « ألا يوجد أحد من أقارب أبيك يساعدك »
قالت : « لا يوجد بينهم من أحب أن أسأله المساعدة »
وكان صوته منخفضا حين قال : « انك تعلمين انى أقدر على
أى شئ من أجلك ! »

فأجابت : « انى لأعلم ذلك »
وقال : « ولكننى لا أستطيع »
وسكنت ولكنه شعر برعشة خفيفة فى الكتف الملاصقة له ،
فباح قائلا : « لو انى أستطيع أن أذهب معك الآن لفعلت .. »
فنظرت اليه وأخرجت ورقة من صدرها وتمتمت قائلة : « لقد
وجدت هذه الورقة يا ايتان ورأى بالرغم من الضوء الخفيف انها
رسالته الى زوجته التى بدأها فى الليلة السابقة ونسى أن يمزقها
وخالط دهشته شعور قوى بالسرور وصاح : « لو انى
أستطيع أن أفعل يامات ! هل تقبلين ؟ »
فقالت « ما الفائدة يا ايتان ؟ » ثم مزقت الرسالة فجأة قطعاً

صغيرة وأطلقتها فى الهواء حيث طارت وهبطت على الثلج .
فكر رسؤاله صائحا « أخبرينى يامات ! أخبرينى انى أرجوك ،
فصمتت فترة من الزمن ثم قالت فى صوت منخفض حتى اضطر
الى احناء رأسه ليسمعهان : « كنت أفكر فى هذا أحيانا فى ليالى
الصيف فقد كنت لا أستطيع النوم عندئذ حين يسطع ضوء
القمر »

وتمل قلبه بخمر هذا الاقرار وتمتم قائلا : « أكان الامر هكذا
من زمن بعيد ؟ »
فأجابته وكأن التاريخ ثابت لديها « كانت المرة الاولى عند
بحيرة الظلال »
فقال : « هل كان ذلك هو السبب فى أنك قدمت الى القهوة
قبل الآخرين ؟ »

فأجابته : « لا أعلم انى فعلت ولقد تضايقت كثيرا عندما أبيت
الذهاب معى الى الرحلة ، ثم حين رأيته نازلا من الطريق فكرت
فى انك ربما أردت الذهاب الى الدار عن هذا الطريق عمدا
فابتهجت لذلك »

وصمتا مرة ثانية . ووصلا الى مكان ينحدر فيه الطريق
سريعا الى حفرة عميقة وهو قريب من طاحونة ايتان وبنزولهما
نزل الظلام كأنه ستار أسود اسدل من غصون اشجار الهملوك .
فبدأ يقول : « انى موثق اليدين والقدمين يا مات فلا أستطيع
أن أفعل شيئا ! »

فأجابته : « يجب أن تكتب الى أحيانا يا ايتان »
فقال : وما الفائدة من الكتابة ؟ « انى أريد أن أمد يدي فألمسك ،
انى أريد أن أعمل من أجلك وأعنى بك : انى أريد أن أكون
حين تمرضين وحين تشعرين بوطاة الوحدة »

فقالت : « يجب ان تفكر انى لابد واجدة سبيلا للنجاح ! »
فقال : « تقصدين انك لا تحتاجين الى ؟ » أظن أنك ستزوجين ؟ !
فصاحت « ايتان ! »

قال : « لست أدري الشعور الذى ينتابنى اذا ما فكرت فى
هذا الامر يامات ! انى لا أفضل موتك على ذاك ! »

فبكت صائحة : « ياليت ذلك ! ياليت ذلك ! »
وأزاح صوت بكائها من نفسه ذلك الغضب المظلم وحل محله
شعور بالحجل

وهمس قائلا : « دعينا من الحديث على هذا النحو »
فقالت : « لماذا نترك الحديث فى الموت جانبا وهو أمنيته فى

كل لحظة من لحظات النهار !
فقال لها : « اسكتي يامات ! لا تقولى هذا انقول »
فقالت : « انى لم أجد حنانا قط من أحد الا أنت ! »
فقال : « لا تقولى هذا القول أيضا وأنا لا أستطيع أن أرفع
بدا من أجلك . »

فقالت « نعم ومع ذلك فانى أقول الصدق ! »
وكانا قد وصلا الى أعلى تل المدرسة وبدت ستاركفيلد تحتهما
فى ضوء الشفق ومرت بهما مركبة زاحفة وهى صاعدة من القرية
وللأجراس التى علقت بها رنين بهيج فاعتدلا فى جلستهما ونظرا
الى الامام وقد جمدا وجهاهما وكانت الاضواء فى الشارع
الرئيسى قد بدأت تلمع من واجهات المنازل وأخذ أناس
منتشرون هنا وهناك يقبلون الى الابواب الخارجية لدورهم ومس
ايتان ظهر الجواد بسوطه فركض فى تراخ

ولما اقتربا من أطراف القرية وصل اليهما صياح أطفال ورايا
عصبة من الغلمان واقفين فى الفضاء أمام الكنيسة ووراءهم
الزلاقات

فقال ايتان وهو ينظر الى السماء الهادئة أظنها آخر مرة
يمارسون فيها رياضة الانزلاق قبل يوم أو يومين
وسكنت ماتى فأضاف « كنا نريد الانزلاق فى الليلة الماضية ! »
ولم تتكلم مع ذلك وشعر برغبة غامضة فى أن يسرى عن نفسه
ويسرى عنها فى هذه الساعة الاخيرة التعة ، فقال :
« أليس من العجب أننا لم نذهب للانزلاق معا غير مرة واحدة فى
الشتاء الماضى »

فأجابت « انى لا أنزل للقرية الا نادرا ! »
فقال « هذا صحيح »

وكانا قد وصلا قمة طريق كوربرى، وبين المعالم غير الواضحة
للكنيسة فى بياضها اللامع والستار الاسود لاشجار فانورم،
كان المنحدر يمتد تحتهما دون أن تكون عليه زلاقة واحدة .
فاذا بدافع فجائي يحمل ايتان على أن يقول « هل تحبين أن
نمارس الانزلاق الآن »
فاغتصبت ضحكة وقالت : « كيف ! لم يبق لدينا وقت
لذلك ! »

قال : « ان أمامنا من الوقت متسعا لما نريد ! هيا بنا » وكانت
أمنيته الوحيدة الآن أن يؤجل لحظة الاتجاه بالجواد الى المنبسطات

فقالت فى تلعمش: «ولكن الفتاة !! الفتاة ستكون منتظرة فى المحطة»

قال « فلتنتظر ! انك كنت تنتظرين اذا تأخرت هى ! هيا بنا ! »

وكانت فى صوته نبرة الأمر فتغلب على اعتراضها ولما قفز من الزاحفة سمحت له بأن يساعدها قائلة فيما يشبه بقية من تردد « ولكنى لا أرى زلاقة واحدة على مقربة من هنا » . فقال : « هنالك تجدينها ! تحت ظلال الشجر »

ورمى بجلد الدب على ظهر الجواد الذى وقف هادئا الى جانب الطريق وقد أحنى رأسه فيما يشبه التفكير ثم أمسك بيد ماتى وجذبها وراءه نحو الزلاقة

فاتخذت مقعدها كرغبته وجلس هو خلفها ملاصقا لها حتى مس شعرها وجهه وناداهما قائلا : « هل أنت فى راحة يامات » وكأن عرض الطريق كان يفصل بينهما

فأدارت رأسها لتقول : « ان الظلام شديد ! فهل أنت واثق من الرؤية ؟ »

فضحك فى احتقار قائلا : « انى لأستطيع النزول فى هذا المنحدر وأنا مغمض العينين ! » وضحكت وقد سرتها جرأته . على أنه ظل لحظة يصوب نظره الى أسفل التل الطويل اذ كانت هذه الساعة أشد الاوقات المحيرة فى المساء فهى الساعة التى يختلط فيها آخر مابقى من ضوء السماء العليا مع الليل المسرع فتختفى معالم الارض وينخدع الناس فى المسافات وصاح « الآن ! »

وقفزت الزلاقة وطارا فى الظلام وهى تزيد سرعة فى انحدارها بينما الليل البهيم فاغر فاه تحتها والهواء يصفر لمرورهما كأنه صفير أرغن . وجلست ماتى ساكنة ولكن عندما بلغا المنحنى فى أسفل التل حيث تمتد شجرة البلوط الكبيرة ذراعا مميتا خيل اليه أنه أصابها شىء من الخوف فازدادت التصاقا به

فصاح فى حماسة قائلا : « لاتخافى يامات » وقد مرا بها فى سلام وطارا مندفعين فى المنحدر الثانى وحين وصلا الى الارض المستوية بعد ذلك وبدأت تخف سرعة الزلاقة سمعها تضحك ضحكة ارتياح صغيرة

ونزلا من الزلاقة وأخذا يصعدان التل قافلين سيرا على الاقدام وكان ايتان يجر الزلاقة بيد ويمسك باليد الاخرى ذراع مات .

وسألها فى ضحك أشبه بضحك الصبية « هل خفت أن
أصطدم بك فى شجرة البلوط »
فأجابت « قلت لك انى لأخاف من شىء وأنا معك ! »

وكان الحماسة الغربية التى استولت عليه قد أصابته باحدى
النوبات النادرة التى ينتابه فيها حب الزهو فقال لها « ومع ذلك
فان هذا المكان خداع ولو أننا أتينا أقل حركة لما عدنا مرة ثانية
ولكننى أستطيع قياس المسافات فلا أخطئ قيد شعرة - وكنت
دائما كذلك »

وتتممت قائلة : « انى أقول دائما أن عينك من أحد العيون ! »
وخيم السكون العميق مع الليل الخالى من النجوم واستند
كل منهما الى الآخر دون أن يتكلم ولكن فى كل لحظة من صعودهما
كان ايتان يقول لنفسه « انها آخر مرة نكون فيها معا »
وصعدا فى بطء الى قمة التل، ولما وصلا أمام الكنيسة أحنى
رأسه ليسألها « هل أنت متعبة » فأجابت وهى تتنفس فى سرعة:
« كان هذا عظيما »

وقادها بضغط ذراعه الى الاشجار النرويجية وقال: « أظن هذه
الزلاقة هى لند هايل وعلى كل حال سأتركها حيث هى » وذهب
الى الباب الخارجى لدار فارنوم وانحنى واسندها الى السور
وعندما انتصبت قامت به شعر بمانى قريبة منه فى الظلال .

وهمست وهى لا تكاد تسيطر على أنفاسها « هل هذا المكان
الذى قبل فيه ند خطيبته روث؟ » ورمت ذراعيها حوله وكانت
شفتها فى بحثها عن شفثيه تمران على وجهه وقد ضمها اليه
فى قوة وهو فى نشوة الدهشة .

وتتممت تقول : « وداعا ! وداعا » وقبلته مرة ثانية «
وصاح مكررا صيحته القديمة « لا أستطيع يامات أن أدعك
تذهبين ! »
وتخلصت من ذراعيه وسمعها تبكى وتقول « لا أستطيع أنا
فراقك ؟ »

فسألها « ماذا نفعل يامات ؟ ماذا نفعل يامات ؟ »
وأمسك كل منهما بيد الآخر كطفلين وكان جسدهما يهتزان
بعبرات اليأس وسمعا ساعة الكنيسة تقطع السكون وتدق
خمس دقائق

فصاحت « ايتان ! ايتان لقد حان الوقت ! »
وجذبها اليه وهو يقول « أى وقت حان ؟ هل تظنين انى أتركك
الآن ؟ »

فقالت « اذا لم أدرك القطار فأين أذهب ؟ »

فقال « واذا أدركته فأين تذهبين ؟ »

فسكتت وقد بردت يدها وتراخت فى يده
قال « ما الفائدة فى أن يذهب أحدها الى أية جهة دون الآخر؟ »
وظلت بلا حراك كأنها لم تسمعه ثم سحبت يدها من يده ولفت
ذراعيها حول رقبتة وأسندت خدابلله الدمع الى وجهه وقالت :
« ايتان .. ايتان ! أريد أن تنزل بى مرة ثانية . »
قال : « أنزل بك أين ؟ »

قالت: « الى المنحدر حيث لانصعده قط مرة ثانية »

فسألها : « مات ؟ ما غرضك وماذا تعنين ؟ »

والصقت شفتيها بأذنه وقالت : « سنطرح شجرة البلوط الكبيرة !
لقد قلت انك تقدر على ذلك فلا نفترق بعدها مطلقا »

قال : « بماذا تتحدثين ؟ هل أنت مخبولة ؟ »

فقالت : « لست مخبولة ولكنى أجن اذا تركتك ! »

فنادى اسمها فى أثنين : « مات ! مات ! »

فزادت قوة تعلقها برقبته والتصق وجهه بوجهها .

وقالت : « لا أعلم يا ايتان أين أذهب اذا تركتك ؟ ولا أعرف
كيف أسير وحيدة لقد قلت أنت ذلك الآن ! ولم أجد فى حياتى
عظفا الا منك .. وستأتى تلك الفتاة الغريبة الى الدار .. وتنام
فى سريرى حيث كنت أرقد فى الليالى وأنصت لأسمعك تصعد
فى السلم .. »

كانت هذه الكلمات كأنها فلذات اقتطعت من قلبه وجاء
معها شبح الدار الكريهة التى سيعود اليها ، والسلم الذى يجب
أن يصعد فيه كل ليلة ، والمرأة التى تنتظره هناك وكان ما ينطوى
عليه اعتراف ماتى من حلاوة ، ودهشته الجامحة حين عرف أخيرا
أن ما حدث له قد حدث لها أيضا مما زاد كراهيته للآخرى ،
واستقرت عنده الرغبة فى عدم العودة للحياة معها .

وكانت ترسلات ماتى تصل اليه فى بكاء متقطع ولم يعد يسمع
ما تقوله وقد انحرفت القبعة عن رأسها فأخذ ينظم شعرها بيده ،
وأحب أن تشعر يده بملس هذا الشعر ، وأن تظل راقدة فى
ثناياه ، كما ترقد البذرة تحت الاديم فى الشتاء . ووجد
فمها مرة أخرى وخيل اليهما أنهما الى جانب البحيرة معا فى

شمس أغسطس المحرقة • ولكن خده مس خدها فاذا هو باردمبلل
بالدموع ورأى الطريق أمامه الى المنبسطات وسمع صفير القطار
على السكة الحديدية .

وكانت الاشجار المحيطة تكسوها بحلة من السواد
والسكون ، وكأنهما فى نعشيهما راقدان تحت الثرى ، وقال
لنفسه « ربما أشعر هكذا ! ثم بعد ذلك لا أشعر بشيء ! »
وسمع فجأة صهيل الجواد الأسمر وفكر فى أن الجواد يستغرب
لماذا لم يقدم له عشاؤه !

وهمست ماتى وهى تشد يده « هيا بنا »

وقد تراجع لعنفها الحزين وكأنها يد القدر • فجذب الزلاقة
وأهدابه ترتعش كأنه طائر ليلي وهو يمر من ظلال الاشجار الى
ظلام الفضاء النقى • وكان المنحدر من تحتهم مهجورا وقد جلس أهل
ستاركفيلد الى عشاائهم • ولم يمر انسان بذاك الفضاء الواقع
أمام الكنيسة • وقد تلبدت السماء بغيوم تنذر بتساقط ثلج
غزير وكانت السحب منخفضة كما تكون قبل عواصف الصيف
وأجال عينيه فى الظلام وكأنهما أقل نفاذا وأقل مقدرة على
الرؤية من عادتهما

وجلس فى الزلاقة وجلست ماتى فى الحال أمامه وقد سقطت
قبعته على الثلج وكان فمه فى شعرها ومد رجله وثبت قدميه
فى الطريق ليحول دون اندفاع الزلاقة بين يديه ثم قام فجأة من
مقعده وأمرها قائلاً : « قومى »

قالها فى النغمة التى تعودت أن تحفل بها دائما ولكنها
تسمرت فى مكانها وأجابت فى شدة « لا ! لا ! لا ! »

— « قومى ! »

— « لماذا ؟ »

— « أريد أن أجلس فى المقدمة ! »

— « لا ! لا ! كيف تستطيع تسيير الزلاقة من المقدمة ؟ »

— « لسنا فى حاجة الى ذلك فسنبتع أثر الطريق » •

وكانا يتكلمان فى همس خافت كأن الليل يسترق السمع •

وثلج قائلاً « قومى ! قومى » ولكنها ظلت تتساءل : « لماذا تريد
الجلوس فى المقدمة ؟ »

تمتم قائلا « لآنى أريد أن أشعر بك ممسكة بى » وجرها
من مكانها لتقوم

ويظهر أنها رضيت بهذه الاجابة ! وانها خضعت لما فى صوته
من قوة وانحنى يبحث فى الظلام عن الطريق الذى شقه المنزلقون
وتركوا أثره على الثلج وثبت قوائم الزلاقة عليه فى عناية وانتظرت
الى أن جلس فى المقدمة وانزوت هى خلفه ولفت ذراعيها حوله
وشعر بأنفاسها فى رقبتة فارتعدت ثانية وكاد يقوم من مقعده ولكنه
فى مثل البرق تذكر ما ينتظره : انها على حق فهذا خير من الفراق
واستدار وجذب فمها الى فمه ..

وحين ابتداء السير سمع صهيل الجواد مرة ثانية وتذكر النداء
المعروف والصور المبهمة التى أثارها وقد انحدرت كل هذه
الذكريات معه فى المرحلة الاولى من الانحدار وكان فى وسط
الطريق منحدر شديد الانحدار ثم ارتفاع ثم انحدار طويل سريع
كالاحلام وشعر حين بدأ هذا الانحدار كأنه يطير حقا ، يطير
فى ليل تكتنفه السحب وتقع ستار كفيلا تحتها على مسافة
لاتقاس وانه ليبتعد كأنه ذرة فى الفضاء .. ثم ظهرت الشجرة
الغليظة فجأة فوجد رءوسها تتربص لهما فى منحنى الطريق
وقال وهو يصر على أسنانه : اننا نستطيع أن نقصدها ! انى أعرف
اننا نستطيع أن نقصدها .. »

وفى طيرانهما نحو الشجرة اشتدت مائى فى قبضة ذراعيها
حوله وكأن دماها سرت فى عروقه واهتزت الزلاقة مرة أو مرتين
تحتة ومال بحدّة كى يدفعها نحو الشجرة ، وهو يكرر مرة بعد
مرة « أعرف اننا نستطيع أن نقصدها » واخترقت ذهنه بعض
العبارات التى نطقت بها وظلت تتراقص أمامه فى الهواء وأخذت
الشجرة تتبين لهما ويزداد حجمها أمام عينيها وهما يقتربان
منها ودار فى خلدّه أنها فى انتظارهما وكأنها تعرف أمرهما
ولكن تمثل لعينيها فجأة وجه زوجته بغضونه الفظيعة وقد
ارتسم بينه وبين غايته . فأتى بحركة غريزية ليبعد هذا المنظر
عنه وتأثرت الزلاقة بهذه الحركة فتحولت ، ولكنه عدل من سيرها
وسار بها الى تلك الكتلة الضخمة السوداء البارزة ، وفى اللحظة
الاخيرة كان الهواء يمر بهما كأنه ملايين من الاسلاك المحماة
ثم كانت الشجرة ..

كانت السماء لاتزال مثقلة بالغيوم ولكنه فى نظرتة المصوبة
نحوها رأى نجما واحدا وظل يفكر فى ابهام هل هو النجم

« سيروس » أو هو ماذا ؟ ولكن جهد هذا التفكير أتعبه فأغمض عينيه وفكر في أن ينام . وكان السكون شاملاً بحيث سمع صوت حيوان صغير راقد تحت الثلوج وكان صوتاً خافتاً كأنه صوت فأر صغير، وفكر وهو متعب هل أصابه ضرر ثم فهم انه لابد أن يكون في ألم ، ألم شديد حتى لكأنه انتقل اليه بطريقة غريبة وسرى في جسده . وحاول عبثاً أن يزحف نحو هذا الصوت الصغير ومد ذراعه اليسرى فوق الثلج فاذا به يشعر بهذا النقيق الصغير أكثر مما يسمعه . وكان الصوت تحت راحة يده التي وقعت على شيء ناعم طرى . وكانت فكرة تألم الحيوان تزعجه ، وحاول أن يقوم من رقدته ولكنه لم يستطع وكان صخوراً أو كتلة ضخمة ترقد فوقه . ولكنه ظل يتحسس بأصابعه في حذر لعله يستطيع أن يجد هذا المخلوق الصغير ويعاونه ، ثم عرف فجأة أن هذا الشيء الناعم الذي لمسه هو شعر ماتى وأن يده على وجهها .

فزحف الى أن جلس على ركبتيه، وكان الثقل فوقه يتحرك بحركته ويده تمر على وجهها وشعر أن هذا الصوت الضعيف يخرج من بين شفتيها

واقترب وجهه منها وأذنه الى فمها ورأى عينيها تفتحان في الظلام وسمعها تهتف باسمه .

وتتممت متألماً « لقد ظننت اننا بلغنا ما أردناه يامات » ثم سمع صهيل الجواد من بعد ودار في فكره أنه كان يجب عليه الآن أن يطعمه

سكن ذلك الصوت الشاكي حين دخلت من باب ايتان فروم ولم أستطع أن أعرف من من المراتين كان يتكلم .

وقامت احدهما من مقعدها حين رأته وكانت امرأة فارعة القامة بادية العظام - لالترحاب بي فهي لم تلق على غير نظرة قصيرة تدل على الدهشة - ولكن لتأخذ في اعداد الطعام الذي تأخر تناوله لغياب فروم . وكانت ترمى على كتفيها دثاراً قديماً من الشيت وقد جمعت شعرها القليل الابيض من جوانب جبهتها وعقصته خلف رأسها بمشط مكسور . وكانت لها عينان باهتان غير شفافتين لا تنمان عن شيء ولا تتركان شيئاً وكانت شفاتها في مثل لون بشرتها باهتين شاحبتين .

أما المرأة الأخرى فأكثر شحوبا ونحولا وكانت جالسة في غير نظام على مقعد كبير الى جانب الموقد وعندما دخلت ادارت رأسها نحوى في حركة سريعة دون أن تقابلها حركة من جسدها ، وكان شعرها قد شاب كشعر زميلتها ووجهها تقلص وذهب لونه كزميلتها ولكنه كان في لون الكهرمان وفيه أغوار جعلت الأنف أكثر بروزا وزادت في عمق الخدين وكان جسدها تحت ثوبها الذي لا شكل له ثابتا لا يتحرك وعيناها السوداوان فيهما تلك النظرة الثابتة التي هي أشبه بنظرات الساحرات ، وهي اعراض الإصابة في السلسلة الفقرية .

وكان المطبخ حتى في ذلك الجانب من البلاد بادي الفاقة ، فالاساس من أخشن الانواع ، فيماعد المقعد الذي تجلس عليه المرأة ذات العينين السوداوين ، وهو بوقية من أثاث غرف الترف وابتيع من أحد المزادات . وكانت هنالك ثلاثة أطباق من الصيني الحشن ، وابريق للبن كسر فمه ، موضوع على مائدة عليها آثار السكين . ويوجد به كرسيان قاعدتهما من قش ، ومنضدة طويلة للمطبخ من الخشب غير المدهون أسندت الى الحائط المطلي بالجير .

قال فروم بلهجة تدل على الاعتذار ، وهو يتبعنى في دخولي الى المطبخ : « رباه ! ما أشد البرد هنا ! لا بد أن النار قد انطفأت » ولم تهتم المرأة الطويلة التي قامت نحو المنضدة بقوله ، ولكن الأخرى أجابة شاكية في صوت عال رفيع ، وهي جالسة في مقعدها من حولها المساند : « ان النار لم تشعل الا في هذه اللحظة ، فقد أخذ زينه النعاس ، وطال نومها ، وشعرت أن أعضائي تكاد تتجمد من البرد قبل أن أقدم على ايقاظها وأرجوها العناية بالنار » .

فعرفت أنها هي التي كانت تتكلم حين دخولنا . أما زميلتها فقد عادت الى المائدة تحمل بقايا فطير بارد محشو باللحم في صحن قديم معوج من صحنون الفطير . ووضعت حملها الذي لا تستجيب له الشهية وكأنها لم تسمع اتهام الأخرى لها .

ووقف فروم مترددا أمامها وهي تتقدم ثم نظر الى وقال « هذه هي زوجتي السيدة فروم » وبعد فترة تحول الى الجالسة في المقعد الكبير وقال « وهذه هي الأنسة ماتي سلفر »

تصورت السيدة هايل في رقة قلبها أنى هأكت في طريق المنبسطات ودفنت تحت زوبعة من الثلوج ، وكان سرورها

كبيراً عندما رددت إليها في الصباح التالي وشعرت اني ارتفعت وزدت مقاما في عينيها لما تعرضت له من أخطار وكانت دهشتها ودهشة السيدة فارنوم العجوز شديدة حين علمت أن جواد ايتان فروم القديم حملني الى وصلة كوربري وعاد بي منها في أسوأ عاصفة ثلجية في ذاك الشتاء وكانت دهشتها أكبر عندما علما أن صاحبه آواني ليلة في داره .

وشعرت أن في طيات دهشتها تطلعا خفيا لمعرفة آرائي فيما شاهدته في الليلة التي قضيتها في دار فروم وخيل الى أن خير طريقة للتغلب على تحفظهما لي أن ادعهما تحاولان التغلب على تحفظي ، ولذلك اقتصر على القول في نغمة واقعية أني قبولت مقابلة كريمة وقد دبر فروم لي فراشا في غرفة أرضية كانت على الغالب في أيام سعيدة أخرى غرفة للكتابة أو للدرس قالت مسز هايل في تفكير «أظن أنه في مثل هذه العاصفة لا يستطيع الا أن يؤويك في داره ولكني أظن مع ذلك أنه كان عزيزا على مستر فروم أن يفعل هذاواني لأعتقد انك الاجنبي الوحيد الذي وطأ أرض داره منذ أكثر من عشرين سنة ، فهو معتز بنفسه ، ولذلك لا يجب أن يذهب أقدم الاصدقاء الى تلك الدار ولا أعرف أن أحدا منهم يذهب اليها غيري وغير الطبيب ..»

فجرؤت على السؤال « هل تذهبين حتى الآن يامسز هايل ؟ » قالت « كنت أذهب كثيرا بعد الحادث على أثر زواجي ولكن خيل الى أنهم يشعرون بالحرج لرؤيتنا ثم توالى ظروف الايام وشغلتنى الشواغل .. ولكني أزورهم عادة قبيل رأس السنة الجديدة ومرة أخرى في الصيف ، غير اني أحاول أن أختار يوما يكون فيه ايتان بعيدا عن الدار فان منظر المرأتين في جلوسهما في الدار لما تنقبض له النفس . وأكاد أصعق حين أرى وجهه وهو ينظر في أركان داره العارية .. فلقد عرفت هذه الدار وأذكرها أيام أمه قبل أن تحل بهما الارزاء »

وكانت السيدة فارنوم قد أوت الى فراشها ولبشت وابنتها جالسين بعد العشاء على انفراد في غرفة الضيوف ، ونظرت الى السيدة هايل في تطالع لتعرف الى أى مدى يمكن أن أفضى لها بشئ وعرفت انها اذا كانت قد اعتصمت بالسكوت الى الآن فذلك لانها كانت تنتظر على مر السنين شخصا يكون قد رأى مارأته . وانتظرت حتى تزداد ثقتهابي رسوخا قبل أن أقول « حقا ان منظر الثلاثة معا أليم الوقع على النفوس ! »

وتقطب حاجباها الرقيقان دليلا على الالم وقالت « ان الامر كان فظيحا منذ البداية فلقد كنت هناك عندما حملا ووضعت، ماتى سيلفر فى الحجرة التى أقممت فيها، وقد كنت أنا وهى صديقتين وكان من المنظور أن تكون احدى رفيقاتى من الفتيات فى حفلة زفافى فى الربيع . . ولما تحسنت حالتها ذهب الىها وبقيت معها طول الليل وكانوا ينجدونهما بالادوية لتهدئتهما . ولم تكن تدرى من أمرها الا قليلا الى قبيل الصبح ، ثم رأيتها فجأة تسترد جميع حواسها وتنظر بعينيها الواسعتين وتقول : « لا أدرى لماذا أروى لك هذا الحديث كله؟ » وانقطعت مسز هايل عن الكلام وهى تبكى . ثم رفعت المنظار عن عينها ومسحت من الدموع ووضعتها فى مكانه بيد ترتعش تأثرا، وأتمت حديثها قائلة « أشيع فى اليوم التالى أن زينه فروم أرسلت ماتى على عجل لأنها أتت بفتاة أجيرة ولكن لم يستطع أحد أن يفسر السبب فى أنها كانت تمارس الانزلاق على الثلج مع ايتان فروم مع انه كان من الواجب أن يكونا فى طريقهما الى المنبسطات للحاق بالقطار . . ولم أعرف أنا مطلقا رأى زينه فى هذا ، حتى اليوم ولا أحد يعرف آراءها . . على كل حال حين سمعت هى بالحادث جاءت الى دار قس القرية . . وقد حمل ايتان اليها ، وحين قال الطبيب ان ماتى يمكن نقلها أرسلت زينه فى طلبها . فنقلت الى المزرعة »

سألت : « وظلت هنالك طول الوقت ؟ »

فأجابت مسز هايل فى بسالة « لم يكن هنالك مكان آخر تذهب اليه » وانقبض صدرى حين فكرت فيما يضطر اليه الفقراء اضطرارا !

واستمرت مسز هايل تقول « نعم ! لقد ظلت هنالك تقوم زينه بخدمتها وخدمة ايتان بقدر ما تستطيع ، وانه لمعجزة ما تقوم به اذا نظرنا الى شدة مرضها وكان المرض قد زال عنها عندما جاءها هذا الواجب . وليس ذلك لعدم حاجتها الى الطبيب فماتزال تنتابها نوبات المرض ولكنها وهبت القوة على العناية بالانثين طوال عشرين سنة وكانت تظن قبل الحادث أنها لا تستطيع العناية بنفسها ! »

وتوقفت مسز هايل لحظة عن الحديث ورحت أفكر فيما أوحى الى به كلماتها ثم تمت « ما أظع حظهم جميعا ! » وقالت « نعم ! انه لأمر سيء، ولا سيما انهم جميعا ليسوا على شئ من سهوله الطباع فقد كانت ماتى سيلفر لينة الطبع قبل

الحادث ولم أعرف فتاة أرق منها ولكنها تعذبت كثيرا - وهذا ما أقوله للناس عندما يتحدثون الى عن شدة تبرمها ، أما زينه فكانت دائمة ضجرة وعنيفة ولا أعنى أنها شديدة القسوة على ماتى فهي تتحملها بما يثير الإعجاب ، على أن الاثنتين كثيراماتتخاصمان فيكون وجه ايتان عندئذ فى حالة يرثى لها الناظر . . . وعندما أراه فى هذا الموقف أشعر أنه أكثر الثلاثة ألما . . . على كل حال ليست زينه أشدهم تألما اذ ليس لديها الوقت لذلك . . . وأنهت مسز هايل حديثها قائلة : «مما يؤسف له مع ذلك أن الثلاثة لا يجدون مكانا غير المطهى الذى يقيمون فيه وفى شهور الصيف فى الايام الصباحية منه يأخذون ماتى الى غرفة الضيوف أو الى فناء الدار فتكون الحياة أسهل لديهم ، أما فى الشتاء فلا بد من مجاورة النار وليس لدى آل فروم من المال ما يمكنهم من أن ينعموا بأكثر من موقد واحد »

وتنهدت مسز هايل تنهدا عميقا كأنها استراحت الآن من عبء ماحملته من ذكريات ولم يبق لديها ماتقوله ثم أخذتها فجأة نوبة من الاعتراف الكامل

فخلعت منظارها مرة ثانية وانحنى نحوى على المائدة المغطاة بغطاء من خرز منضد ، وقالت فى صوت خفيض « ذات يوم بعد الحادث بأسبوع اعتقد الناس أن ماتى سيلفر لا يمكن أن تعيش فقلت على كل حال ان حياتها ممالا يغتبط له . . . وقلت ذلك لقس القرية ، فتضايق من قولى ولكنه لم يكن معى فى ذلك الصباح الذى عادت فيه الى نفسها . . . وانى لأعتقد انها لو ماتت لكان ايتان اقرب للحياة منه الآن ، ففى أسلوب حياتهم الحاضر لا أرى فرقا بين آل فروم الساكنين فى أعلى المنحدر فى المزرعة ، وآل فروم الساكنين أسفل المنحدر فى القبور ، الا أن هؤلاء الاخيرين هادئون !! »

انتهت

غرام عانس

بفلم

ادیت لوارتون

ترجمة

لامی فاضل عبد السيد

غرام عانس

الجزء الاول

- ١ -

فى نيويورك القديمة ، حوالى منتصف القرن الماضى ، كانت أسر قليلة تسيطر على المجتمع فى بساطة ورخاء وكانت أسرة رولستون احدى هذه الاسر

فالانجليز الصلاب العود ، وأهل هولندا الحمر الوجوه الثقالب الاجسام ، امتزجوا وأوجدوا مجتمعا ثريا وحذرا وسخى اليد معا . وكانت أبهة المظهر والتأنق فى كل شىء مبدءا أساسيا يسير على هديه أفراد هذا المجتمع الحذر المؤلف من أصحاب المصارف الاثرياء ومن تجار جمعوا ثرواتهم من الهند ، وأصحاب مصانع السفن ، ومتعهدى تزويد السفن بأدوات الملاحة . . فأولئك القوم الشباب الثقالب الذين يبدوون فى عيون سكان أوربا عصبين مصابين بسوء الهضم ، لا لشىء الا لان تقلبات الطقس جردت جسامهم من اللحم الزائد ، وشدت أعصابهم أكثر من المعتاد قليلا ، عاشوا حياة على وتيرة واحدة ، كتلك التى يحياها أهل الطبقة العليا ، وماتوا ثمظهرها الخارجى قطعا كان يعتمل فى داخلها من حين لآخر من المأسى الحرساء . . لقد كانت النفوس الحساسة فى تلك الايام ، مثل مفاتيح البيانوالذى خفت نغمات الصوت فيه ، يلعب القدر عليها دون ما صوت

فى هذا المجتمع المحكم البنيان شغلت أسرة رولستون وفروعها جزءا من أكبر أجزائه . . وقد انحدرت تلك الاسرة من سلالة انجليزية من الطبقة الوسطى لم ترحل الى المستعمرات كى تموت فى سبيل عقيدة بل لتعمل وتنشئ حسابا بالمصارف أما النتيجة فكانت أكثر مما أملوا وقد أثرنجاحهم فى عقيدتهم الدينية، فكنيسة انجلترا المصفاة من الشوائب التى اتخذت لنفسها اسما وسطا فى البلاد الجديدة وهو «الكنيسة الرسولية للولايات المتحدة الامريكية» قد تنازلت عن العبارات الحشنة فى قداس الزواج، ومرت مر الكرام على الفقرات التأكيدية فى المذهب «الاتناسى» فظنت أنه مما يدعو الى الاحترام القول بأن «أبانا الذى فى السموات»

بدلاً من « أبانا من في ٠٠٠ » وكان هذا الاتجاه يلائم تماماً روح الوفاق التي كانت جزءاً من كيان أسرة رولستون ٠٠٠ لقد شمل السلالة كلها ذلك التردد الغريزي إزاء المذهب الجديدة وهو نفس ما يشعرون به إزاء الغرباء من الناس وكانوا يؤمنون بالنظام القائم فهم يمثلون العنصر المحافظ الذي يربط المجتمعات الجديدة بعضها ببعض كما تربط الحشائش البحرية ما بين البحر وشاطئه

وإذا قارنا أسرة رولستون بغيرها من الأسر المتمسكة بالتقاليد مثل آل لوفيل أو هاسي أو فاندرجريفز ، بدت هذه الأسر كلها عديمة الاهتمام بأمور المال ويكاد لا يوجد لها ضابط في اندفاعاتها وتردداتها . ولقد أدرك هذا الفرق جون فردريك رولستون الشيخ وهو المؤسس القوي لهذه السلالة وأبرز هذا الفرق في حديثه لابنه فردريك جون عندما أحس بأن به ميلاً طفيفاً لصحبة الكسالى والمتواكلين

قال له « يجدر بك أن تترك أسر لاننج وداجونت وسيندر لمراعاتهم ومبازلتهم فإن الدم الذي يجري في عروقهم هو دم عائلات الريف الغنية وما لنا شأن بهذا ٠٠ أنظر كيف بدأت ريحهم تذهب أقصد الرجال منهم ٠٠ دع أولادك يتزوجون من بناتهم إذا أردت (انهن ممتلئات صحة وأنيقات) وإن كنت أفضل أن أرى أحفادي يتزوجون من أسرة لوفيل أو فاندرجريفز أو من أى أسرة أخرى على شاكلتنا ولكن اياك أن تسمح لأولادك بأن يذرعوا الأرض مع أولادهم دون عمل نافع يقومون به ، ولا أن يذهبوا معهم إلى سباق الخيل أو يتجهوا جنوباً إلى أماكن الاستشفاء اللعينة أو يذهبوا للمقامرة في نيو أورليان وغيرها من الأماكن ٠٠ بهذا تقيم صرح الأسرة وتبعد عنها المتاعب وهو عين ما فعلناه دائماً ٠٠ »

استمع فردريك جون لكلام أبيه وأطاعه فتزوج فتاة من أسرة هاسي وسار هادئاً في نفس الطريق الذي سار فيه أبوه ٠٠ لقد كان من الجيل الحريص الذي ينتمي إلى خاصته أهل نيويورك أولئك الذين بجلوا هاملتون وخدموا جفرسون والذين تشوقوا إلى بناء نيويورك على صورة واشنطن فجعلوا منها ساحة مخططة كساحات لعب الكرة لكيلا يقال عنهم انهم غير ديمقراطيين من قوم يشعرون هم نحوهم باحتقار خفى ٠٠ ولأنهم تجار بالسليقة فقد وضعوا في نوافذ متاجرهم من البضائع ما كان الطلب عليه

شديدا . بينما احتفظوا بالانواع المفضلة لديهم في داخل محالهم
حيث ذوت وحال لونها تدريجيا لعدم استعمالها . .

لم يبق للجيل الرابع من أسرة رولستون شي من قبيل المعتقدات
غير شعور قوى بالشرف في مجال الاعمال والامور الخاصة . .
لقد استمدوا آراءهم عن المجتمع والدولة من الصحف اليومية
التي كانوا يشعرون نحوها بالاحتقار ولم تقم أسرة رولستون
بالكثير كي تؤثر في مصير الامة الا ما كانوا يبذلونه من مال للمعاونة
مذهبهم السياسي والديني عندما لم يكن في مثل هذا العمل ثمة
خطر . . لقد كانوا على صلة نسب بكثير من عظماء الرجال الذين
اقاموا صرح الجمهورية ، بيد أنهما من فرد من أسرة رولستون
حاول الوصول حتى الآن الى مستوى العظماء . . وعلى حد قول
جون فردريك الشيخ أنه من الاصول أن يقنع المرء بفائدة
مقدارها ثلاثة في المائة فقط ، اذ أنهم كانوا يعتبرون البطولة نوعا من
المقامرة . . . ومع ذلك فقد تهيأ لهم بسبب كثرتهم وتشابههم
مكان مهم في المجتمع . . ويقول الناس «هكذا فعل آل رولستون»
عندما يريدون أن يستشهدوا بالسوابق ، وقد أقنعت هذه
السلطة الجيل الثالث بأهميته في مجموعه شيئا فشيئا ، بينما
امتاز الجيل الرابع الذي كان مهزوج ديليا رولستون بسهولة
وبساطته وهما طابع الطبقات الحاكمة .

وفي حدود ما امتازوا به من الوعي العام قام أفراد أسرة
رولستون بما تعهدوا به من التزامات بوصفهم مواطنين أغنياء
محترمين . فكانت أسماءهم تظهر في قوائم المشروعات الخيرية
ذات التاريخ القديم كما منحوا المؤسسات الناجحة هبات سخية
وكان لديهم أحسن الطهارة في نيويورك وعندما سافروا الى
الخارج كانوا يطلبون من المثاليين الأمريكيين في روما من أصحاب
الشهرة الوطيدة أن يصنعوا لهم تماثيل وقد اعتبروا أول فرد
منهم أحضر لنفسه تمثالا شخصا غير متمدين ولكن عندما ذاع
أن التمثال قام بتمثيل عدة طلبات لأفراد الهيئة الاجتماعية
الانجليزية الراقية ساد الاسرة شعور بأن هذا العمل أيضا ماهو
الا مسألة استثمار بفائدة ثلاثة في المائة . . .

زيجتان مع أسرة فاندركريفرز الهولندي قد أدتا الى دعم صفات

الحرص والاسلوب الانيق في الحياة التي امتازت بها أسرة رولستون ، وأصبحت الشخصية التي تميزت بها هذه الأسرة وكونتها بكل دقة وعناية أصيلة فيهم الى حد أن ديليا رولستون كانت في بعض الاحيان تسأل نفسها هل لو أطلقت العنان لوحيدها في منطقة من مجاهل الارض غير المسكونة أفليس من المؤكد أنه ينشئ نيويورك صغيرة هناك وينصب نفسه عضوا في كل مجالس الادارة بها

تزوجت ديليا لوفيل من جيمس رولستون في سن العشرين .
والزواج الذي حدث في شهر سبتمبر من عام ١٨٤٠ احتفل به حسب العادة التي كانت سائدة حينئذ في قاعة الاستقبال بالبيت الريفي للعروس في المكان الذي يقع الآن عند نقطة تلاقي الشارع الاول والشارع الواحد والتسعين الذي يطل على الخليج الصغير .
ومن هناك أخذها زوجها في عربة صفراء اللون تملكها الجدة لوفيل مقعدها الامامي مكسو بقماش ذي حواش مدلاة، وجاس معها خلال الضواحي البعيدة والشوارع غير النظيفة التي تظللها أشجار الدردار ، وأخذها الى دار من الدور الحديثة في جرامرسي بارك التي كانت الطلائع الاولى للشبان قد بدأت تقيمها .
وهناك وفي سن الخامسة والعشرين صارت أما لطفلين وماكة لدخل طيب يمنح لها للصرف على ملابسها وأغراضها الشخصية وبالإضافة الى ذلك كانت باجماع الآراء واحدة من أكثر نساء عصرها أناقة ومن أحبهن الى القلوب ...

كانت تفكر في هدوء ورضى في تلك الاشياء وهي تجلس ذات مساء في مخدعها الانيق في جرامرسي بارك ...

كان قربها الشديد من أسرة رولستون يحول دون أن يكون لها رأى واضح عنهم شبيه بالرأى الذي يكن أن يكون لابن من أبنائهم . . .
لقد عاشت في رحابهم دون تفكير كما يعيش الانسان في ظل قوانين بلاده . . . ومع ذلك فان تلك الذبذبة الخافتة كأنها صادرة عن مفاتيح البيانو الخفيض الصوت ، وتلك الاسئلة الحفية التي تضطرب في نفسها في بعض الاحيان كما تضطرب الاجنحة . . . كانت تقيم من حين لآخر حاجزا يفصلها عنهم بحيث تستطيع للحظة عابرة أن تتأملهم من خلال الوشائج الكثيرة التي تصلهم

بأشياء أخرى . . لقد كانت اللحظة على الدوام عابرة وسرعان ما ارتدت عنها حسيرة النفس لاهثة فتييم وجهها شطراً ولادها وشئون بيتها وملابسها الجديدة هذه الحار الرقيق « جيم » . .
لقد فكرت فيه اليوم بابتسامة كلها عطف وهي تذكر قوله لها بالأ تبخل بالمال في شراء قبعتها الجديدة ، وهي وان كانت في الخامسة والعشرين من عمرها وأصبحت أما مرتين فان وجهها لا يزال جميلاً ناضراً على صورة تدعو الى الدهشة . . لقد كان امتلاء الجسم في ذلك الوقت من علامات الجمال في زوجة شابة ولقد غطت صدرها بقطعة من الحرير الرمادي اللون . وجعلت سلسلة ساعتها الذهبية الثقيلة تتدلى على صورة غير مأمونة في الفراغ الواقع في أعلى خصر دقيق مشدود الى حزام من المخمل ولكن الكتفين استدارتا في فتنة تحت شالها الكشمير وكانت تتحرك في خفة الفتاة . .

أخذت السيدة جيم رولستون تفحص راضية زينة القبعة التي لم تقتصد في ثمنها اطاعة لأم وزوجها . وكانت قبعة خفيفة مصنوعة من مخمل أبيض محوطة بأشرطة حريرية عريضة ومثبتة فيها ريشة بلورية تخطف البصر . . . قبعة زفاف جديدة لتلبسها في زفاف ابنة عمها شارلوت لوفيل الذي كان من المقرر حدوثه في ذلك الأسبوع في كنيسة « القديس مرقس ييوري » وكانت شارلوت على وشك أن تتزوج زواجا شبيها تماما بزواجها اذ تزف الى أحد أفراد عائلة رولستون من فرع ويفرلي بليس وما من زواج يفوق هذا سلامة وصحة أو يفوقه من حيث أنه شائع الحدوث مألوف في العائلتين . . لم تكن ديليا لتدرى السبب في أن كلمة مألوف قد قفزت الى رأسها ، فقلما تزوجت احدى بنات أسرته من أفراد أسرة رولستون في العادة ، بيد أن هذا الزواج كان أنموذجاً صالحاً لما تتمناه لنفسها أي فتاة جميلة من وسط راق .

ثم ماذا يكون بعد ذلك ؟

وما الذي يعنيه هذا السؤال الجديد ؟ بعد ذلك هناك طبعاً التسليم الخائق المحير للطلبات الملحة المفهومة من الشاب الذي تمنحه الفتاة خذا ورديا في مقابل خاتم الزواج ، وهناك السرير الكبير العريض والرعب المنبعث من رؤية الزوج يحلق ذقنه صباح اليوم التالي في غرفة الملابس وهو في جلباب النوم ، ثم هناك التهرب والتلميح والابتسامات المغتصبة والآيات المأخوذة من الانجيل المهدى من « ماما » ، وهناك ما يذكر بالفقرة

التي تشير الى طاعة الزوجة لزوجها وقد جاءت اليها من خلال ضباب قداس الزواج على قدر ما به من تألق ... ثم أسبوع أو شهر من الحزن الغامر ، والارتباك والمتعة المخطوفة ثم ينشأ التعود وينمو وتكون الاستقامة الدائمة التي تقود الى التسليم للأمور حين تحدث في ترتيبها الطبيعي ، ثم الغفوة التي تخلو من الاحلام في الفراش الكبير الابيض ، ثم مناقشة المطالب اليومية التي تبدأ عادة في الصباح الباكر والاستشارات التي تأخذ طريقها من خلال باب غرفة الملابس ذلك الباب الذي خيل اليها ذات مرة أنه يغلق على بؤرة مشبوبة تكون أذى في عين الفضيلة ..

ثم بعد ذلك الاطفال . الاطفال .. وقد يخيل للمرء أنهم تعويض عن كل شيء - وليسوا كذلك - وان كانوا قرة العين ، وليس لدى المرء فكرة محدودة عن ذلك الشيء الذي ضاع ، وهم يقومون بتعويضه !

أجل ان مصير شارلوت سيكون كمصيرها تماما فجو رولستون مثل ابن عمه الثاني جيم (وهو جيمس زوج ديليا) ولذا لم تر ديليا سببا في أن الحياة في المنزل الصغير المشيد بالطوب في ويفرلي بليس لا تشبه تماما الحياة في المنزل الكبير المبني بالحجارة السمراء في جرامرسي بارك .. كل ما هنالك أن غرفة نوم شارلوت لن تكون قطعا في جمال غرفتها ..

رمت ببصرها وقد غمر نفسها الرضى الى ورق الحائط الوارد من فرنسا والذي يصور خيوطا من الحرير المموج ذي الحافة المزركشة ، وكان السرير المصنوع من خشب الماهوجني والمغطى بملاء بيضاء مشغولة ينعكس في تناسق على مرآة خزانة ملابس متسقة معه في اللون ، كما تدلت نسخة ملونة من صورة «الفصول الاربعة» من رسم ليوبولد روبرت فوق جماعات من أفراد العائلة مصورة بالطريقة القديمة وموضوعة في اطارات محفورة ومطلية بطبقة من الذهب ، وهنالك ساعة الحائط من معدن البرنز المطلي بماء الذهب وهي تمثل فتاة ترعى الغنم تجلس على جذع شجرة ملقى على الارض وعند قدميها سلة من الازهار ومن خلفها راع قد فاجأها بقبلة بينما أخذ كلبها الصغير ينبح عليه وسط كومة من الورود .. كانت هذه الساعة ذات الهيئة البعيدة عن الاحتشام هدية قدمت لديليا من عمتها السيدة مانسون منجوت بمناسبة زواجها ، وهي أرملة متحررة عاشت في باريس ودعيت الى قصر التويلري .. لقد عهدت السيدة منجوت بهذه الساعة الى

كلمنت سبندر الشاب أثناء عودته من إيطاليا في أجازة قصيرة عقب زواج ديليا مباشرة ، ذلك الزواج الذي ما كان ليحدث قط لو كان في مقدور كليم سبندر أن يعول زوجة ، أو لو أنه وافق على أن يهجر التصوير وروما ويستبدل بهما نيويورك والقانون . . لقد أكد هذا الشاب (الذي بدا شاذاً أجنبى المظهر ساخراً بكل ما حوله) للعروس وهو مستغرق فى الضحك أن هدية عمتها كانت « أحدث شيء فى حوانيت باليه رويال » وكان أفراد الأسرة يعجبون بنوق السيدة مانسون منجوت وان أخذوا عليها « أجنبيتها » ولكنهم انتقدوا ديليا لوضعها الساعة فى مخدعها بدلا من عرضها فوق رف المدفأة بغرفة الجلوس . . . بيد أنها كانت تحب عندما تستيقظ من النوم فى الصباح أن ترى الراعى الجسور وهو يسترق قبلته . .

ما كانت شارلوت لتستطيع وضع مثل هذه الساعة الجميلة فى مخدعها فانها حتى ذلك الوقت لم يكن لديها الكثير من تلك الاشياء الجميلة وأبوها الذى توفى فى الثلاثين من عمره بحمى الرئتين كان واحدا من فقراء أسرة «لوفيل» بينما أرملته وقد ثقل عليها حمل العائلة الصغيرة اضطرت للمقام طول السنة عند أعلى النهر فلا تستطيع والحالة هذه أن تفعل الكثير لابنتها الكبرى ، ولذا فقد دخلت شارلوت الى المجتمع فى ملابس أمها القديمة وفى قدميها حذاء خفيف من الحرير ورثته عن عمة متوفاة كانت قد رقصت به مع القائد واشنطن . . وكانت قطع الاثاث ذات الطراز للقديم لدى أسرة رولستون تبدو فخمة فى عيني شاروت ، ومن انراجع أنها تعتبر ساعة ديايا أفرنسية الصنع شيئا خارجا قليلا أو حتى غير لائق تماما . . أن شارلوت مسكينة قد أصبحت متمسكة بأهداب الفضيلة ومغرقة فى التحشم منذ أن هجرت الحفلات الراقصة وعكفت على الاهتمام بأمر المحتاجين ! لقد لحظت ديليا فى دهشة ذلك التغير المفاجيء الذى شملها وتذكرت أن أفراد الأسرة كانوا مجمعين على أن شارلوت توشك أن تصبح عانساً فلما خرجت الى المجتمع تغير رأيهم فيها ، فهى وان كانت أمها عاجزة عن أن تهبها أكثر من ثوب حريرى واحد وان كان كل شيء فى مظهرها تقريبا يدعو الى الاشفاق ابتداء من شعرها الاحمر الفاقع حتى عينيها العسليتين الباهتتين الا أن هذه العيوب قد خفف منها خصر نحيل وقدم رشيقة وضحكة مرحة . . وعندما يصفف شعرها ويدهن جيدا استعدادا لحفلة مسائية يبدو بنى اللون وينسدل فى رقعة على خديها

الاثيلين تحت اكليل من زهور الكاميليا الحمراء والبيضاء ، فاذا
 رآها بضعة من الشبان الصالحين للزواج قالوا عنها أنها جميلة .
 ثم جاءها المرض . . . لقد أصابها البرد أثناء نزهة انزلاق في
 ضوء القمر فأخذت الدوائر الحمراء تزداد عمقا وبدأت تسعل
 وخرجت الاشاعة تقول انها «تسير في الطريق الذي سار فيه أبوها»
 وحملت الى قرية بعيدة في ولاية جورجيا حيث عاشت وحيدة لمدة
 عام مع مربية عجوز وعندما عادت شعر كل واحد في الحال أنها
 تغيرت فقد كانت متمتعة اللون زاد تحولها أكثر من أى وقت
 مضى ، ولكن خدها أصبح شفافا شائقا ، وكثر اللون الاسود في
 عينيها ، وزاد شعرها احمرارا . ومما زاد في طرافة مظهرها ارتداؤها
 للملابس البسيطة الفضفاضة . . . لقد هجرت حليها وزهدت في
 استعمال السلاسل الذهبية ، وارتدت دائما نفس الرداء الرمادي
 وقلنسوة صغيرة لاصقة بشعرها وظهر عليها حماس مفاجئ لزيارة
 المحتاجين . . . وفسرت العائلة هذا المسلك منها بأنه أثناء العام الذي
 أمضته في الجنوب صدمتها رؤية مناظر الفاقة الشديدة والتدهور
 الاجتماعي للفقراء من البيض المساكين واطفالهم وقيل ان رؤيتها لمظاهر
 التعاسة هذه جعلت من المستحيل عليها أن تعود الى حياة الترف
 وخلق البال التي اعتادها الشباب من أصدقائها . . . وما من أحد
 الا رأى هذا الرأي وكان رأيه واضحا في نظراته ، الا أن الجميع
 قرروا أن هذه الحالة العقلية الشاذة لا بد أن تزول في الوقت
 المناسب . وحدث في الوقت ذاته أن جدتها السيدة لوفيل العجوز
 - وقد فهمت ما بها بطريقة أفضل من طريقة الآخرين - قد وهبتها
 بعض المال لتنفقه على فقرائها ، وأعارتها غرفة في حظائر الخيول
 الخاصة بأسرة لوفيل ، فجمعت شارلوت حولها بعض أطفال الحي
 الفقراء ، ومن بينهم تلك الطفلة الصغيرة التي أثار نسبها اهتماما
 عميقا لدى الناس قبل ذلك الوقت بعامين أو ثلاثة ، حين أحضرتها
 سيدة محجبة ذات ثوب أنيق الى المسكن الحقيق الذي يسكنه
 سيروس واشنطن ، وهو الخادم الزنجي الذي تعمل زوجته باسمين
 غسالة في منزل الدكتور لانسكل . . . ومن المحتمل أن الدكتور
 لانسكل أشهر أطباء عصره كان مطلعا على التاريخ السرى لكل
 أسرة ابتداء من حى باتارى حتى يونيون سكوير بيد أنه بالرغم
 من محاصرة مرضاه له وتوجيه وابل من الاسئلة اليه فانه كان
 يصرح على الدوام بأنه لا يستطيع أن يعرف حقيقة السيدة المحجبة
 أو يحذر مصدر الشيك ذى المائة دولار الذي وجد مثبتا في ثياب
 الطفل .

ولم يتكرر مجيء المائة دولار قط كما لم تعد السيدة الى الظهور أبدا ولكن الطفل عاش في صحة جيدة سعيدا في حياته مع أطفال ياسمين وبمجرد ان استطاع الجبوا أخذ الى مدرسة الحضانة التي تديرها شاتي لوفيل حيث ظهر (كبقية الاطفال الفقراء في المدرسة) في ملابس صغيرة مأخوذة من أثوابها القديمة وجوارب شغلتها يداها التي لا تكف عن العمل ٠٠ ومع انهماك ديليا في شئون أطفالها هي ، فانها استطاعت أن تزور تلك المدرسة مرة أو مرتين وعادت من هنالك وهي تتمنى من صميم نفسها أن تجد غريزة الامومة عند شاتي لطريقها الطبيعي بالزواج ٠٠ لقد شعرت ابنة العم المتزوجة شعورا غامضا بأن حبها لأطفالها ماهو سوى عاطفة معتدلة الانفعال محدودة المجال اذا قورن بحب شاتي الشديد الجارف لأطفالها الهمل في حظائر خيول الجدة لوفيل .

بعد ذلك دهش الناس جميعا حين خطبت شارلوت لوفيل الى جو رولستون ٠٠ وشاع في نفس العام الذي عادت فيه الى المجتمع أن جو يعجبها ٠٠ كانت تجيد الرقص أما جو وكان فارغ العود خفيف الحركة فقد شاركها كثيرا من الرقصات الشعبية ٠٠ وقبل نهاية الشتاء تنبأ جميع ساسة الزواج بأن الموقف لا بد أن ينجلي عن شيء ما ولكن عندما حاصرت ديليا ابنة عمها بالاسئلة بدا من اجاباتها الغامضة واحمرار وجهها أن خطيبها قد عدل عن رأيه ٠٠ والآن ظهر جليا أن الذي كان بينهما لا بد أن يكون قصة غرام أعقبها ذلك العارض المثير « سوء تفاهم » وأخيرا أصبح كل شيء على ما يرام واستعدت أجراس كنيسة القديس مرقس كي تدق معلنة بدء أيام سعيدة في حياة شارلوت . وأخذت سيدات عائلة رولستون يرددن « سنرى عندما نضع طفلها الاول »

« شاتي » هكذا صاحت ديليا وهي تدفع كرسيها الى الوراء عندما رأت وجه ابنة عمها منعكسائي المرأة أمامها .

فوقفت شارلوت لوفيل عن السير عند باب الغرفة وهي تقول « اخبروني بوجودك هنا - لذا جئت اليك على عجل » فقالت ديليا : « أهلا أيتها العزيزة ٠ ما أجملك في هذا الثوب الحريري ! كنت دائما أقول ان الذي ينقصك هو الاثواب الغالية ٠٠ اني مرتاحة لتركك لبس الشيلان الكشميرية القائمة اللون . ثم رفعت ديليا يديها وأزاحت قبعتها البيضاء عن رأسها الفاحم اللامع وأخذت تهزها في لطف .

وقالت ضاحكة « آمل أن تعجبك ! لقد اشتريتها لمناسبة زواجك .. »

وقفت شارلوت لوفيل بلا حراك وكانت في ثوب أمهها الحريري وهو بلون الحمام البري وقد أضيفت اليه حديثا خطوط من الشرائط القانية اللون ، وعند الصد انغافة من الفراء وعلى الرأس قبعة جديدة من جلد كلب الماء ، وهكذا بدت عليها مسحة من العظمة والروعة خليقة بامرأة متزوجة .. ثم قالت ديليا وهي لا تنقطع عن التطلع اليها :

« ومع ذلك فان شعرك يبدو أكثر سوادا الآن أيتها العزيزة » فصاحت شاروت بصوتها العميق : « أكثر سودا !! انه أشيب » وأزاحت عن وجهها بعض الشرائط المعطرة وكشفت عن عارضتها فظهرت خصلة بيضاء وقالت : « لاتقصري في استهلاك هذه القبعة منذ الآن فلن يكون هناك زواج .. » بينما أفتر ثغرها عن ابتسامة كشفت عن أسنانها الصغيرة البيضاء اللامعة

وكان لدى « ديليا » من حضور الدهن ماجعلها تنحى القبعة جانبا حماية منها لريشها قبل أن ترقى على صدر ابنة عمها قائلة : « لن يكون هناك زواج يا شارلوت ! هل وصل بك الجنون الى هذا الحد ؟ »

فقالت شارلوت :

« هل من الجنون أن أفعل ما أعتقده صوابا ؟ » وضحكت ديليا قائلة في صوت متقطع : « ولكن الناس قالوا انك كنت على وشك أن تتزوجه في العام الذي خرجت فيه الى المجتمع ، ولم يعرف أحد حقيقة ما حدث حينئذ .. والآن ليس في وسعك أن تمتنع عن الزواج .. »

قالت شارلوت لوفيل في اعياء « مالي وللناس ! » ورمقتها ابنة عمها المتزوجة بنظرة واجفة .. وكان في صوتها رجفة ماعهدتها ديليا فيه قبل الآن قط أو في أى صوت بشري آخر وكان أصداءه البعيدة قد أخذت تهزكيان عالمها المألوف هزا ، وكان السجاد يتأرجح تحت قدمي ديليا المرتعشتين .

ووقفت شارلوت لوفيل تحديق في الفضاء أمامها وفي عينيها العسليتين المفتوحتين لاحظت ديليا النقط الخضراء التي تظهر فيهما عادة كلما استولى عليها الغضب أو تملكها الاضطراب ! ثم قالت وهي تجذبها الى جوارها على المقعد المستطيل :

« شارلوت خبريني بالله من أى مكان أنت قادمة الآن ؟ »
- « أى مكان تقصدين ؟ »

- « أجل يبدو عليك كأنك قد رأيت شبحا - بل جيشا من
الاشباح »
وداعبت شفيتها نفس الابتسامة القاسية وهى تقول « لقد رأيت
جو ... »

فصاحت ديليا وقد أشرق عليها نور فكرة جديدة : « لاتقولى بأنك
عرفت شيئا عن حياة جو الماضية ! حتى لو كان هناك شيء ... »
ثم زفرت بشدة واستمرت تقول فى شجاعة « حتى لو سمعت أنه
كان ... ان كان لديه طفل ... كان خليفا به أن يبرر لك
تصرفه ... »

فهزت الفتاة رأسها وقالت « أعرف ذلك ولا حاجة بك
للاستمرار فالرجال سيظلون دائما هكذا ولكن المسألة ليست
ما تظنين »

- « خبريني اذن ماهى ؟ »
أدارت شارلوت لوفيل بصرها فى الغرفة المشمسة الانيقة كما
لو كانت تمثل عالمها الذى تعيش فيه وكما لو كان ذلك العالم
سجنا عليها أن تفر منه ، ثم خفضت رأسها وهى تقول لاهثة :
« أريد - أن أهرب ... »

- « تهربين ؟ من جو ؟ »
- « من آرائه - آراء أسرة رولستون » .
فشمخت ديليا بأنفها ، فهي على أى حال من أسرة رولستون !
ثم ابتسمت ابتسامة باهتة وقالت « آراء أسرة رولستون ؟ - لم
أجدها سيئة الى الحد الذى يصبح معه العيش متعذرا ... »
- « كلا ولكن الامر جد مختلف ... لم يطلبوا منك ان تنزلى عن
أشياء خاصة ... »

- « أى أشياء تقصدين ؟ ماذا لدى شارلوت المسكينة من أشياء
يطلب اليها أن تنزل عنها ؟ لقد كانت دائما فى مقام الاخذ اكثر
مما كانت فى مقام العطاء ... »

وقالت لها فى الحاح « ألايمكن أن تفصحى أكثر من هذا أيتها
العزيزة ؟ »

صاحت الفتاة فى همس كسير « أطفالى الفقراء - يقول ان على
أن أنزل عنهم ... »

- « تنزلين عنهم ؟ تكفين عن مساعدتهم ؟ »

« يريد منى أن أكف عن رؤيتهم وعن العناية بهم ! لقد أرسل الى أمه كي تخبرنى بذلك . . . فبعد أن يكون لنا أطفال . . . انه يخشى أن تصيب العدوى أطفالنا . . . طبعاً سوف يهينى بعض النقود لكى أستخدم شخصاً يعنى بهم . . . يظن ان هذه الطريقة لائقة . . . » ثم أخذت شارلوت تشهق بالبكاء وأزاحت القبة عن رأسها وأخفت عينيها الباكيتين فى الوسائد .

جلست ديليا وقد استولت عليها حيرة شديدة اذ من بين كل المضاعفات غير المتوقعة كان هذا بالتأكيد آخر شئ يمكن تخيله، ولكنها مع ذلك لم تجد مفراً من الاعتراف بصواب فكرة جو بعد ما كسبته بالانتساب الى أسرة رولستون ، بل هى تقره على رأيه ، فما من فرد فى نيويورك الا يذكر وفاة وحيد « هنرى فان درلیدن » التعس وقد أصابته عدوى الجدري من السيرك بعد أن أخذته اليه مربية لا ضمير لها دون علم والديه . فبعد تحذير كهذا شعر الآباء أنهم على حق فى كل ما يتخذون من احتياطات ضد العدوى ، فان الفقراء من الناس على كثير من الجهل والاهمال فتتعرض أطفالهم على الدوام للعدوى ، كلا لقد كان « جورولستون » قطعاً على حق وشارلوت على خطأ فاضح ، ولكنها لم تجد فائدة ترجى من وراء اخبارها بذلك الآن . فتمهلّت فى مصارحتها برأيها . وهمست فى أذن شارلوت تقول « ان الامر مرهون بولادتك أطفالاً - وقد لا تلدين - قبل مرور بعض الوقت . . . »

قالت فى صوت حزين وهى تخفى وجهها فى الوسائد . . .
« أجل سوف ألد ! »

فابتسمت ديليا ابتسامة العارف وقالت « فى الحقيقة يا شاتى لا أستطيع أن أدرك تماماً كيف تعرفين أنك سوف تلدين . . . انك لا تفهمين هذا . . . »

رفعت شارلوت لوفيل نفسها عن المقعد وقد انحلت أربطة رقبتها المصنوعة من حرير بروكسل وتدلّت جوانبها بغير انتظام على النصف الأعلى من ثوبها المتكسر . ومن خلال شـعرها المشعث التمتعت الخصلة البيضاء مما يبعث الانقباض الى النفس . وفى عينيها العسليتين سبحت النقط الخضراء الصغيرة كما تسبح أوراق الشجر فى بركة لصيد السمك .

قالت ديليا لنفسها « يا لها من مسكينة ! انها تبدو كبيرة السن قبيحة وهى أقرب الى منظر العانس الآن ويظهر أنها لا تدرک أبداً أن الفرصة لن تسنح لها مرة ثانية ! »

ثم قالت لها : « يجدر بك أن تكونى عاقلة يا عزيزتى شاتى •
على أى حال من واجب الفرد أن يعنى بأطفاله قبل أن يعنى بأطفال
الآخرين • »

قالت الفتاة وقد قبضت على يديها بقوة •• « تلك هى المسألة
•• كيف أستطيع أن أنزل عن طفلى ؟ »

— « طفلك •• طفلك •• ؟ » مرة ثانية بدأ عالم ديليا يهتز تحتها
وسألتها وهى تتذرع بالصبر « أى طفل من الاطفال الهمل المساكين
تعدينه طفلك ؟ »

نظرت « شارلوت » الى عينيها مباشرة وقالت « ان طفلى هو طفلى
حقا »

— « طفلك •• ؟ احذرى •• انك تؤذين يدي ياشاتى ! » وخلصت
ديليا نفسها وابتسمت ابتسامة مغتصبة وقالت « طفلك ؟ »
— « طففتى الصغيرة •• الطفلة التى تولتها ياسمين وسيروس »

وزفرت ديليا رولستون زفرة طويلة •
وجلست المرأتان كل منهما فى مواجهة الاخرى دون كلمة •
ولكن ديليا أشاحت بوجهها جانبا • لقد شعرت بقشعريرة
الاشمئزاز تسرى فى بدنهما بينما تحدثها نفسها بأن مثل هذه
الاشياء حتى لو لم يكن بد من فعلها كانت لتقال فى مخدعها
وبالقرب من مخدع الاطفال الطاهر على الجانب الآخر من الممر ••
وبحركة آلية أخذت تعدل من ثنيات ثوبها الحريري التى
أسقطها احتضان ابنة عمها لها وبعد ذلك نظرت مرة أخرى فى
عيني « شاتى » فتلاقت النظرات وهى تقول « أواه يا شاتى
المسكينة ! » ثم مدت ذراعيها لابنة عمها •



استمر الراعى يسترق قبلته من الراعية كما استمرت الساعة
فى الجذع الساقط تدق الثوانى

وجلس « ديليا » جامدة لا تشعر بمرور الوقت بينما تشبثت
بها ابنة عمها . . لقد عقد الرعب لسانها وأخذها العجب عندما
عرفت أن دمها يجرى فى عروق اللقيط المجهول « طفل المائة
دولار » الذى ظل وقتا طويلا هدفا لسخرية أهل نيويورك المكتومة
اوطنونهم الخفية . . كان هذا أول اتصال لها بالجانب الخفى فى
الهيئة الاجتماعية وأحست بالأسى لان مثل هذه الاشياء تحدث
وتقال فى دارها ولائها - هى ديليا رولستون - تسمعها
من شفتى الضحية ! اذ كانت شاتى طبعاً هى الضحية - ولكن
ضحية من ؟ انها لم تذكر أسماء ولم تستطع ديليا أن تسأل أى
سؤال : لقد ختم الرعب على فمها فما استطاعت كلاماً . . وفى
الحال كان فكرها قد ارتد الى الوراء منقبا فى ماضى « شاتى »
ولكنها لم تغتر فيه على رجل غير جورولستون وأن ربط « جو »
بالحدث أمر بعيد الاحتمال . . اذن هو شخص ما من الجنوب ؟
ولكن كلا فلقد كانت « شارلوت » مريضة عندما سافرت الى هنالك
. . وفى لحظة خاطفة فهمت ديليا حقيقة ذلك المرض وسر اختفائها
. . ولكن عقلها ارتد عن هذا الضرب من الحدس وتركز اهتمامها
بدافع غريزى حول شىء استطاعت أن تدرك كنهه : فمثلا مسلك
جورولستون ازاء فقراء شاتى . . بطبيعة الحال لم يكن « جو » ليسمح
لزوجته بأن تخاطر بجلب العدوى الى منزلها . . وكان هذا أمراً
يجدر الوقوف عنده . . لا بد أن زوجها « جيم » كان يفكر بنفس
الطريقة . . ولا بد انها كانت توافقه على رأيه .

وعادت عينها تتطلع ان الى الساعة . . كانت دائماً تفكر فى
« كليم سبندر » عندما يقع بصرها على الساعة وفجأة تسألت
- لو اختلفت الاوضاع - كيف تكون اجابته لو أنها وجهت اليه
نفس الرجاء الذى وجهته شارلوت الى « جو » . . . كان أمراً
يصعب تخيله ومع ذلك ففى ومضة خاطفة أمكن لديليا أن ترى نفسها
كزوجة « كليم » ورأت أطفالها على أنهم أطفاله ، وتخيلت نفسها
وهى ترجوه أن يدعها تستمر فى العناية بالاطفال الهمل المساكين
المقيمين فى حظائر الخيول وسمعت ضحكته الواضحة واجابته

الساخرة : « ولم السؤال أيتها الأوزة الصغيرة ؟ هل تعتبرينى متعصبا لآرائى الى هذا الحد ؟ »

أجل ! كان هذا « كلیم سبندر » بكل صفاته - متسامحا مستهترا لا يقيم وزنا للنتائج ، سباقا دائما لفعل الخير فى اللحظة المناسبة وكثيرا ما يترك الآخرين يسددون الحساب ولقد قال جيم ذات مرة بطريقته الحشنة .. « توجد ناحية حقيرة فى شخصية « كلیم » .. ثم أيقظت ديلىارولستون نفسها وشدت قبضتها على ابنة عمها وهى تهمس فى أذنها « شاتى .. خبرينى »

- « ليس لدى شىء آخر » ..

- « أقصد أن تحدثينى عن نفسك .. عن هذا الشىء .. هذا .. » لقد كان صوت كلیم سبندر لا يزال يرن فى أذنيها وهى تقول فى صوت خفيض : « هل أحببت شخصا ما ؟ » فأجابت !

« أجل ، ولكن انتهى هذا الآن ، ولم يبق سوى الطفل .. وفى استطاعتى أن أحب « جو » وبطريقة أخرى .. » وشدت شاتى لوفيل من جسمها بينما بدا عليها الابعاء والجهد .. ثم قالت :

« أريد المال .. يجب أن أحصل عليه من أجل طفلى والا فانهم سوف يبعثون به الى ملجأ » وتوقفت ثم قالت « ولكن ليس هذا كل شىء .. أريد أن أتزوج .. أن أصبح زوجة مثلكم جميعا .. فى استطاعتى أن أحب أطفال « جو » - أطفالنا ... فالحياة لا تعرف التوقف ... »

- « كلا ان الامر كما تقولين ولكنك تتحدثين كما لو كان الشخص الذى غرر بك .. »

- « لم يغرر بى أحد .. لقد كنت وحيدة وكنت شقية فقابلت من كان وحيدا شقيا .. وليس لكل الناس ما لك من حظ .. كان كلانا فقيرا فلم نستطع الزواج .. وما كانت أمى لتوافق على هذا الزواج قط وعلى ذلك فقد حدث ذات يوم .. ذات يوم قبل أن يودعنى ... »

- « وهل ودعك ؟ »

- « أجل لقد كان على وشك ان يترك البلاد .. »

- « وهل ترك البلاد .. وهو يعرف ؟ »

- « كيف له أن يعرف ؟ انه لا يعيش هنا .. بل جاء ليرى أسرته ويمكث أسابيع قليلة ... » وهكذا تملصت ولم تقل شيئا بينما أغلقت شفتاها الرقيقتان على سريرها ...

وساد المكان صمت وأخذت ديليا تطيل النظر فى الراعى
الجسور وأخيرا سألت فى صوت منخفض « جاء من أين ؟ »
- « وما أهمية ذلك ؟ انك لن تفهمى » وهكذا تملصت
شارلوت مرة أخرى .

وفى بطاء اصطبغ وجه ديليا بحمرة قانية ، لقد أحست بكرامتها
تمتحن لما يكمن فى هذا الرد من تأنيب ينضح بالاحتقار ، وبدت
أمام نفسها خجولا ضائعة كفتاة جاهلة عاجزة عن فعل شئ حىال
ذلك الدنس الذى أهالته شارلوت على رأسها . ولكن فجأة استيقظت
فى نفسها فكرة عارمة من الهام أنوثتها أخذت تكافح لظهور .
فركزت عينيهما عن عيني أبنه عمها وقالت « اذن فلن تقولي لي من
الرجل ؟ »

- « وما الفائدة ؟ اننى لم أخبر أى انسان . . »

- « ولماذا اذن أتيت الى ؟ »

وانفجر وجه شارلوت المتحجر باكيا « لقد جئت
إليك فى شأن طفلتى . . . طفلتى »
ولم تلق ديليا بالا لبكائها وقالت « وكيف أستطيع لك مساعدة
اذا لم أعرف ؟ » وعبرت عن عزمها بصوت شديد حاد النبرات
وكانت ضربات قلبها من العنف بحيث خيل اليها ان ثمة يدا
خفية تمتد الى حنجرتها تضغط عنقها وتمنعها من التنفس .
ولم تحر شارلوت جوابا

فكررت ديليا السؤال فى عناد « جاء من أين ؟ » وعند ذلك
قالت الفتاة وهى تنوح وترفع يديها الى أعلى كى تغطى عينيها
« كان دائما يعتقد بأنك ستنتظرينه وعندما وجد أنك لم تفعل
. . . وتزوجت من « جيم » . . . لقد سمع بهذا فى الوقت الذى
كان فيه على وشك الرحيل . . . لم يعرف بزواجك الا عندما طلبت
منه السيدة « منجوت » أن يحمل معه الساعة هدية عرسك . . . »
فصاحت ديليا . « كفى . . كفى . . »

لقد دفعتها الى الاعتراف دفعا والآن عندما تكلمت أحست ، بأنها
تقذف بالكلمات فى وجهها فى عنف وقسوة . . . أكانت هذه
نيويورك ؟ . . . نيويورك المسالة المناقفة فى ود ؟؟ أكان هذا منزل
« جيمس رولستون » وهذه زوجته تنصت الى مثل هذه الاعترافات
المشينة ؟

ووقفت شارلوت تقول : « توقعت ذلك ! ان فكرته عن طفلى الآن قد
سأت بدل أن كنت آمل فى أن تتحسن . . . لماذا دفعتنى الى

الكلام ؟ توقعت أنك لن تفهمي . كنت دائما أهتم به منذ اللحظة التي خرجت فيها الى المجتمع ، وهذا هو السبب في أنني قررت ألا أنزوج غيره ولكنني أدركت أن لا أمل لي في ذلك . . . لم يتطلع الى أية امرأة سواك وعندما عاد منذ أربع سنوات ولم يجدك أمامه بدأ يهتم بي وأخذ يعاملني بلطف ويحدثني عن حياته وعن فنه « وتنفست في عمق وأخذ صوتها بصفو . . . » لقد انتهى كل شيء الآن . . . انتهى تماما . . . ان شعوري الآن كما لو كنت لم أستطع له حبا أو كرها . . . ولا يوجد الآن سوى الطفل . . . طفلي . انه لا يدرك شيئا عن هذه الامور . . . ولم يدرك ؟ هذا لا يخصه في شيء . . . هذا الامر لا يخص أي انسان سواي . . . ولكن يجب ان تدركي اني لا أستطيع النزول عن طفلي . »

وقفت ديليا رولستون وقد انعقد لسانها وأشاحت بوجهها عن ابنة عمها وقد تملكها رعب متزايد . . . لقد فقدت ديليا كل احساس بالواقع وكل شعور بالطمأنينة والاعتماد على النفس وكانت فكرتها الاولى هي ان تعلق أذنيها فلا تسمع توسلات الشخص الآخر كما يدفن الطفل رأسه هربا من مخاوف الظلام ، وأخيرا استجمعت قواها وتكلمت بشفتين متصلبتين « ولكن ما الذي عولت عليه عندما اتيت الى ؟ لماذا أخبرتني بكل هذا ؟ »

- « لانه أحبك » وخرجت الكلمات متعثرة من فم شارلوت لوفيل ووقفت المرأتان كل منهما تواجه الاخرى . . .

وشيئا فشيئا فاضت الدموع في عيني ديليا وانحدرت فوق خديها وبللت شفتيها المتيسيتين ومن خلال الدموع رأت وجه ابنة عمها الشاحب يتكسر ويدوى كوجه غارق تحت الماء ، فان الاشياء الناقصة التكوين التي أحست بها احساسا غامضا قد طفت الى السطح قادمة من أعماق نفس سحيقة مجهولة . وللحظة قصيرة كاد الامر لا يعدو أن يكون أن المرأة الاخرى حدثتها عن ماضيها هي المجهول وعبرت بكلمات ساذجة عن مخاوف قلبها هي .

ان أسوأ ما في الموضوع كله هو على قول شارلوت أنه يجب أن يعمل في الحال فلم يكن هناك وقت يضاع . . . لقد كانت شاتى على حق ومن المستحيل عليها أن تتزوج « جو » فمعنى ذلك هو النزول عن الطفل ، ومن جهة أخرى كيف تستطيع أن تتزوجه دون أن تخبره بالحقيقة ؟ وهل من المعقول أنه بعد سماع القصة لا ينبذها ؟ كل هذه الاسئلة دارت في عقل ديليا مسببة لها آلاما كثيرة ، ومن خلالها أشرقت صورة الطفل وفرضت

نفسها على كل ماعداها .. طفل كليم سبندر .. وهو ينمو على الصدقات فى بيت حقير لزنجى أو يرعى بين أمثاله فى منزل من تلك المنازل اللعينة المسماة بالملاجئ .. كلا ! الطفل أولا .. هذا ما أحست به مختلطا بكل ذرة من ذرات جسمها .. ولكن ماذا يجب أن تفعل ومن تلتمس النصيحة وما الذى تشير به على هذا المخلوق التعس الذى سعى اليها يطلب مساعدتها باسم «كليمنت» ؟ وتلفتت ديليا حولها فى يأس ثم نظرت خلفها الى ابنة عمها ..

« لا بد لي من وقت للتفكير ... يجدر بك الا تتزوجيه .. ومع ذلك فكل الترتيبات قد عملت وهدايا العرس ... لا بد من حدوث فضيحة ستقضى على الجدة لوفيل ... »

أجابت شارلوت فى صوت منخفض « ليس ثمة وقت فلا بد لي أن أتخذ قرارا الآن ... »

وطغطت ديليا يديها صدرها وهى تقول « أقول لك يجب أن أفكر .. ليتك تعودين الى بيتك .. لكن لا ! ابقى هنا .. يجب ألا يقع نظراؤك على عينيك .. لن يعود « جيم » الى البيت الا متأخرا وفى وسعك أن تنتظري فى هذه الغرفة حتى أعود .. » وكانت أثناء ذلك قد فتحت خزانة ملابسها وأخرجت قبعة رخيصة وحجابا ثقيلا ... وقالت شارلوت :

« أبقى هنا ؟ ولكن الى أين أنت ذاهبة ؟ »

— « لا أدري .. أريد أن أتمشى قليلا .. أريد الهواء .. أظن أنني فى حاجة لأن أكون وحدى .. وبسرعة نشرت ديليا شالها ووضعت على رأسها القلنسوة والحجاب ودست يديها فى خباء الفرو بعد أن لبست قفازاتها ، بينما جلست شارلوت تحمق فيها وقد انعقد لسانها وهى مستلقية على المقعد المستطيل لا تبدى حراكا .. »

وعندما وقفت ديليا على عتبة الباب قالت فى اصرار : « ستبقى هنا » فأجابت شارلوت :

« نعم .. سأبقى »

وأغلقت ديليا الباب خلفها وراحت تعدو على السلم

كانت تتكلم صدقا عندما قالت أنها لا تعرف الى أين تذهب فقد أرادت أن تهرب من وجه شارلوت الذى لا يحتمل ، ومن الجو الملتصق بمأساتها .. وفى الخارج ، فى جو الحرية من السهل عليها أن تفكر ..

وعندما تخطت سياج الحديقة رأت أطفالها المتوردي الوجوه وهم يلعبون تحت رقابة مربيتهم مع غيرهم من أطفال الحى . وكانت الابنة الصغيرة تلبس قبعاتها المصنوعة من المخمل المشغول وتضع على كتفيها فراءها الابيض والغلام بقلنسوته الاسكتلندية وسترته الصوفية القصيرة .. كم يبدو عليهم المرح والسعادة ؟ ورمقتها المربية بنظرة ولكنها هزت رأسها ولوحت بيدها للأطفال ثم أسرعت الحطى ..

وأخذت تسير وتسير فى الشوارع المألوفة التى تسبح فى شمس الشتاء المشرقة اذ كان الوقت بعد الظهر بقليل وهى ساعة يكون الرجال فيها قد عادوا الى مكاتبهم ولم يكن هناك سوى قليل من المارة يسرون فى ساحة ازفنج وميدان يونيون ، وعبرت ديليا الميدان متجهة الى برودواى

كانت دار لوفيل فى شارع مرسر بناء قويا على الطراز القديم من الطوب وخلفه حظيرة كبيرة للخيول تطل على شارع جانبي ضيق كالذى رآته ديليا أثناء رحلة شهر العسل فى انجلترا ويسمى « التخشبية » ، واتجهت الى هذا الشارع الجانبى ودخلت الى فناء الحظيرة وفتحت بابا . وفى غرفة متواضعة طليت حوائطها بالجير الابيض وجدت عددا من الاطفال متجمعين حول مدفأة يلعبون بلعب قديمة . وكانت المرأة الارلندية المشرفة عليهم تقوم بتفصيل ثياب صغيرة على منضدة قديمة فرفعت وجهها بشوشا اذ عرفت فى ديليا السيدة التى سبق لها المجئ مرة أو مرتين لرؤية الاطفال فى صحبة الانسة شارلوت ...

وقفت ديليا وقد بدا عليها الاضطراب وقالت متلعثمة : « لقد أتيت لأسألك اذا ما كنت فى حاجة الى لعب جديدة .. » فأجابت :

« هذا ما نحن فى حاجة اليه أيتها السيدة ! ونريد أشياء أخرى كثيرة كذلك وان كانت الانسة شارلوت تأمرنى بالألا أطلب المساعدة من السيدات اللاتى يأتين لرؤية اطفالنا المساكين .. »

أجابت السيدة رولستون وهى تبتسم « فى وسعك ان تطلبى منى يا بردجيت .. دعينى أرى أطفالك .. لقد مضى على وقت طويل منذ كنت هنا آخر مرة .. »

كان الاطفال قد توقفوا عن اللعب وأحاطوا بمربيتهم يتزاحمون عليها وأخذوا يحملقون فى السيدة الثرية التى ترفل فى غالى اثياب وأفواههم مفتوحة من الدهشة ... ولمحت بين الاطفال بنتا صغيرة ذات عيني عسلتين وخدين قرمزين ، ترتدى رداء فضفاضاً من الصوف المزخرف مزينا بأزرار هى تقليد للمرجان، فتذكر تهاديايا اذ كانت هذه الأزرار مثبتة على أحسن ثوب لدى شارلوت فى العام الذى خرجت فيه الى المجتمع .. وقفت ديليا وحملت الطفلة بين يديها وكان شعرها المجعد بنى اللون كعينيها تماما ولكن العينين كان بهما نفس النقط الخضراء ... فجلست ديليا وأجلست البنت الصغيرة على ركبتها وتركها تلعب فى اهتمام بسلسلة ساعتها ... فقالت المربية :

- « اخشى ياسيدتى .. ان يتسخ ثوبك بسبب حداثها فأرض الغرفة ليست نظيفة .. »

فهزت ديليا رأسها وضمت الطفلة الى صدرها بقوة ونسيت الآخرين الذين أخذوا يحملقون فيها كما نسيت مربيتهم .. كانت المخلوقة الصغيرة التى تجلس على ركبتها من مادة مختلفة فلم تكن فى حاجة للرداء الفضفاض المزخرف ولا للأزرار المرجانية كى تميزها من بين بقية الاطفال . فعلى جبهتها العالية نمت أطراف خصلات شعرها الاصفر تماما كخصلات شعر كلبمنت سبندر ووضعت ديليا خدها الملتهب على جبهة الطفلة .

- « هل تريد الطفلة أن تأخذ سلسلتى الصفراء الجميلة ؟ »
وهذا ما أرادته الطفلة !

خلعت ديليا السلسلة الذهبية من الساعة وعلقتها حول عنق الطفلة وصفق الاطفال وصاحوا طربا ولكن الطفلة الصغيرة استمرت تلعب بحلقات السلسلة فى صمت وقد بدت على وجهها علامات الاهتمام ...

قالت المربية : « ايتها السيدة لا يمكن ان تتركى لتينى الصغيرة هذه السلسلة الجميلة فعندما تعود الى أولئك الزنوج ... »
- « ما اسمها ؟ »

- « يدعونها تينا على ما أعتقد . أظن أن هذا ليس اسمها الحقيقى »

فلم تنبس ديليا بكلمة • فقالت المربية :
« أرى أن خديها متوردان أكثر مما يجب كما انها تسعل لاتفه
الاسباب وكثيرا ما تصاب بالبرد ••• والآن يا تبنى اتركى
السيدة ••• »
وقفت ديليا وتخلت عن الذراعين الرقيقتين •• بينما تقول
المربية :

« انها لا تريد ان تدعك تذهبين أيتها السيدة ولم تحضر اليوم
الآنسة شاتى وتلك الصغيرة تحس أنها وحيدة بدونها ••
انها لا تلعب كما يفعل الآخرون •• والآن يا تبنى انظرى الى
هذه السلسلة الجميلة التى أعطتها السيدة لك ••• كفى كفى هذا
الآن ••• »

همست ديليا فى صوت منخفض « وداعا يا كلمنتينا » وقبلت
العينين العسليتين وتاج الشعر المجعد ثم أسدلت القناع
على عينين أسرعتهما اليهما الدموع • وفى فناء الحظيرة أخذت تجففهما
بمنديلهما الكبير المطرز ووقفت مترددة وبعد أن استجمعت قواها
عادت الى المنزل ••

كان المنزل كما تركته الا أن الاطفال قد دخلوا الى غرفتهم
وسمعت صخبهم فيها وهى تسير فى الممر متجهة الى مخدعها حيث
كانت شارلوت لوفيل تجلس على المقعد المستطيل جلسة معتدلة
صارمة تماما كما تركتها ديليا

« شاتى •• شاتى •• لقد فكرت فى المسألة •• اصغ الى
مهما حدث فلن تبقى الطفلة حيث هى الآن •• انى عازمة على أن
أكفلها •• »

فانتصبت شارلوت على قدميها طويلة ممتعة اللون ، وبدت عيناها
فى وجهها النحيل كأنهما تجويفان فى جمجمة ميت وفتحت شفتيها
لتتكلم وعند ذلك مدت يدها الى منديلها ووضعتة بسرعة على فمها
وغاصت فى المقعد مرة ثانية وانساب من خلال المنديل خيط
أحمر سقط قطرات على ثوبها الحريري •

وصرخت ديليا راکعة على ركبتها بجوار ابنة عمها :
« شارلوت •• شارلوت •• »

وانزلقت رأس شارلوت الى الخلف واستقرت على الوسائد
فتوقف جريان الدم وهنا تناولت ديليا قنينة من أمامها وقربتها
من أنفها المحتقن فامتلاء جو الغرفة برائحة عطر قوى نفاذ ••
فتحت شارلوت عينيها وقالت « لا تخافى فانى أبصق
دما فى بعض الأحيان •• وليس دائما •• لقد شفيت رئتى
تقريبا ولكنه الرعب ••• »

- « كلا كلا لم يعد هناك ما يربع ... أقول لك اننى دبرت الامر كله وسوف يسمح لى جيم بأخذ الطفلة .. »
ورفعت الفتاة نفسها فى اعياء وقالت : « جيم ؟ وهل أخبرته ؟
ألهذا ذهبت ؟ »

- « كلا أيتها العزيزة .. لقد ذهبت لأرى الطفلة فقط .. »
فتأوهت شارلوت وهى تسند ظهرها على الوسائد ثانياً وتناولت ديليا منديلها ومسحت الدموع التى كانت تسيل على خدى ابنة عمها ..

- « لا تبكى يا شاتى يجب أن تكونى شجاعة من أجل طفلتك وطفلتك .. كيف تجرؤين على مثل هذا التفكير ؟ ولكن يجب أن تمنحينى بعض الوقت كى أتصرف بطريقتى الخاصة .. فقط ثقى بى .. »

وتحركت شفتا شارلوت فى ضعف .. « لا تجفنى الدموع يا ديليا فانى أحب أن أشعر بها وهى تجرى .. »
واستمرت الاثنتان تستند كل منهما الى الاخرى دون أن تنطقا بكلمة بينما الساعة البرنزىة تحسب عليهما لحظات امتزاج روحيهما وتقيسه بالدقائق وأرباع الساعة وأنصافها ثم بالساعات الكاملة حتى انصرم حبل النهار وأظلم وجهه واستطالت الظلال على صفحة السجاد المزخرف وفوق الفراش الابيض العريض ثم سمعتا طرقا على الباب ...

- « الاطفال فى انتظارك لصلاة المساء قبل تناول طعام العشاء أيتها السيدة ... »

- « نعم ! يا ليزادعيهم يقولونها لك .. وانى قادمة بعد وقت . وبينما كان صوت وقع اقدام المربية يبتعد خلصت شارلوت لوفيل نفسها من أحضان ديليا وقالت : « الآن أستطيع أن أرحل ! »
- « ألسنت فى الدرجة القصوى من الاعياء أيتها العزيزة ؟ هل أرسل فى طلب عربة لتنقلك الى المنزل ؟ »

- « كلا ستنزعج أمى لو رأتنى هكذا .. ثم انى فى هذه اللحظة أحب ان أسير على قدمى فى الظلام وفى بعض الأحيان كانت الدنيا تبدو فى عيني كأنها حريق واحد مخيف وجاءت أيام كنت أعتقد فيها ان الشمس لا تريد ان تغرب عن العالم - ثم يأتى القمر بالليل .. ووضعت يديها على كتفى ابنة عمها وقالت « اما الآن فقد تبدلت الاحوال وقبل مرور زمن طويل لن أبقى على كرهى للنور .. »

وقبلت كل منهما الأخرى وهمست ديليا قائلة : « الى غد »

كان أفراد أسرة رولستون لايهجرون العادات القديمة الا على كره منهم ولكنهم بمجرد اعتيادهم عادة جديدة يصعب عليهم أن يدركوا لماذا لا يفعل الناس مثلهم في الحال . . .

فديليا التي تنتسب الى أسرة لوفيل غير المتزمتة وهي تميل بالطبيعة الى الأخذ بكل جديد - عند ما أشارت على زوجها لاول مرة بتناول الغداء في الساعة السادسة بدلا من الثانية جمد وجهه الشاب الطرى وتعدّد حتى صار يشبه في جموده وقسوته وجه كبير الاسرة القديم في عهد الاستعمار الاول كما يبدو في احدى صورته . ولكنه بعد مقاومة استمرت يومين كاملين اقتنع برأى زوجته وهو الآن يتتسم في احتقار لعناد أولئك الذين يتمسكون بعادة تناول أكلة ثقيلة في وسط النهار مع شاي كامل .

هكذا صار زوج ديليا يقول : « لا أكره شيئا كما أكره ضيق العقل فليأكل الناس حين يريدون . . . انى لا أمقت شيئا مثل ضيق العقل ؟ »

كانت ديليا تفكر في هذا وهي تجلس في غرفة الاستقبال (وكانت أمها تدعوها غرفة الضيوف) تنتظر عودة زوجها وكانت قد فرغت من تمشيط غرائرها اللامعة المصقولة وارتداء ثوبها الحريري ذى الخطوط السوداء والبيضاء والمزين بخيوط حمراء، وكان هذا هو الثوب المفضل لديه . . . أما غرفة الاستقبال ذات الستائر المصنوعة من نسيج « نوتنجهام » الرقيق المتدلى من اطارات كثيرة النقوش بارزة الزخرف مذهبة ، وذات المنضدة الرخامية المقامة وسط الغرفة على قاعدة من خشب الورد المنحوت ، وذات المقاعد الكبيرة المصنوعة من خشب الماهوجنى على الطراز القديم المغطاة بنسيج جديد من الدمقس الفرنسي ، لونه بين الخضرة والصفرة ، فكانت شيئا يمكن أن تفخر به أى زوجة شابة . وكانت قطع الاثاث من خشب الورد ذات الرفوف المتعددة عليها التحف والتمائيل موضوعة على جوانب الابواب المتحركة المؤدية الى غرفة الطعام ويزينها أنواع من الاصداف الاستوائية والأواني الكبيرة من حجر الصوان المتبلور ، ومن بينها أنموذج من المرمر لبرج « بيزا » المائل، وزوج من المسلات من شظايا الحجر الناري والصخور المعدنية ، كان الزوجان الشابان قد جمعاهما من الباحة الرومانية بروما . وهنالك تمثال نصفى ناصع البياض

للالهة « كليتي » من خزف « سيفر » وأربعة تماثيل قديمة لفصول السنة مصنوعة من صلصال « شلسي » وقد تركت بين التحف الحديثة لأنها من متعلقات والددة جدة رولستون . وعلى الحوائط تدلت رسوم كبيرة محفورة مصنوعة من المعدن غامقة اللون تمثل رسوم كول لرحلة الحياة وبين النافذتين قام تمثال العذراء الاسيرة بالحجم الطبيعي صنعتها المثالة المشهورة هريت هوزمر لوالد جيم رولستون وخلده الكاتب هاوثورن في قصته المسماة « اله الاحراج الرخامي » وعلى المائدة استقرت نسخ مجلدة تجليداً أنيقاً لكتاب تيرنر المسمى « أنهار فرنسا » و « فاي المذنب » لدريك وخصص « كراب » وكتاب الجمال الذي يضم صوراً للنبيات الانجليزيات اللاتي اشتركن في مسابقة الجمال التي نظمها ايرل اجلنتن .

كانت ديليا تجلس في مكانها هناك أمام نار صادرة من فحم صلب يحترق في مدفأة ذات فتحة مقوسة من رخام أسود وبجوارها منضدة صغيرة من خشب الليمون وعلى المائدة الوسطى أحد المصابيح الفرنسية الجديدة يلقي ضوءاً بهيجاً من تحت مظلة حولها دلايات من خرز بللوري فأخذت تسائل نفسها كيف خرجت في مثل هذه الفترة القصيرة وعلى هذه الصورة اقاطعة على نطاق عداتها ومعتمداتها وبعدت أكثر من أي وقت مضى عن الأفق الذي تعيش في حدوده أسرة رولستون . . . وهاهي الدائرة تغلق حولها مرة أخرى كما لو كانت نقوش السقف المصنوعة من الملاط وقطع الاثاث المختلفة وشكل ثوبها قد صنعت كلها من ميول أسرة رولستون وما يتعصبون له من آراء ثم تحولت كلها الى صخر صلد بلمسة من يد هذه الاسرة

ظننت أن مسا من الجنون لا بد أصابها اذ ارتبطت بالوعود الى هذا الحد مع شارلوت ولكنها مهما تجولت منقبة داخل المشكلة التي تضيق دائرتها حولها تدريجياً قلن تجد أي مخرج ، وعلى أي صورة من الصور أصبح فرضاً عليها أن تنقذ طفلة كلیم سبندر طرق سمعها صوت فتح الباب (وما كان قلبها يدق بهذه القوة مجرد سماعه) ثم صوت تعليق القبة العالية على مشجب المنضدة المستديرة في البهو . هل كان الصوت لقبعتين ؟ وفتح باب غرفة الجلوس ودخل شابان يلتحفاً بأردية ثقيلة غالية الثمن وكانا صورتين مكررتين لجيم رولستون . . . لم تلحظ ديليا قبل الآن قط مقدار الشبه بين زوجها وابن عمه « جو » ولقد جعلها هذا الادراك تشعر بأنها على حق اذا كانت دائماً تنظر الى أفراد أسرة رولستون كمجموعة واحدة

ولا يمكن أن تكون زوجة صغيرة السن غضة الاهد وسعيدة
لو أنها لم تعتبر جو صورة غير متقنة من زوجها جيم ومع تسليمتنا
بوجود بعض العيوب فى الصورة فان التشابه يسترعى النظر بين
القوامين الفارعين الرياضيين والوجهين القصيرين اللذين يكاد
الدم ينبثق منهما وبين الانفين المستقيمين والسوالف المنتظمة
والحواجب الافقية والعيون الزرقاء الصافية والابتسامة الحلوة التى
تكشف عن حب الحياة . فقط كان جو فى اللحظة الراهنة يبدو
صورة من جيم وهو يشكو ألمافى الاسنان

ابتسم جيم وقال فى ثقة الزوج المتمتع بطيب المأكلى الذى
يدرك أن فى استطاعته دائما اصطحاب صديق الى منزله :
« أصغى الى أيتها العزيزة . هاك شابا طلب أن يشكر لنا طعاما »
فقلت ديليا : « هذا ظريف منك يا جو ! . ولكن أظن أن فى
مقدوره الاكتفاء بحساء المحار وأوزة محشوة ؟ »

— « كنت أعرف ذلك وهكذا أخبرتك يا صديقى العزيز ! لقد قال
انك ستبترمين بمقدمه وستقعين فى حيرة بسبب الطعام . . . انتظر
حتى تتزوج يا جو زيف رولستون وانزل جيم كفا ودودا ضخما
على كتف ابن عمه فعلت وجهه تقطبة من ثقله كما لو كان
قد شعر بألم فى أسنانه يخترم جسده . . . »

— « انها لنهاية الرقة منك يا ابنة العم ديليا ان تؤوينى هذا
المساء . . الحقيقة هى . . . »

فقال جيم : « أرجو أن تفكر فى الطعام أولا يا ولدى ، وأن
زجاجة من نبيذ برجاندى لكفيلة بأن تبعد الهموم الزرقاء . ضع ذراعك فى
ذراع ابنة عمك وسأذهب الآن لأشرف على اعداد النبيذ . . »

حساء بالمحار وأوزة محشوة بالتفاح المحمر والفلفل الاخضر !
وبعد هذا تأتى حلوى السكر المحروق المطبوخ مع اللبن والبيض
وهى صنف الطعام الذى اشتهرت به الجدة رولستون . ومع كل
آلامها الثقيلة كانت ديليا تشتمر بشئ من الفخر لذلك . . حقان
مثل هذا العمل يؤكد الاشاعة بأن فى مقدور جيم رولستون
دائما أن يحضر للعشاء فى بيته صديقا دون سابق انذار . . ولقد
استطاعت أنبذة أسرته رولستون ولوفيل ان تتمم النشوة . . فحتى
وجه جو كان قد رق وانحلت عقدته بعد أن تناول كمية من
نبيذ ماديرا المخزوز فى أقبية أسرة لوفيل . ولقد أحست ديليا بالتغير
عندما تبعها الشابان الى غرفة الجلوس .

قال جيم بعد أن اقترب بكرسيه من ابن عمه : « والآن

أيها العزيز . يجدر بك أن تخبرها بالقصة كلها . . . »

وانحنت المرأة الشابة فوق أشغال الصوف وأصغت وقد تدلى جفناها وتورد خداهما ، بينما كان جو يرجو أن تغفر له كزوجة وكأم اقدمه على الحديث معها في صراحة : لقد خوله زوجها الحق في أن يفعل ذلك . .

صاح جيم من مكانه فوق السجاد الوثير بجوار المدفأة في ضجة ونشاط غامر بعد الغداء : « تكلم . . تكلم » .

أما ديليا فقد أصاحت السمع وفكرت فيما سمعت وتركت العريس ييسط موضوعه في مشقة بينما استقرت أبرتتها معاقة فوق رقعة القماش التي تشتغل فيها مثل سيف ديموقليس وادركت في الحال أن جو يعلق أملا كبيرا عليها في محاولة اقناع شارلوت بوجهة نظره بيد أنه كان غارقا في حبه بحيث كانت كلمة واحدة من ديليا كفيلا بجعله يرضخ فتقلب وجهة نظر شارلوت وتتزوج وفي نفس الوقت تنقذ الطفلة . .

يا له من أمر سهل بالرغم من كل ذلك ! استقبال حسن وطعام جيد وشراب معتق ثم ذكرى العيون عيون شارلوت التي لا يدرك تأثيرها إلا من جرح بلحظها . وأحست الزوجة بحسد خفي يعتصر قلبها لأنها حرمت من هذه الميزة الأخيرة

يا له من أمر سهل - ومع ذلك يجب ألا يقع . . ! فمهما حدث فلن تسمح لشارلوت لو فيل بأن تتزوج جو رولستون ، كل تقاليد الشرف والاستقامة التي تربت في ظلها تمنعها من أن تغض الطرف عن مثل هذا التدبير . . كان في استطاعتها أن تتخذ - إذا لم تكن قد اتخذت فعلا - إجراءات تعسفية ، وتتحدى

الآلوف دون تردد وتشعل ثورات خفية على قسوة النظام الاجتماعي ولكنها لا يمكن أن تتساهل في أمر هذه الاكذوبة . . ان فكرة زواج شارلوت من جو رولستون - ابن عم زوجها - دون أن تكشف له عن ماضيها ، بدت لعيني ديليا عملا شائنا ، كما لا بد ان تبدو هكذا لعيني أي فرد من اسرة رولستون . وإذا هي أخبرته بالحقيقة فانها تحول دون الزواج . وحتى شاتي نفسها كانت مدركة لهذه الحقيقة ، فالرجال والنساء لا يستوون في مجال التسامح الاجتماعي ، ولم يخطر في بال احدهما أن تسأل عن السبب في هذا التفريق ، فانهما كشابات هذه الطبقة ليس في مقدورهما سوى الخضوع لما لا مناص منه .

لا . . لم يكن ثمة خلاص من هذه المشكلة ، فاذا كان واجبا

على ديليا ان تنقذ طفل كليم سبندر ، فقد كان من المقدر عليها
أن تضحي بعشيقته ، وعندما ألحت عليها الفكرة تذكرت صرخة
شارلوت الحزينة : « أريد أن أتزوج مثلكم .. » وانقبض قلبها
ومع ذلك فهذا لن يكون

استمر جو في حديثه يقول : « اننى مقدر تماما ببساطة
حسنائى وسداحتها ، ونقاء سريرتها .. كيف يمكن للمرأة أن
يتمنى ان تكون زوجته على خلاف ذلك ؟ انت معى يا جيم فى هذا
وأنت يا ديليا ؟ لقد قلت لها ان فى استطاعتها أن تحصل
على مبلغ معين يرصد لصالح الاطفال المساكين - هذا بالاضافة
الى المبلغ المعين لشئونها الخاصة وفى مقدورها أن تعتمد على فى
هذا كل الاعتماد .. يا الهى ! انى على استعداد لان أكتب عهدا
بذلك أمام أحد المحامين ليرسلنى الى .. ! اننى معجب بكرمها
ومقدر اياه ولكننى أطلب منك يا ديليا كأم أن تصارحينى برأىك
الآن .. هل تعتقدين ان فى مقدورى أن أوضح رأىى
فى هذه المسألة بأكثر من ذلك : اننى أستطيع ان أتركها
تستمر فى العناية بهؤلاء الاطفال الى أن .. الى أن » وتلون وجه
الوالد العظيم بحمرة الفخر : « الى ان تستدعيها واجبات أهم
.. قطعاً انى على اتم الاستعداد .. لبتك تخبرينها » وظل يغلى
وهو تحت تأثير كأسه الاخير : « وانى اتعهد بتسوية الامور
مع والدتى التى لها آراء ثابتة أحترمها ، الا أننى لا أستطيع أن
أسمح لها - بأن تحول بينى وبين معتقداتى ! .. »

ونفض واقفا ينظر الى صورته فى المرآة وقد بدت عليه
الشجاعة وهو يردد : « معتقداتى »

وصاح جيم فى انفعال عاطفى : « مرحى .. ! مرحى .. ! »
وغرزت ديليا ابرتها فى رقعة الاشغال أمامها ثم أزاحتها جانبا !
وقالت : « أظن أننى أفهمكما أنتما الاثنىن يا جو .. لو كنت
فى موقف شارلوت لما نزلت عن أولئك الاطفال قط »
فقال جيم بلهجة المنتصر : « اليك الرأى الصواب يا صديقى
العزيز » .. وكان فخورا بطعامها المتقن .

قالت ديليا : « لن أنزل عن هذا الامر على الاطلاق ، أقصد
أمر اللقطاء ، فان أولئك الاطفال معرضون دائما للموت اذا أرسلوا
الى الملاجئ .. وهذا ما يقض مضجع شاتى » .. فقال جو :
« يا لهم من ابرياء مساكين ! انى لاحبها لانها تحبهم ! كيف
يترك على الارض مثل أولئك الاوغاد السفلة دون ان ينالوا

قصاصهم . ديليا .. ! أرجو منك أن تخبريها بأننى سأفعل كل ما »

فقال جيم منبها اياه وقد سرت فى كلامه نزعة الحذر الاصيله فى أسرة رولستون : « مهلا أيها الرجل مهلا »

- « أريد أن أقول اننى سأفعل كل ما هو معقول »

رفعت ديليا يدا أمرة وقالت : « سأخبرها يا جو ولا بد أن تقدر جميلك كل التقدير ولكن لا فائدة من كل هذا » .

- « لا فائدة ؟ ما الذى يجب أن أفعله أكثر من ذلك ؟ »

- « ايس هناك أكثر ما عدا هذا الذى سأقول : لقد عاود شارلوت مرضها القديم ، لقد سعلت هنا اليوم وكان سعالها مصحوبا بالدم .. يجب ألا تزوج »

ووقفت وكل جزء من جسمها يرتعش وشعرت بأن الدم قد جمد فى عروقها .. هل كان تصرفها صحيحا ؟ هل أخطأت ؟ ومن ذا الذى يبصرها ؟

وأطل عليها جو بوجه ممتقع كوجهها . كان يقبض بشدة على ظهر مقعده ورأسه منحس الى الامام كراس شيخ هرم وتحركت شفاته ولكنهما لم تخرجا صوتا

قال جيم متلعثما : « يا الهى .. ! يجب أن تشجع أيها الرجل » .. فقالت ديليا :

« انى .. انى آسفة من أجلك يا جو .. ستخبرك بنفسها غدا » وتعثرت شفثا ديليا بهذه الكلمات بينما استمر زوجها يقدم له تعازيه الصادقة ! ..

- « يجب أن نتلقى هذه الصدمة كرجل يا صديقى .. فكر فى نفسك .. فى مستقبلك . لا يمكن أن يكون زواج بينكما أليس كذلك ؟

ان ديليا على حق .. انها دائما على حق .. يجب أن تتغلب على هذه الصدمة - والافضل ان تجابه الصعاب الآن رهذا خير من أن تجابهها مستقبلا »

« الان خير من أن تجابهها مستقبلا » أعاد جو هذه الكلمات وهو يتسم ابتسامة مغتصبة ، وتذكرت ديليا انه لم يحدث قط طول عمره السهل الرضى أن اضطر الى النزول عن شئ تعلق به قلبه .

ثم قال وقد ذرفت عيناه دمعة صبيانية : « ولكننى لافهم

•• اننى لا أستطيع النزول عنها •• »

فقال جيم : « فكر في الاطفال يا صديقى العزيز انه واجبك »
وكبت نظرة فخر سريعة الى ديليا تنم عن اعجابه بجمالها وامتلأها
بالصحة •

وفى الحديث الطويل الذى كان بعد ذلك بين ولدى العم ••
من ابداء وجهات النظر والرد عليها واسداء النصيح المفيد ،
والرفض القاطع - لم تشترك ديليا الا بمقدار بسيط عارض
فقد كانت تعرف جيدا النتيجة المحتمومة فالعريس الذى خشى
أن تجلب العروس العدو الى بيته بتردها على مأوى الاطفال
المساكين لا يمكن أن يلقي بذور المرض فى ذريته ، ولم يكن هذا
كل شيء ، فهناك حالات لا يدركها الحصر لامهات ودعوا الحياة
قبل الاوان تاركين لازواجهن قطيعا من الصغار يتولون تربيته
ولا بد أن تكون صورة لذلك كله تلح بقوة على ذاكرة جو ، فهناك
آل رولستون ولوفيل ولانسج رارستد وفاندريلدن : أى أسرة
من هذه ليس لها قبر تحج اليه فى مكان ناء؟ قبور للشباب الذين
ذوت أعوادهم تدريجيا ، فأرسلوا الى خارج البلاد للاستشفاء فى
ايطاليا مصححة المرضى ؟ ان مقابر البروتستانت فى روما وبيزا
ملئية باسماء كثيرة لآناس قدموا من نيويورك وان شبحا لتلك الرحلة
المقدسة المألوفة فى صحبة زوجة على شفا الموت لكفيل بأن يجعل
الدم يجمد فى عروق أقوى فرد فى أسرة رولستون •• وطيلة
الوقت كانت ديليا تصفى خافضة الرأس الى ما يدور حولها من
أحاديث ولم تكف عن سؤال نفسها : « هذا أمر هين ولكن
كيف السبيل الى اخبار شارلوت •• ؟ »

وعندما ضغط جو المسكين يدها مودعا فى ساعة متأخرة
من تلك الليلة استدعته البهاقجة بعد خروجه وقالت له :
« أرجو أن تتركنى أراها اولا وأن تنتظر الى أن ترسله فى طلبك »
ثم امتدحت سرعة موافقته على هذا الطلب بيد أنه ما من عدد
من عبارات التشجيع منها كانت بلاغتها بقادرة على تخفيف وقع
المصيبة التى ينتظرها جو ، ولذا كانت نظرتها الاخيرة اليه تنم
عن المشاركة والعطف •

وأغلقت الباب الخارجى على جو وأيقظتها فى مكانها لمسة خفيفة
من زوجها على كتفها :

« ما كنت قط تستحقين الاعجاب أكثر من الآن أيتها العزيزة
يا ديليا الحكيمة ! »

وثنت رأسها الى الخلف رهي تتلقى قبلته ثم ابتعدت . .
لقد ادركت ان البريق الخاطف في عينيه كان اعترافا بجمالها
كما كان اعجابا بحصافتها . .

وابعدته قائلة : « ماذا كنت تفعل يا جيم لو قلت لك عن
نفسى ما قلته الآن لجو عن شاتى ؟ »

ودل تقطيب خفيف على رجهه أنه يعتبر السؤال تافها ولا
يتفق مع ذوقها المعهود وقال : « هيا بنا » وامتدت اليها
ذراعه القوية .

وظلت في مكانها بعيدة عنه ، وفي عينيهما حزن عميق وقالت :
« ان شاتى لمسكينة ! فلم يبق لها شيء بعد الآن . . »

وامتلأت عيناه فجأة بالحزن مشاركة لها في آلامها ففي مثل
هذه اللحظات يعود الغلام العاطفى الذى هو رهن اشارتها !
- « حقا أنها لمسكينة ! » وأخذ يتحسس في حذر أقرب رسالة
للتخفيف ، وقال : « لحسن الحظ ان بقى الآن لها هؤلاء
الاطفال أليس كذلك ؟ انى أعتقد أن كل امرأة يجب أن يكون لديها
اطفال لتحبهم - اطفال أى شخص آخر اذا لم تكن قد انجبت »
وكان من الواضح أن العلاج الذى اقترحه قد خفف ما يحس به
من ألم . .

قالت ديليا : وهى تبدى موافقتها : « أجل لا ارى وسيلة
أخرى يمكن أن تريحها . . انى متأكدة بأن جو لديه نفس الشعور
. . بينى وبينك أيها العزيز » - وهى أعطته يديها - « بينى
وبينك يجب أن نعمل على أن نحفظ بأطفالها . . »

« اطفالها ؟ » وابتسم لضمير الملكية فى كلمة اطفالها وقال :
« طبعا يالها من فتاة مسكينة ! هذا طبعا اذا لم يرسلوها الى
إيطاليا ؟ »

« ان هذا لن يحدث - من أين لها المال ؟ وهى لن تترك
العملة لوفيل ، ولكننى أحب أن أعرف يا عزيزى هل من الممكن أن
أخبرها - ولست كما ترى متحمسة لحديث الغد معها - هل
أستطيع أن أخبرها بأنك سوف تسمح لى أن أعتنى بالطفل الذى
يقلقها أمره أكثر من أى طفل آخر ، وهى لقيطة مسكينة لا اسم

لها ولا بيت - فلو أمكن أن أقتصد مبلغا ثابتا من مصروفي الخاص . . »

وتشابكت أيديهما سويا ورفعت إليه وجهها متوردا وامتلاّت عيناه بدموع الشهامة ، آه ! انه ليتفيا ظلال صحتها وحكمتها وكرمها ! قال :

« ولا مليما واحدا من مصروفك مطلقا ! »

وتظاهرت بالهزيمة والعجب، وقالت : « فكر أيها العزيز فقد يكفى مصروفي الخاص »

- « أقول ولا مليما واحدا من مصروفك - ولكن خذى ماتحتاجين إليه لمساعدة طفلة شائى المسكينة من الآن - هل هذا يرضيك ؟ »

- « يا أعز الناس الى ! عندما نفكر فى أطفالنا النائمين فى الدور العلوى ! » وتشابكت أيديهما وقد روعهما ذلك الحاطر .



رفعت شارلوت لوفيل عن الوسادة وجها محموما عندما سمعت وقع أقدام ابنة عمها .

وفاحت من المخذع المظلم المغلق رائحة الكولونيا والشياب المغسولة ، وعشيت عينا ديليا القادمة من شمس الشتاء اللامعة ولذا كان عليها أن تتحسس طريقها خلال ضوء ضعيف زاد من ظلمته لون الاثاث المصنوع من خشب الماهوجنى الغامق اللون - « أريد أن أرى وجهك يا شاتى الا اذا كانت رأسك تؤلمك كثيرا؟ » فأشارت شارلوت بيدها علامة النفى وأزاحت ديليا عن النافذة الستائر الثقيلة فدخل شعاع من النور رأت عليه رأس الفتة وقد بدا باهت اللون فوق الفراش الابيض ، وظهرت الدوائر الحمراء مرة أخرى تحت الجفون المظلمة فتذكرت ان ابنة عمها فلانة المسكينة بدت هكذا تماما فى الاسبوع السابق لاجرارها الى ايطاليا ! . .

وهمست شارلوت . . « ديليا »

واقتربت ديليا من الفراش ووقفت تتطلع الى ابنة عمها بعينين جديدتين . . أجل لقد كان من السهل عليها فى الليلة السابقة أن تتصرف فى مستقبل شاتى كما لو كان مستقبلها هى ولكن ما العمل الآن ؟ قالت :

« يا عزيزتى » :

فقاطعتها الفتاة قائلة : « أرجو أن تبدئى الكلام فى الحال ، هل ما تحملينه يبعث الرعب الشديد على النفس ! »

- « شاتى يا أعز الناس ! هل أنا وعدتك بأكثر مما يجب ؟ » فقالت شارلوت : « جيم لن يسمح لك بأن تأخذى طفلتى ؟ لقد عرفت ذلك ! هل قدر لى أن أحلم دائما بأشياء لا يمكن أن تتحقق ؟ » ركعت ديليا بجوار الفراش والدموع تجرى على وجهها ، ووضعت يدها الريانة فى القبضة الملتهبة للمرأة الاخرى .

ثم قالت : « لا تفكرى فى ذلك أيتها العزيزة فكري فقط فى أفضل ما يعود عليك بالخير . . . »

- « أفضل ما يعود على بالخير ! » ورفعت الفتاة نفسها على الوسائد وتنبت جميع مشاعرها .

واستمرت ديليا تقول «ليس في مقدورك أن تتزوجي جو يا عزيزتي ، وفي نفس الوقت تحتفظين بتينا الصغيرة .. أليس كذلك ؟ »

فقالت شالوت « لن أحتفظ بهامعي كلا ، ولكن في مكان قريب مني حيث أستطيع أن أسارع الى رؤيتها ! كم أملت في مثل هذه الحماقات ! »

- « اتركي الحماقات جانبا يا شارلوت .. أين تحتفظين بها ؟ وهل تذهبين لرؤية طفلتك في الحفاء وأنت دائما في رعب من الفضيحة ؟ وفي خوف من الاساءة لاطفالك الآخرين ؟ ألم تفكرى في ذلك أبدا ؟ »

- « ان رأسي المسكين يرفض التفكير ! أنت تحاولين نصحي بأننى يجب أن أنزل عنها ؟ »

- « كلا ايتها العريزة ولكننى أحاول نصحك بالا تتزوجي جو »

وغاصت شارلوت الى الخلف في الوسادة وقد أغمضت عينيها قليلا ، وقالت : « أقول لك يجب أن أنشئ لطفلى بيتا ! انت موفقة ياديليا فى حياتك فلن تفهمنى ما أعنيه ! »
قالت ديليا :

« يجدر بك أن تعتبرى نفسك موفقة كذلك يا شاتى اذ لن تضطرى الى النزول عن طفلتك . سوف تعيش معك ، وسوف تشرفين على تربيتها بنفسك - لاجلى ولأجلك ؟ »

واستمرت تقول : « لقد وعدتك بأننى سوف آخذها .. أليس كذلك ؟ ولكننى لم أعدك بأن تتزوجي جو ، وعدتك فقط بأن أقيم بيتا لطفلك والآن لقد تم ذلك وانتما الاثنى ستظلان سويا دائما .. »

وتشبثت شارلوت بها وانخرطت فى البكاء قائلة « ولكن جو لا أستطيع أن أخبره لا أستطيع ! » ثم أزاحت ديليا عنها فجأة وقالت « ألم تخبريه عن طفلى ؟ لا أتحمل أن أسىء اليه الى هذا الحد .. »

فقالت ديليا : « قلت له انك سبعلت دما أمس ، وسيأتى لرؤيتك حالا . انه مبتئس للغاية .. لقد جعلته يفهم انه بسبب صحتك السيئة تعتبر الخطوبة ملعاة برغبتك وهو يقبل قرارك ، ولكن اذا ضعف هو أو اذا ضعفت أنت فلن أستطيع أن أفعل شيئا لك أو لتينا »

الصغيرة • بحق السماء تذكرى ذلك ! »

تراخت قبضتا ديليا ، واضطجعت شارلوت الى الخلف
لاتنفس بكلمة ، وقد أغمضت عينيها وزمت شفيتها وبقيت فى
مكانها كالخظام • وقد وضع على كرسى بالقرب من فراشها ذلك
الثوب الحريري ذو الشرائط الحمراء الذى أعد للاحتفال
بخطوبتها ومن تحته أطل زوج جديد من الاحذية الخفيفة من
الجلد البرونزى اللامع ٠٠٠ ياكشأتى المسكينة ! لم تكد تحين
الفرصة كى تبدو جميلة حتى ٠٠

جلست ديليا بجوار الفراش لاتبدى حراكا ، وعيناها لاتفارقان
وجه ابنة عمها الحزين وأخذتا تبعان دمعة اقتحمت طريقا من
بين جفنى شارلوت المضمومين ، واستقرت معلقة على الاهداب ،
ثم تلاأأت فى بطاء وهى تسيل على خديها وعندما وصلت الدمعة
الى الشفتين المغلقتين تكلمتا •

— هل سنعيش سويًا فى مكان ما ؟ أهذا ماتقصدين ؟ هى
وأنا دون أحد غيرنا ؟ »

— « أنت وهى فقط »

— « فى بيت صغير ؟ »

« فى بيت صغير »

— « هل انت واثقة يا ديليا ؟ »

— « واثقة أيتها العزيزة »

مرة ثانية رفعت شارلوت نفسها على مرفقها وأرسلت يدا
تبحث فى حذر تحت الوسادة وأخرجت شريطا صغيرا تعلق به
خاتم ماسى • وقالت فى بساطة :

« لقد خلعته من أصبعى قبل مجيئك » وناولته ديليا ٠٠

لقد كان فى وسعك أن تقول - ولا بد أن تحظى بموافقة كل انسان - ان شارلوت لوفيل خلقت لتعيش عانسا .. حتى قبل مرضها . وقد كان واضحا لكل ذى عينين أن فيها شيئا يمت للترمت بصالة بالرغم من شعرها الاحمر .. ولحسن حظ هذه الفتاة المسكينة وبالنظر الى صحتها المتردية فى شبابها ظل المعاصرون للسيدة زوجة جيمس رولستون مثالا يتذكرون شارلوت كشبح ليس غير ، يسعل فيقذف بمحتويات صدره الى الخارج .. وذلك طبعا هو السبب الذى من أجله فسخت خطبتها من جو رولستون .

حقا انها استعادت صحتها بسرعة كبيرة بالرغم من العلاج الخاص الذى اتبع معها ، فان أسرة لوفيل كما عرف كل انسان لم تستطع أن ترسلها الى ايطاليا و تنفق على علاجها هناك . كما لم تنجح التجربة السابقة فى ولاية جورجيا .. وعلى ذلك فقد حملت الى منزل ريفى واقع على نهر الهدسون وهو مكان صغير يقع وسط أراضى جيمس رولستون حيث عاشت مدة خمس أو ست سنوات فى صحبة خادمة ايرلندية وطفلة لقيطه .. وكانت قصة اللقيطة فصلا آخر عجيبا فى تاريخ حياة شارلوت ومنذ الفترة التى مرضت فيها أول مرة عندما كانت لا تتعدى اثنتين وعشرين سنة أو ثلاثا وعشرين ظهر عليها ميل شديد للأطفال يصل الى حد الهوس بهم وخاصة أطفال الفقراء .. ولقد قيل ، وشاع أن الدكتور لانسكل قال ان غريزة الامومة المعطلة تكون متيقظة بصفة خاصة فى الحالات التى يحول فيها مرض الزوج الى الزواج .. وعلى ذلك عندما تقرر أن تلغى شاتى خطوبتها من جو رولستون وتذهب الى الريف لتعيش فيه أخبر الطبيب أسرته بأن الامل الوحيد فى انقاذ حياتها ليس هو فى عدم الفصل بينها وبين أطفالها الفقراء فصلا تاما بل فى تركها تختار واحدا منهم وليكن أصغرهم وأشدهم حاجة الى العطف وتكرس نفسها للعناية به .. وعلى ذلك أعارتها أسرة جيمس رولستون منزلها الريفى الصغير كما رتبّت السيدة زوجة جيم كل شيء فى الحال بما جبلت عليه من موهبة فائقة فى ادراك الامور بلمحة سريعة ولقد صنعت اكثر من

ذلك فتعهدت بأن تعتنى بالطبنة في حالة وفاة شارلوت ولم تمت شارلوت بل عاشت لتقوى وتسير الى منتصف العمر نشطة بل مستبدة ، وبينما كانت شخصيتها في سبيل التحول والتبدل ازدادت شيئا فشيئا شبها بالعانس المثالية ، مدققة ومنظمة ، ومنهمكة في التوافه من الامور ، تهتم برعاية الشؤون الاجتماعية والعائلية وتعدسها . . . كانت سمعتها كمذبذبة منزل ممتازة ومن الذيوخ بحيث أنه عندما فقد جيم رولستون المسكين حياته بعد سقوطه من فوق حصانه ، تاركا خلفه ديليا شابة ومعها ولدوبنت تقوم على تربيتهما كان من الطبيعي تماما للأرملة المنكوبة أن تدعو ابنة عمها الى العيش معها ومشاركتها واجباتها ولكن ديليا رولستون ما كانت لتقوم بشيء كما يقوم به الآخرون فانها عندما أخذت شارلوت الى بيتها أخذت معها لقيطتها كذلك وهي طفلة سوداء الشعر لها عينان عسلتان ولها اسلوب حسم مرهق شاذ كاسلوب الاطفال الذين عاشوا أكثر مما يجب مع من هم أكبر سنا . . . وكانت الطفلة الصغيرة تسمى تينا لوفيل وكان مفهوما بطريقة غير واضحة تماما أن شارلوت قد تبنتها . . . وترعرعت الطفلة في جو من العطف والحنان وتساوت في ذلك مع اولاد قريبتها، ويمكن أن يقال انها ظفرت بالمساواة ايضا في . . .

حب المرأتين لها ، وهما اللتان كفلتاها ، ولكونها مسوقة بدافع للتقليد غريزي لم يهتم أى انسان بتصحيحه فانها درجت على أن تدعو ديليا رولستون « ماما » وشارلوت لوفيل « خالتي شاتي » . كانت مخلوقة ذكية جذابة ، وتعجب الناس لتوفيق شاتي المسكينة في اختيارها هذه الطفلة من بين جميع لقطائها فقد كان معروفا عنها من قبل أن لديها ملجأ كاملا من الاطفال اللقطاء تختار منهم .

لقد أخذ سيلرتون جاكسون الأعزب المتقدم السن ذو الصفات للممتازة الذي عاد بعد اقامة طويلة في باريس (حيث عرف عنه كثرة الاختلاط بأفراد الطبقة الراقية) . . . أخذ كثيرا بسحر تينا وجاذبيتها عندما رآها في اول حفل راقص اقيم احتفالا بدخولها المجتمع . فاستأذن ديليا في الحضور ذات مساء وتناول العشاء معها ومع الصغار وعندما حضرهنا الأرملة على الجمال المشرق الذي تتمتع به ابنتها الصغيرة، بيد أن عين الام المتيقظة لاحظت أنه كان يرمق تينا طوال الوقت . وبعد العشاء أسر الى السيدتين الكبيرتين بأن هناك طابعا فرنسيا أصيلا في الاسلوب

الذى تتبعه الفتاة فى تصفيف شعرها • وانها قد تعتبر فى عاصمة الاناقة فى غاية الامتياز والاختصاص بالتجديد •

فابتسمت ديليا سرورا ، بينما كانت شارلوت لوفيل تحس منحنية فوق شغلها ضامة شفيتها ، ولكن تينا التى كانت تمرح مع اولاد قريبتها فى الطرف الآخر من الغرفة التفت اليهما فى سرعة عظيمة . . وتالت :

« لقد سمعت ما قاله السيد سيلرتون ! أجل يا أمى يقول اننى أرتب شعرى بطريقة حديثة • ألم أخبرك بذلك على الدوام ؟ أعرف أنه يبدو جميلا لو تركته مجعدا على طبيعته أكثر مما لو بسطته وثبته بالادهان كما نفعل الحاله »

فقالت الانسة لوفيل محتجة : « تينا •• تينا •• انك دائما تظنين ان الناس معجبون بك ! » فقالت تينا وهى تضحك فى تحاش : « ولماذا لا أفعل اذا كانى كذلك ؟ » وفى نفس الوقت ادارت عينيهما الساخرتين وقالت لسيارتون جاكسون أرجوك ان تطلب من الخالة لوفيل الان لترم أسلوب العوانس الى هذا الحد المخيف ! »

ورأت ديليا الدم يصعد الى وجه شارلوت لوفيل ولم يعد يصبغ دائرتين ورديتين على خديها النحيلين ولكنه أغرق وجهها كله بفيض قوى من الدم ابتداء من رقبتها حتى شعرها الذى اختلط فيه اللونان الابيض والاسود كما يختلط الفلفل والملح ولم يعد فيه أثر للون الاحمر ، ثم انحسر الرأس فى غطى صدغيها الخاويين •

وفى ذلك المساء عندما أويى الى فراشهن دعت ديليا تينا الى غرفتها ، وقالت :

« ينبغى يا عزيزتى ألا تتحدثى الى خالتك شارلوت بالطريقة التى تحدثت بها هذا المساء •• انها طريقة مهينة ، يجب أن تعرفى أنها تؤلمها »

وافاضت الفتاة فى اظهار أسفها قائلة : « •• انى آسفه جدا •• الأئنى قلت انها عانس ؟ ولكنها هكذا أليس كذلك يا أمى ؟ أقصد أنها فى أعماق نفسها لم تحس مرة بالشباب ولا فكرت فى أن تلهو أو تعجب بشخص أو أن تقع فى حب •• أليس كذلك ؟ هذا هو السبب فى أنها لا تفهمنى قط بينما أنت على عكسها تماما أنت يا أمى الحبيبة •• وبحركة من حركاتها الرشيقه ارتمت بين ذراعى الارملة •• فابتعد ديليا بكل رقة وهى تقول :

« انت طفلة ! طفلة » ثم قبلت الخصلات الفاحمة في مواضع
خمس من جهة لفتاة .

ومن الممر جاء صوت ضعيف لوقع أقدام ثم ظهرت شارلوت
عند الباب ، ودون أن تتحرك نظرت اليها ديليا نظرة تنم عن الترحيب
بها من فوق كتف تينا .

وقالت :

« أدخل يا شارلوت انى أؤنب تينا لتصرفها كطفلة مدللة
امام سيلرتون جاكسون . . ماذا يظن بها ؟ »

فأجابت شارلوت وعلى فمها ابتسامة باردة : « ماتستحقه تماما »
وسارت تينا نحوها فقبلتها شارلوت فى نفس المكان الذى
انطبعت عليه قبلة ديليا الحارة ، وقالت بصوتها الجاف وهى تصرفها
الى غرفتها « مساء الخير أيتها العزيزة »

وأغلق الباب على المرأتين وأشارت ديليا الى شارلوت كى
تجلس فى المقعد المواجه لمقعدھا . . . فقالت الانسة لوفيل :

« ليس بقرب النار هكذا » ، واختارت مقعدا له ظهر معتدل
وجلست فيه ، وقد طوت يديها على صدرها . ووقعت عينا ديليا دون
قصد على الاصابع النحيلة الخالية من الخواتم وتساءلت مندهشة :
لماذا لا تلبس شارلوت حلى امها قط .

قالت شارلوت :

« سمعت عرضا ما كنت تقولينه لتينا ياديليا : كنت تؤنبنها
لانها دعتنى بالعانس . »

وجاء دور ديليا ليحمر وجهها خجلا وقالت « لقد أنبتھا لانھا لم
تراع كرامة الآخرين فلو سمعت ما قلته لها لما ظننت اننى أقسو
عليها »

— انت لا تقسين عليها ! ما اعتقدت قط انك قاسية مع تينا
أنت على العكس . . . »

— هل تعتقدين بأننى أدلھما ؟

— فى بعض الاحايين

وأحست ديليا بحقنق لا تعرف سببه وقالت « ما الذى قلته ولا
توافقين عليه ؟ »

وردت اليھا شارلوت النظرة بنظرة مثلھا وقالت « أفضل أن
تعتقد اننى عانس . . . »

فغمغت ديليا ٠٠ وبلمحة من لمحات ذكائها الملهم
تسللت الى خبايا نفس شارلوت فادركت مرة أخرى وحدتها
المميتة . .

وتابعت شارلوت حديثها بارادة لاتهن « وای شيء آخر يمكن
لها ان تعتقد في ؟ »

قالت الارملة متعثرة « حقا ٠٠ حقا ٠٠ »

وهمت شارلوت لوفيل واقفة وهى تقول فى اصرار « اما ان
أكون عانسا صيقة العقل تبعث على الهزؤ والسخرية - ولا شيء
خلاف ذلك - أو أنسى لن آمن على نفسى معها ٠ »

قالت ديليا فى عطف ٠ « مساء الخير يا عزيزتى ٠٠٠٠ » وهنالك
لحظات كادت فيها ان تكره شارلوت لانها ام تينا ولحظات
أخرى كهذه عندما كان قلبها يعتصره الالم للمظهر الفاجع لهذه
الصلة غير المعلنة بين الام وابنتها .

وبدا على شارلوت أنها أدركت ما يدور فى خلدتها فغمغت تقول
وهى فى طريقها الى الخارج : « ولكن لا تشفقى على ! انها ابنتى »



فى بعض الاوقات كانت ديليارولستون تشعر بان الحوادث الحقيقية فى حياتها لم تبدأ الا بعد أن أنشأ طفلها الاثنان - فى أمان وطمأنينة - علاقاتهما الزوجية الناجحة فى نيويورك ، فتزوج الولد أولا من فتاة من عائلة ناندريجريف ودخل مع ابياها فى مصرفه فى « ألبانى » شريكا بنصيب صغير . أما ديليا الصغيرة (كما تنبأت لها امها) فقد اختارت جون جونيوس وهو أعقل شباب أسرة هالسى وأضمنهم مستقبلا وتبعته الى منزل والديه فى العام التالى لزواج أخيها .

وبعد ان تركت ديليا الصغيرة المنزل فى جرامرسى بارك لم تجد بيننا مناصبا من تحتل الواجهة الوسطى من الطابق الصيفى ، وكانت قد بلغت سن الزواج يحيط بها الاعجاب من كل جانب ، ولكن اى أمل كان فيها أن تجد زوجا ؟ ولم تذكر المرأتان المترقيبتان هذا السؤال فى حديثهما صراحة ولكن ديليا رولستون وقد طوت نفسها عليه يوما بعد يوم وحملته معها كلما أوت الى مخدعها بالليل أدركت أن شارلوت لوفيل فى نفس اللحظة قد حملت نفس المشكلة معها الى الطابق العلوى .

وإثناء ثمانى السنوات التى أمضيتها من حياتهما سويا لم تختلف المرأتان فى شيء الا نادرا . حقا كان من الممكن أن يقال أن علاقتهما خلت من الصراحة وكانت ديليا تفضل أن تكون علاقتهما على غير ذلك بعد ان تعمقت كل منهما فى الاطلاع على سريرة لآخرى وصار من غير الطبيعى أن يسدل حجاب بينهما . ولكنها فهمت ان جهل « تينا » بمولدها يجب أن يظل كما هو مهما كانت الظروف ، بينما كانت « شارلوت لوفيل » متحفظة لاتفصح عما يجول فى نفسها والتمست النجاة بطريقة لاتعرف لها بديلا وهى ان تلوذ بأذيال الصمت الدائم .

وحتى هذه اللحظة كانت شارلوت قد فرضت على نفسها صمتا اختياريا ولذا فقد دهشت السيدة رولستون عندما طلبت منها فجأة عقب زواج ديليا الصغيرة السماح لها بالانتقال الى المخدع الصغير المجاور لمخدع تينا وكان قد ترك فارغا عقب رحيل العروس . فقالت لها ديليا :

« ولكنك لن تجدى الراحة الكاملة هنالك يا شاتى . هل

فكرت في ذلك ؟ أو أن السلم يتعبك ؟ »
فأجابت : « كلا ليس السلم هو السبب » . . وكيف يمكن لها
أن تستغل لمصلحتها ذلك الاسم الذي تطوعت ديليا بتقديمه إليها
بينما تعرف ديليا أنها ما زالت تقطع درجات السلم صعوداً ونزولاً
كما تفعل الفتاة الصغيرة ؟ » واستمرت شارلوت تقول في
صوت منخفض كان له صرير كوتر غير منغم : « وهذا لأنه ينبغي
لي أن أكون قريبة من تينا »

- « حسن جداً * كما تودين » ولم تدر السيدة رولستون
السبب في أنها شعرت بضيق مفاجئ لهذا الطلب إلا إذا كان
السبب هو أنها كانت تمنى النفس بتأثيث الغرفة الخالية وجعلها
غرفة جلوس لتينا . . وكان في عزمها أن تؤثثها باللونين الوردي
والأخضر الفاقع كزهرة متفتحة .

ولكن شارلوت قالت : « طبعاً لو كان هناك أي سبب »
وكانها كانت تقرأ ما يجول في عقلها من أفكار .

- ما من سبب هناك اللهم إلا أنني قصدت أن افاجيء تينا
بتأثيث الغرفة كي تكون ملحفاً صغيراً خاصاً بها تضع فيه كتبها
وحوائجها وتستقبل فيه صديقاتها . .

« ما أرق قلبك يا ديليا ؟ ولكن يجب ألا يكون لتينا ملاحق خاصة »
قالت الأنسة لوفيل ذلك في سخرية وقد بدت البقع الخضراء
في عينيها . فقالت ديليا :

« حسن جداً كما تودين » وكررت ديليا بنفس النغمة المحزنة :
« سأشرف على انزال حوائجك غدا »

ووقفت شارلوت عند الباب وقالت : « واثقة أنت بأنه مامن
سبب آخر هناك ؟ » فقالت ديليا :

« سبب آخر ؟ ولماذا » ونظرت المرأتان أحدهما إلى
الأخرى نظرة هي إلى العداوة اقرب ، واستدارت شارلوت ،
خارجة .

وبمجرد أن انتهى الحديث شعرت ديليا بالضيق لأنها خضعت لرغبة
شارلوت . كأنه يجب أن تكون هي المنهزمة دائماً ، فأنها قبل
كل شيء سيدة المنزل ، ويمكن دائماً أن يقال إن كلا من شارلوت
وتينا مدينة لها بوجودها أو على الأقل بكل ما يجعل للحياة قيمة
ومع ذلك كلما نشأت مشكلة بشأن الفتاة كانت الغلبة دائماً
لوجهة نظر شارلوت بينما كان على ديليا أن تخضع !! وكأنما كانت

شارلوت بطريقتها الصامته العنيدة عازمة على أن تستفيد من
علاقة التبعية الموجودة بينهما ، والتي جعلت من الصعب على امرأة
لها طبيعة ديليا أن تقف منها موقف المعارضة .

وفي الحق كانت ديليا قد انسأقت وراء الحيال أكثر مما
أدركت انها تفعل ، فهفت نفسها الى الجلسات الهادئة مع تينا تلك
الجلسات التي لا بد أن بهيئها لهما الملحق الصغير الذي
أرادت أن تنشئه . . وقبل أن تتزوج أبنيتها اعتادت السيدة
رولستون أن تقضى ساعة من الزمان كل مساء في تلك الغرفة
حيث تتجاذب أطراف الحديث مع الفتاتين وهما تخلعان ملابسهما
وكانت تصغي الى تعليقاتها على حوادث اليوم . . . وكان في
مقدورها دائما أن تعرف آراء أبنيتها قبل أن تتفوه به ، ولكن
آراء تينا ولفئات ذهنها طالما سببت لها صدمات لذيذة لا لغرابتها
أو بعدها عن المألوف بل لانها كانت في بعض الاحايين تبدو كأنها
صادرة مباشرة من أعماق ماضي ديليا الاخرس ، ولان تلك الآراء
عبرت عن أحاسيس جالت في نفسها ولم تفصح عنها قط . . .
آراء لم تسر بها حتى لنفسها . . وفي بعض الاحايين ، كان يصدر من
تينا أشياء خيل لديليا رولستون أنها قالتها لكليمنت سبندر اثناء
تلك المعاشرة النفسية البعيدة التي طواها الزمن . .

والآن لابد أن يوضع حد لهذه الاحاديث المسائية فشارلوت قد
طلبت السكنى بجوار ابنتها ، أفزيدل ذلك على أنها أرادت لتلك
الاحاديث أن تنتهي ؟ لم يخطر ببال ديليا قط أن تأثيرها في
تينا يمكن ان يقابل بالغضب من أى انسان أما الآن فقد انبثق من
هذه الحقيقة ضوء أضواء جنباة الهوة السحيقة التي طالما فرق
بين المرأتين ، ولكن بعد لحظة من الزمان لامت ديليا نفسها لانها
عزت الى ابنة عمها شعورا بالحسد . . ألم يكن من الأجدر بها أن تمزق
هذا الشعور لنفسها ؟ لقد كان لشارلوت بصفتها أم تينا كل الحق
في أن تطالب بأن تكون بقربها . بقربها بكل معنى الكلمة ، فأى
حجة تعتمد عليها ديليا في معارضة هذا الحق الطبيعي ؟ . .
وفي اليوم التالي أصدرت أوامرها بانزال متاع شارلوت الى
الغرفة المجاورة لغرفة تينا .

وفي تلك الأمسية عندما حل وقت النوم سعدتا - شارلوت
وتينا - الى الطابق العلوى سويا ولكن ديليا تلكأت في الصعود
بحجة كتابة بعض الخطابات . . والحق أنها خافت المرور أمام عتبة

الباب حيث اعتادت اذناها أن تسمع ضحكات الصبيتين بينما راحت شارلوت لوفيل فى نوم عميق . . وشعرت ديليا بألم يخترم جسدها لمجرد التفكير فى أنه من الآن فصاعدا سيحال بينهما، وبين هذه الوسيلة التى تمكنها من الاحتفاظ بسلطانها على نينا.

وبعد ذلك بساعة عندما ارتقت السلم لى تذهب بدورها الى مخدعها شعرت بتأنيب الضمير، لأنها تحركت على بساط الممر بكل ما تستطيع من خفة، ولأنها توقفت أطول مما يجب كى تدير مفتاح الغاز عند رأس السلم، وفى أثناء تلكؤها أجهدت أذنيها كى تستمع الى الاصوات الصادرة من خلف الابواب القريبة حيث تنام شارلوت وتيننا . وكانت تحس بألم داخلى لو أنها سمعت كلاما وضحاكا صادرين من داخل الغرفة، ولكنها لم تسمع شيئا من هذا، كما أنها لم تر نورا خارجا من تحت الابواب . اذ من المؤكد أن شارلوت بطريقتها النظامية الصارمة قد أقرأت ابنتها السلام وتوجهت توا الى الفراش كعادتها . ومن الجائز انها لم توافق قط على استيقاظ نينا فى أوقات النوم وعلى قضاء وقت طويل فى خلع ثيابها . واتخاذ هذا الوقت فرصة للدعابات وتبادل الأسرار . ومن الجائز أنها طلبت الغرفة المجاورة لمخدع ابنتها لمجرد دانها أرادت ألا تضيع على ابنتها فرصة ماسمه « نوم العافية » .

وكلما حاولت ديليا أن تستكشف السر فى تصرفات ابنة عمها آبت من مغامرتها ذليلة النفس خجلى بسبب الدوافع الحقيرة التى وجدت نفسها تعزوها الى شارلوت . . كيف يحدث أنها هى ديليا رولستون - وسعادتها واضحة للعالم كله ومعترف بها من الجميع، ترى نفسها تنفس على شارلوت المسكينة هذا المقدار الضئيل من الامومة الذى تتمتع به بعيدا عن أعين الناس؟ لقد كرهت نفسها بسبب هذا الشعور بالحسد كلما اكتشفته فى دخليتها، وبذلت ما فى وسعها كى تكفر عنه بأسلوب رقيق دفعها الى مراعاة دقيقة لشعور شارلوت، بيد ان المحاولة لم تكن ناجحة دائما . وأحيانا كانت ديليا تسأل نفسها عما اذا كانت شارلوت لاتحنق على أى مظهر من مظاهر العطف خشية أن

ترى فيه ايماءة غير مباشرة لبسها . . ! ان أسوأ ما فى هذا الالم الذى تكابده شارلوت انه يلتهب وتزيد أوجاعه لمجرد اللمس الخفيف كانت ديليا وهى تخلع ثيابها فى بطة أمام المرأة المكسوة جواربها بالحريير ، والتى عكست صورتها قديما وهى عروس ، تدير هذه الافكار فى رأسها عندما سمعت دقا خفيفا . . ففتحت الباب ورأت تينا فى ثوب النوم وخصلات شعرها الفاحم تنسدل على كتفيها .

ومدت ديليا ذراعيها اليها وقلبها ينبض بالفرح وهمست الصبية : « كان يجب أن أحبك تحية المساء يا ماما » فقالت ديليا « طبعا ايتها العزيزة » وطبعت قبلة طويلة على جبهتها المرفوعة ثم قالت : « الى غرفتك حالا فقد توقطين خالتك . . انت تعرفين أن نومها خفيف ولذا يجب ألا تحدثنى أى صوت الآن وقد أصبحت ترقد فى الغرفة المجاورة لغرفتك » قالت تينا :

« أجل أعرف ذلك » ورضخت ورمقتها بنظرة متجهمة يبدو فيها شعور الاشتراك فى اثم .
ثم لم تسأل أسئلة اخرى ولم تتكأ ورفعت يد ديليا ووضعتها لحظة على خدها ثم تسللت خارج الغرفة بنفس الهدوء الذى جاءت به . . .



قالت شارلوت فى اصرار بعد أن ألفت بجريدة « ايفننج بوست » جانباً « ولكنك بالتأكيد تلاحظين أن تينا قد تغيرت .. ألا ترين ذلك ؟ »

كانت المرأتان تجلسان وحدهما بجوار المدفأة فى غرفة الاستقبال « بجرامرسى بارك » وكانت تينا قد ذهبت لتتعمش مع السيدة جون جونيوس هالسى ، قريبتها الشابة ، ومن ثمّة تذهب الى مرقص فى منزل أسرة فاندريجريف ومن هناك وعند جون جونيوس وزوجته بأن يعودا بها الى المنزل ، وبعد أن انتهت السيدة رولستون وشارلوت من تناول عشاءهما المبكر أصبح المساء كله وقفا عليهما . وكانت عادتهما فى مثل هذه الظروف أن تقرأ شارلوت الاخبار لابنة عمها فى صوت عال ، بينما تنهمك الاخرى فى شغل الابرة ولكنهما فى هذه الليلة وفى اثناء انتقال شارلوت من نهر الى نهر فى الجريدة دون أن تفعل عن كلمة أو تسقط حرفاً ، أحست ديليا بالسبب خاص بأنها تحرص على الاستفادة من فرصة غياب أبنيتها

ولكى تكتسب وقتاً قبل الاجابة انحنى السيدة رولستون فرفق شغلها الرقيق وعكفت على تطريزه بالغرز البيضاء .

ثم سألت : « وهل تغيرت تينا ؟ منذ متى ؟ »

وجا الجواب سريعاً : « منذ كان لاننج هالسى يكتر من التردد على هذا المكان .. »

— « لاننج ؟ كنت أعتقد أنه يأتى من أجل ديليا الصغيرة ، وكانت تتحدث دون تفكير لكى تكسب وقتاً أطول ... »

فأردفت شارلوت : « من الطبيعى أن تظنى بأن الناس كلهم يأتون من أجل ديليا ابنتك ولكن لاننج كان لا يترك فرصة واحدة دون أن يكون فيها مع تينا »

رفعت السيدة رولستون رأسها واستقرت نظرة سريعة الى ابنة عمها .. والواقع أنها لاحظت التغير الذى طرأ على تينا ، هذا التغير الذى يشبه تغير الزهرة فى تلك اللحظة الغامضة التى فيها يخرج ورق التتويج من جوفها قبل أن تتفتح اكمامه . ولقد تطورت الصبية وأصبحت أكثر اناقة وأكثر رقة وأكثر ميلاً

الى الصمت . وفي بعض الاحيان أكثر مرحا . . ولكن ديليا لم تربط بين هذه التغيرات في المراج وحضور « لاننج هالسى » وهو واحد من الشبان العديدين الذين كانوا يملأون الدار قبل رواج ديليا الصغيرة . . حدث حتما في بعض الاوقات أن السيدة رولستون كانت ترمق لاننج البهى الطلعة بقلب واجف ، فمن بين جميع شبان اسرة هالسى الاقوياء الثابتى الجنان كان هو الوحيد الذى لا تستطيع أى ام ذكية الفؤاد أن تعهد اليه بانيتها دون تردد . ومن الصعب معرفة السبب فى هذا اللهم الا أنه كان أبهى الجميع طلعة وأكثرهم بشاشة كما لم يكن ليحافظ على موعد . ولم تزعجه هذه الحقيقة أبدا . . لقد كان كليم سندر عنى هذه الشاكلة وماذا يحدث لو أن ديليا الصغيرة . . .

ولكن سرعان ما عادت الثقة الى نفس أم ديليا الصغيرة ، فالفتاة وهى نفسها لعوب ساحرة لم تهتم بهذه الصفات فى الآخرين الا اذا كانت مدعمة بصفات أكثر رصانة . . ولهذا كانت تتطلب الخصال المميزة لاسرة رولستون التى هى عضو أصيل فيها ، ومن ثم وقع اختيارها على فرد من اسرة هالسى يليق بعروس من أسرة رولستون . .

وشعرت السيدة رولستون بأن شارلوت فى انتظار جوابها فقالت فى لطف « من الصعب التعود على فكرة زواج تينا ولا أدرى ماذا نصنع وحدنا ونحن امرأتان متقدمتان فى السن فى هذا البيت المقفر من الناس ، اذ سيكون خاويا عندئذ ، ولكن أظن أنه يجدر بنا أن نواجه هذه الفكرة »

قالت شارلوت لوفيل فى اهتمام « اننى فعلا أواجهها »
- « وهل تكرهين لاننج ؟ أقصد كزوج لتينا . . ؟ »

وطوت الانسة لوفيل صحيفة المساء ومدت يدها النحيلة لتتناول شغلها ورمقت ابنة عمها الجالسة أمامها على المنضدة المصنوعة من خشب الليمون بنظرة سريعة وقالت : « يجب ألا تتشدد تينا أكثر مما يجب »

وقالت ديليا محتجة وقد أحمر وجهها « ولماذا »
واستمرت الاخرى تقول : « لنسم الاشياء بأسمائها . . .
هذه طريقتى دائما عندما أتكلم ، بيد أننى كما تعلمين لا أتكلم كثيرا »

وأشارت الارملة بيدها علامة الموافقة واستمرت شارلوت تقول « هذا هو الصواب ولكننى كنت أعتقد دائما بأن اللحظة قادمة

عندما مضى الى الكلام فى هذه المسألة ..» فقالت ديليا :
« الكلام فى هذه المسألة ؟ أنت وأنا ؟ أى مسألة » فأجابت شارلوت :
« مستقبل تينا »

وساد صمت تنفست فيه ديليا رولستون الصعداء فهى
دائما تستجيب الى كل نداء يطلب منها بذل المروءة والاخلاص ،
وتهيات لها هذه الفرصة حين أخذ الثلج المتراكم فى صدر شارلوت
يتحطم ويذوب أخيرا .

وغمغمت ديليا : « يا عزيزتى أنت تدرين مقدار اهتمامى
بسعادة تينا فان كنت لا توافقين على لانج هالسى كى يكون زوجها
لتينا فهل تفكرين فى شخص آخر ترشحيه لها ؟ .. »

وابتسمت الأنسة لوفيل احدى ابنتاماتها الباهتة
المغتصبة وقالت « لست أعلم بوجود ضيف من المعجبين عند
الباب كما أننى لا أرفض » لانج هالسى كزوج فانا شخصا
أراه مناسباً جداً وأدرك تأثيره على تينا .. »

« وهل تينا تميل اليه ؟ »

- نعم

وألقت السيدة رولستون بالشغل جانبا وأخذت تتأمل فى
تفكير عميق وجه ابنة عمها الدقيق التقاطيع ولم يسبق
لشارلوت لوفيل أن ظهرت بمظهر العانس المثالية أكثر مما هى
الآن ، وهى تجلس هنالك منتصبة الصدر على كرسيها ذى الظهر
المستقيم ومرفقاها متقاربان ، بينما تصطك ابر الشغل وهى
تناقش موضوع زواج ابنتها فى هدوء وروية .
واستأنفت ديليا تقول :

« مهما كانت عيوب لانج - ولا اعتقد انها عيوب خطيرة - فانى
أشاركك الميل اليه على أى حال » وتوقفت السيدة رولستون ثم
واصلت الحديث « أى شىء فيه يجعل الناس يأخذون حذرهم
منه ؟ أهم ما وصل الى سمعى عنه انه لا يستطيع أن يتخذ
قرارا فى اختياره لمهنته .. ارأى المدينة فيما يختص بذلك
يميل الى التشدد كما نعرف كلنا وقد تكون لدى الشبان ميول
أخرى .. فنية .. أدبية .. وقد يكون من الصعب عليهم أن
يقرروا شيئا .. »

وتلون وجها المرأتين قليلا وأدركت ديليا ان نفس الفكرة
التي عصفت بصدرها قد اضطربت كذلك داخل قوام شارلوت
المعتدل .

وتكلمت شارلوت « نعم أدرك ذلك ، ولكن التردد فى اختيار المهنة قد ينتج عنه التردد فى .. اتخاذ قرارات أخرى ... »
- ماذا تقصدين ؟

- لم يطلب لآنج من تينا أن تتزوجه ..
- وهل تظنين انه متردد فى ذلك ؟

وانقطعت شارلوت عن الحديث وتميز الصمت بصوت اصطكاك الابر كما تميز ذات مرة قبل سنين عدة بدقات الساعة الباريزية الموضوعة فوق المدفأة فى غرفة ديليا .. وبينما تعود ذاكرة ديليا الى الورا متأملة ذلك المنظر اذ بها تحس بأن الهواء بات يحمل اليها نفس التبرتر الغامض الذى شعرت به حينذاك وتكلمت شارلوت .. « لم يعد لآنج مترددا ، لقد قرع زمه على ألا يتزوج تينا ولكنه أيضا قد عقد النية على ألا ينقطع عن مقابلتها .. »

وفى الحال احمر وجه ديليا فلقد أهاجتها وحيرتها كلمات شارلوت القاطعة الخارجة من بين شفيتين حريصتين مدقتين .
- « انت لاتقصدين الى القول بأنه تقدم ثم عدل عن هذا القرار ؟ ليس فى وسعى أن اصدق أن مثل هذه الاهانة يمكن أن تصدر منه فى حق تينا .. »

- « انه لم يهن تينا بل أخبرها بكل بساطة بأن حالته المالية لا تمكنه من الزواج ، فالى أن يقع اختياره على مهنة يمدده والده بضع مئات من الدولارات فى كل عام ، وحتى هذا المبلغ من المحتمل أن يقطع عنه لو انه تزوج على غير رغبة والديه . »

وهنا جاء دور ديليا فى الصمت ، فقد اعادت شارلوت الحياة الى الماضى بكلماتها على صورة غامرة فتجسد كليمنت سندر أمامها بتردده وفقره وجاذبيته .. آه ليتها فقط سمحت لنفسها بأن تخضع لسحر جاذبيته !
ثم قالت :

« يؤسفنى جدا أن يحدث هذا لتينا ، ولكن لما كان لآنج لم يخرج فى تصرفه عن جادة الشرف وعاد أدراجه دون أن يثير فى النفس آمالا كاذبة فيجب أن ننشد الامل ويجب أن نرجو .. »
وتوقفت ديليا عن الحديث فهى لا تدرى فى أى شىء يجب أن تأمل ..

وضعت شارلوت لوفيل الشغل الى جانبها وقامت : « تعرفين

يا ديليا ان كل شاب يقع في حب تينا لابد واجد اسبابا وجيهة لعدم الزواج منها .. » فقالت ديليا :

« وهل تظنين أن اعتذار لانج مجرد تعللات ؟ »

- « بالطبع وهى اولى التعللات التى سيبيدها من يجيئون بعده ، وسيخلفه كثيرون ، فتينا ذات جاذبية .. »

وغمغت ديليا « نعم »

واخيرا أصبحنا وجهي بوجه مع المشكلة التى ظلت خلال جميع سنى الصمت والتهرب قريبة من السطح كجيفة دفنت على عجل ! وتنفست ديليا تنفسا عميقا آخر ، فلقد ادركت دائما صعوبة العثور على زوج لتينا وبالرغم من اهتمامها بسعادة تينا وسوس فى نفسها وسراس داخل يمت للانانية بكبير صلة يقول ان ختام حياتها لابد أن يصبح أقل خضوعا لسلطان الوحدة وأقل خلوا لو قسدر للصبية أن تشاركها هذه الحياة ... ولكن كيف السبيل الى مضارحة ام تينا بهذا ؟

- « انى لأرجو أن تكون المبالغة طابع كلامك يا شارلوت فقد توجد بعض الشخصيات التى لا تهتم بالامراض السائدة ... ولكن على أى حال يجب ألا تحسن تينا بالتعاسة هنا ومعنا ، نحن الذين نكن لها الحب العميق .. »

- « وهل تصبح تينا عانسا؟ كلا مطلقا ! » واثتصبت شارلوت لوفيل واقفة وقد ضربت المائدة الصغيرة بجماع يدها وهى تقول : « يجب أن تعيش طفلى حياتها .. وتتمتع بالحياة .. مهما كلفنى ذلك .. »

وفاض عطف ديليا وكان وشيك الظهور وهى تقول « أدرك شعورك .. هذه أيضا رغبتى وأن كان من الصعب فراقها .. ولكن لا داعى قط للعجلة - فما من سبب يدعونا الى التطلع الى المستقبل أكثر مما يجب . فالفئة لم تبلغ العشرين بعد .. انتظري .. »

ووقفت شارلوت أمامها لا تبدى حراكا منتصبه القامة وفى مثل هذه اللحظات تدعو هيأتها ديليا الى التفكير فى الحمم التى تكافح للخروج من جوف الصخر الصوان ! بيد أنه ليس ثمة مخرج للنيران المتأججة فى أعماقها .. ثم شرعت تتكلم :

« أنتظري ؟ ولكن اذا هى لم تنتظري ؟ »

- « ولكن ذاك قد تراجع - ماذا تقصدين بهذا ؟ »

— «لقد تخلى عن فكرة الزواج منها — ولكنه لم يتخل عن رؤيتها ...»

وقفزت ديليا هي الاخرى على قدميها وهي ترتعش وقد اندفع الدم الى وجهها .

— « شارلوت أتعرفين مدى تلميحك ؟ »

— « نعم أعرف »

— « ولكن هذا شيء مهين • لا يليق بفناتة شريفة »

وماتت الكلمات على شففتي ديليا ، وظلت شارلوت لوفيل نمد بصرها في اصرار وهي تقول « ليست الفتيات دائما كما نقولين شرفاء .. »

وعادت السيدة رولستون في بطاء الى مقعدها وكان اطار شغلها قد سقط على الارض فانحنت لتلتقطه وظل قوام شارلوت النحيل معلقا فوقه — ابقسوة كأنه القدر .

— « لا أستطيع أن أتصور يا شارلوت الفائدة التي تعود من ذكر مثل هذه الاشياء — حتى مجرد الاشارة اليها • أنت قطعاً تنقين بابتك .. »

وانفجرت شارلوت ضاحكة وهي تقول « فقد وثقت أُمى بى »
— « كيف تجرؤين — كيف تجرؤين ؟ » ثم توقفت ديليا عن الكلام وأحست بغصة في حلقها ...

— « أننى أجرؤ على اتيان أى شيء فى سبيل تينا كما أنى أستطيع ان اراها على حقيقتها .. »

— « ترينها على حقيقتها؟ انها كاملة الصفات وليس فيها عيب ! »
— « لنقل اذن أن عليها أن تكفر عن ذنوبى وكل ما أرجوه ألا تدفع الثمن غاليا .. »

وجلست السيدة رولستون صامتة وقد خيل اليها أن شارلوت قد نظقت بلسان جميع المصائر المظلمة التي تضطرب تحت صفحة الحياة الهادئة ومامن رد على هذا الصوت غير الموافقة الصامتة المشوبة بالرهبة .

ثم قالت فى صوت منخفض « يالتيينا المسكينة ! »

— « لا أقصد أن لامناص من أن تتعذب ! ليس لهذا انتظرت .. وانتظرت .. انى ارتكبت أخطاء أدرك كنهها الآن ولا بد

لى أن أعالها ٠٠ لقد كنت معنافى غاية النبل ولا بد لنا من
الرحيل ٠٠»

- «الرحيل ؟» لفظت ديليا بهذه الكلمة وهى تلهث .

- «أجل ولا تظنى أننى ناكرة للجميل لقد أنقذت ابنتى مرة -
وهل يخطر ببالك أننى أنسى ؟» ولكن جاء دورى - فأنا التى
يجب أن أنقذها - الآن ، ولن أنقذها الا بأخذها بعيدا عن
هذا المكان - بعيدا عن كل ما تعرفه هنا .

لقد عاشت اطول مما يجب وسط بحر من الاوهام
وانها لتشبهنى ولن تقنع بها ٠٠»

- «أوهام ؟» رددت ديليا الكلمة دون وعى .

- «أوهام بالنسبة لها! أوهام الشبان الذين يغازلونها ولا
يستطيعون أن يتزوجوها . أوهام الاسر السعيدة التى
تستقبلها بالترحاب الى أن تتطرق الزيبة الى نفوسهم فيظنوا أنها
تنصب شباكها حول أخ أو زوج - أو الى أن تتعرض لاهاناتهم ٠٠
كيف يمتد بنا الخيال أنا وأنت فنتصور أن فى مقدور تلك
الطفلة أن تفر من الكارثة ؟ لم أفكر فى غير سعادتها ، ولكن
هذا الذى وقع من الشباب هالسى قد فتح عينى فلا بد لى من أن
أخذ تينا وأرحل . يجب أن نذهب لنعيش بعيدا فى مكان
لا يعرفنا فيه أحد حيث نتخدم مقامنا وسط أناس بسطاء
يعيشون حياة بسيطة وحيث تستطيع العثور على زوج وتكوين
أسرة ٠ »

ثم توقفت شارولت عن الحديث اذ وهن صوتهها واخذت تكرر
فى توجع : « لست ناكرة للجميل ٠٠ »

- «دعينا من الحديث عن عرفان الجميل ! ما مكانه بينى
وبينك ؟»

وكانت ديليا قد وقفت فى مكانها ثم شرعت تتحرك فى
جوانب الغرفة فى قلق ٠٠ اشتاقت نفسها الى أن ترجو
شارولت وأن تتوسل اليها ألا تتعجل وان تصور لها انفسوة
فى ابعاد تينا عن كل ما اعتادته وارتبطت به ، والظلم البين
فى أخذها دون تفسير الى مكان بعيد لتحيا حياة بسيطة
وسط أناس بسطاء . أى أمل هناك فى أن مثل هذه المخلوقة
المتألقة يمكن أن تخضع بسهولة لمثل هذا المصير أو يمكن أن تجد
زوجا فى مثل هذه الظروف؟ ان التغيير قد ينبجلى فقط عن مأساة

وان تجارب ديليا لتقصر عن تخيل صورة دقيقة لما يمكن أن يحدث
لفتاة كتينا تقطعت بها سبل الحياة الرضية فجأة ولكن صورا
غامضة للتمرد والهرب والسقوط العميق الذى لا يمكن الخلاص منه
والذى يفوق سقوط شاراوت قد انبرت لها فجأة وزحمت خيالها
المعذب ..

صرخت تقول لنفسها أكثر مما تقول لشارلوت « ان هذا
لشيء مفرط فى القسوة - مفرط فى القسوة »

الا أن شارلوت بدل أن تجيب نظرت فجأة الى الساعة وقالت :
« هل تعلمين كم تكون الساعة الآن ؟ انها بعد منتصف الليل
ولا يجب أن تظلى جالسة فى مكانك فى انتظار ابنتى
الطائشة .. »

وانقبض قلب ديليا ورأت أن شارلوت ترغب فى أن تضع
حدا لهذا الحديث وذلك بتذكيرها بأن أم تينا فقط هى
التي تملك الحق فى تقرير مصير تينا وفى تلك اللحظة وان كانت
ديليا قد أعلنت منذ هنيهة أن موضوع عرفان الجميل
ليس له وجود بينهما الا أن شارلوت لوفيل بدت فى عينيها
شيطانا يمثل نكران الجميل وكان على طرف لسانها أن تصرخ قائلة
« ألم تخولنى كل هذه السنين أى نصيب فى تينا ؟ » ولكنها
أسرعت بوضع نفسها فى مكان شاراوت وأحست بالمخاوف المربعة التى
تحسها الام نحو طفلتها فلقد كان أمرا طبيعيا من شارلوت أن تثور على
محاولة مهمما كانت بسيطة لحرمانها فى السر من سلطة
لا تستطيع أبدا أن تزاولها فى العلن وفى عطف مؤلم أدركت
أنها الشخص الوحيد فى العالم الذى تستطيع شارلوت أن تمثل
أمامه دور الام ..

ثم قالت تحدث نفسها يا للمخلوقة التعسة - آه لنتركها الآن !
ثم قالت لشارلوت :

« ولكن لماذا تظلين ساهرة فى انتظار تينا ؟ ان المفتاح معها
وديليا الصغيرة ستعود بها الى المنزل »

ولم تجب شارلوت لوفيل بسرعة ولكنها طوت شغلها ونظرت
فى صرامة الى أحد الشمعدانات الموضوعة على رف المدفأة وسارت
نحوه لتعدل وضعه ثم تناولت الحقيبة التى تضع فيها أشغال
الابرة .. وهى تقول :

« نعم ! كما تقولين - لماذا يسهر أى انسان من أجلها ؟ »
وتجولت فى الغرفة تطفىء المصابيح وتغطى النار وتتأكد
من أن النوافذ قد أغلقت بالمزلاج .. بينما كانت ديليا ترقبها فى
هدوء ، ثم أضاءت المرأتان شمعتين لمخدعيهما وصعدتا السلم فى
البيت الذى شمله الظلام وبداعلى شارلوت العزم على ألا تشير
الى موضوع حديثهما مرة أخرى .. وعلى رأس السلم توقفت حتى
تحنى رأسها لديليا كى تقبلها قبله المساء . ثم قالت بطريقتها
التي تنم عن الكفاءة فى ادارة شئون المنزل :

« أرجو أن يكونوا قد واصلوا اشعال النار فى غرفتك كى تظل
دافئة » .. وبعد أن تبادلت المرأتان تحية المساء سارت شارلوت فى
الممر المؤدى الى غرفتها .



كانت النار فى غرفة ديليا تشتعل فى المدفأة وقميصها على مقعد أمامها كى يدفا ولكنها لم تخلع ثيابها ولم تجلس فان حديثها مع شارلوت قد ملا نفسها فلقا عميقا ..

وللحظات قليلة وقفت وسط الغرفة وهى تتلفت حولها فى بطء .. ما من شىء قد تغير فى الغرفة التى فكرت فى أن تغير تأيئها على طريقة حديثة منذ كانت لاتزال عروسا .. كانت كل أحلامها فى التجديد قد تلاشت منذ زمن طويل جدا فان شيئا من الإهمال العميق وعدم المبالاة تأصل فيها وجعلها تحس بالتدريج كأنها شخص ثالث يعيش حياة امرأة أخرى لا تمت بأية صلة لديليا لوفيل تلك الفتاة النشطة الحية التى أقبلت على هذا المنزل وكلها مشروعات وأحلام .. عرفت أن الخطأ لم يكن خطأ زوجها فانها بقليل من البراعة وقليل من الإغراء كان يمكن أن تحقق أية رغبة لها فى يسر وسهولة كما حققت رغبتها فى وضع الطفلة اللقطة تحت جناحها .. بيد أنها بعد هذا الانتصار لم تر هنالك شيئا آخر يستحق الكفاح ، فالنظرة الاولى الى تينا الصغيرة جعلتها لاتهتم بأى شىء فى الحياة الا بخدمته زوجها وأطفالها ، ولم تعد ترى أمامها سوى مستقبل ملىء بالواجبات وقد تمتتها بكل أمانة واستبشار ، ولكن حياتها كانت قد أوفت على الغاية: فأحست بتحللها من كل قيد كراهبة تعيش فى دير .

كان التغير الذى طرأ عليها من العمق بحيث لم يكن من اليسير اخفاؤه ، ولقد كان أفراد أسرة رولستون يتباهون علنا بدقة ديليا المحبوبة ومراعاتها للأصول الثابتة الموروثة . وهكذا قويت تقاليد الأسرة ومعتقداتها بما تسوقه الظروف من براهين جديدة على قوة هذه التقاليد والمعتقدات وأحقيتها للحياة .. وفى هذه اللحظة عندما أدارت ديليا بصرها حولها ونظرت الى الصور البارزة من عمل « ليوبولد روبرت » والى الصور القديمة لأعضاء انعائلة والى قطع الاثاث القديم من خشب الورد وخشب الماهوجنى .. أحست بأنها تتطلع الى حوائط قبرها .

جاءها التغير فى نفس اليوم الذى أطلقت فيه شارلوت لوفيل اعترافها المخيف وهى قابضة فى ذلك المقعد ذاته .

وعند ذلك وللمرة الاولى سمعت ديليا فى دهشة مخيفة صوت اقوى العمياء للحياة تتلمس طريقها صاحبة تحت قدميها ، لكنها أدركت فى ذلك اليوم ايضا انها محرومة من هذه الحياة ، محتوم عليها أن تعيش بين الخيالات مع افراد أسرة رولستون .

لقد قطعت على نفسها بالزواج عهدا ظلت وفية له عشرين سنة ، وصارت بمقتضاه تتصرف كفرد من أسرة رولستون ، ولم تسترد شخصيتها طوال ذلك الزمن الا مرة واحدة رأت فيها ان الموقف العنيف يوجب عليها أن تفعل . وها هى الآن تسمع النداء مرة ثانية يدعوها ، وتحس باليقظة فى أعماق نفسها تعاودها ، فلا مناص لها من ان تسترد شخصيتها فى الحياة لفترة أخرى .

انها لا تفعل ذلك من اجل كليمنت ، ولا من اجل شارلوت ، بل هى لا تفعله من اجل تينا العزيزة ، وانما تفعله من أجلها هى نفسها ، من اجل ديليا رولستون . فلتسرع الى هدم الحواجز التى اقامتها حولها تقاليد أسرة رولستون ، ولتخرج الى الحياة الواسعة الحرة .

وقطع حبل تأملاتها حركة خفيفة فى المنزل الصامت وشعرت بباب شارلوت لوفيل يفتح وسمعت صوت احتكاك ثيابها الثقيلة وهى تتجه الى السلم ، وظهر النور فجأة من تحت باب الغرفة ثم اختفى . . لقد مرت شارلوت بباب ديليا فى طريقها الى أسفل البيت .

واستمرت ديليا تصيخ السمع دون أن تتحرك . . ومن المحتمل ان دقة شارلوت قد دفعتها الى النزول لتتأكد من ان الباب الخارجى مغلق بالزلاج ، أو أنها حقا أطفأت النار فى المدفأة . فلو كان هذا غرضها فلا بد أن تعود ، بيد انها لم تسمع صوت أقدامها تعود فأدركت أن شارلوت نزلت كى تنتظر ابنتها . . لماذا ؟

كان مخدع ديليا فى الناحية الامامية من البيت فتسللت على السجادة الثقيلة وأزاحت السجف جانبا وطوت مصراع النافذة الداخلى ، فرأت تحتها الميدان الحالى أبيض بتأثير ضوء القمر ورسمت ذرات الثلج الساقط حديثا هيئة جديدة لجذوع الاشجار القائمة فيه . اما المنازل المواجهة فقد نامت فى ظلام دامس . . فما من

خطوة واحدة ظهر أثرها على أديم الأرض ، وما من عربة شوه
مرورها جمال الشوارع المتألق . أما السماء فقد سبحت نجومها
فى ضوء القمر . .



من بين العائلات التى تعيش حول « جرامرسى بارك » عرفت
ديليا ان عائلتين فقط توجهتا الى المرقص : عائلة فاندرجريف
وابناء عمومته من شبان عائلة بارملى رولستون فقد كانت
عائلة لوسسيوس لانج على وشك أن يتموا أعواما ثلاثة من الحداد
على والدة السيدة لوسسيوس ، وكان من الصعب على ابنتهم كيث - ولما
تبلغ الثامنة عشرة بعد - أن تذهب الى المرقص قبل الحادية
والعشرين وهى سن الخروج الى الحياة الاجتماعية ، كما كانت السيدة
مارسى منجوت الشابة تنتظر مولودها الثالث فاخفت عن الناس
زهاء عام . أما السكان الآخرون فى الميدان فقد كانوا من مجهولى
الهوية ولم يدعهم احد الى المرقص

ضغطت ديليا جبهتها على زجاج النافذة ، قبل مرور زمن طويل
فسترى مواكب العربات على قمة الطريق ، وسيمتلئ الميدان النائم
بأصوات حوافر الخيل ، وسترن الضحكات وتسمع كلمات الوداع
على ألسنة الشباب عند عتبات الابواب . ولكن لما دأبلت شارلوت
تنتظر ابنتها فى أسفل المنزل فى الظلام ؟

ودقت الساعة الباريسية الواحدة فعادت ديليا الى الغرفة
وحركت النار ثم تناولت شالها ولقت نفسها فيه ثم رجعت الى
مكانها بجوار النافذة . . آه كم مز السنين طوت ! لا بد أنها
بلغت من العمر عتيا لتحس بأثر البرد فى مثل هذا الوقت . .
وأيقظها ما يخبئه لها المستقبل : التهاب الاعصاب والروماتيزم
وتصلب الشرايين وعلل أخرى مراكمة . . وما حدث لها قط أن
وقفت فى ضوء القمر وحولها ذراع حبيب يدفئها . . !

ظل الميدان على صمته ومع ذلك فلا بد ان يكون المرقص قد
أشرف على الانتهاء ، فأكثر المراقص مرحا وبهجة لا تستمر بعد الواحدة
صباحا بكثير كما ان المسافة من ميدان الجامعة الى « جرامرسى
بارك » لم تكن طويلة . . واتكأت ديليا على الموقد وأصاحت
السمع . .

سمعت أصوات حوافر الخيل وهى تضرب فى الثلج فى

ميدان « ايرفنج » ووقفت عربية عائلة بطرس فاند ر جريف أمام المنزل المقابل لمنزلها . . . وقفزت البنات وأخوهن خارج العربية وارتقين معه السلم، ثم وقفت عربية ثانية على بعد خطوات أخرى ، ونزل أفراد عائلة بارملي رولستون أمام باب منزلهم، وعلى ذلك يجب ان تكون العربية الثالثة التى ستظهر على رأس الطريق هى عربية عائلة جون جونيوس وبها تينا .

ودقت الساعة النصف بعد الواحدة ، وتعجبت ديليا فان ابنتها ديليا الصغيرة لا تبقى أبدا فى الحفلات الى ساعة متأخرة من الليل رعاية لساعات عمل زوجها « جون جونيوس » . . فلا شك ان تينا أخرتها . . وأحسست السيدة رولستون بشىء من القلق يشوبه الغضب لاستهتار تينا وتأخيرها لابنة خالتها . ولكن موجة من العطف على تينا سرعان ما عمرت قلبها وغمرت ذلك الشعور بالغضب .

ومالبثت ديليا ان تذكرت قول شارلوت « انها يجب ان ترحل الى أى مكان لتعيش، حياة بسيطة وسط أناس بسطاء » . وكانت ديليا تدرك تماما أن شارلوت ما كانت لتقول هذا القيل لى لم تكن مصممة على تنفيذه . فمن الجائز أن تكون هذه السهرة الراقصة هى آخر سهرة لتينا .

ومر ربع ساعة أخرى وبدأ البرد يتسلل من خلال شالها فرأت شخصين يظهران فى الميدان الخالى قادمين من رحبة ايرفنج وكان أحدهما شابا يلبس قبعة عالية ويرتدى معطفا واسعا وفى ذراعه تعلق انسان قد تدثر بأغطية ثقيلة فلم تدرك ديليا أنه تينا الا بعد أن سقط عليها ضوء المصباح المعلق على زاوية الشارع . . وبعد ذلك تعجبت لأنها لم تعرف فى الحال خطوات تينا الراقصة وطريقتها فى امالة رأسها كى تتطلع فى وجه الشخص الذى تتحدث اليه

تينا . . تينا ولا ننح هالسى يعودان الى البيت فى الساعات المتأخرة بعد منتصف الليل قادمين من حفلة عائلة فاند ر جريف الراقصة! لقد فكرت ديليا أول ما فكرت فى وقوع حادث: قد تكون العربية انكسرت أو أن ابنتها أصابها مرض حال دون استمرارها فى الحفل فعادت الى المنزل . . ولكن لماذا لم تأت تينا فى العربية واذا كان ثمة حادث من أى نوع فلماذا لم يسرعوا الى السيدة رولستون

لبنبئوها بما جرى ! ولكن بدلا من ذلك أخذت تينا وصديقها
يتسكعان في الليل المتألق البارد كعشيقين يتنزهان في منتصف
الصيف وكان حذاء تينا الخفيف يطأ زهرات الاقحوان بدلا من
حبّات الثلج . .

وأخذت ديليا ترتعش كصبية، ففي لمح البرق عرفت الاجابة عن
سؤال طالما كان موضوعا لتكهنتها الخفية . . كيف كان يدبر العشاق
من أمثال شارلوت وكليمنت سبندر أمر تلاقيحهم ؟ أى وحدة
رهبانية أخفت مباحهم المسروقة ؟ فى مجتمعهم الصغير المكتظ بالناس
الظاهر للعيان ، كيف يمكن عمليا لهذا التلاقى أن يتم ؟ ما كانت
ديليا لتستطيع أن تسأل شارلوت هذا السؤال قط فقد مرت عليها
لحظات كانت تفضل ألا تعرف جوابا عنه ، أو تخاطر بالحدس
والتخمين ، ولكنها الآن وبمنظرة واحدة أدركت كل
شئ . . كم مرة عادت فيها شارلوت لوفيل أثناء بقائها
وحيدة فى المدينة مع جدتها المشلولة من حفلات ليلية فى
صحبة كليمنت سبندر وكم مرة التقيا سويا داخل البيت المظلم
فى شارع « مرسر » حيث لا يوجد من يطلع على حركتها سوى
سيدة طاعنة فى السن صماء وخدمها العجائز والجميع يرقدون
فى سلام فى الدور العلوى ! وعندهذه الفكرة رأت ديليا عرت
الاستقبال المقبضة التى كانت لها بمثابة الغابة المضيئة بنور
القمر . . غرفة الاستقبال التى لم تعد السيدة « لوفيل » العجوز
تنزل اليها ذات الشمعدان الكالح ومقاعد الصلبة من طراز
الامبراطورية والتماثيل الرخامية التى تحمل رف المدفأة . . لقد
تخيلت أشعة القمر وهى تسقط على رسوم السجادة القديمة ، وفؤ
الضوء الابيض الشفاف رأت شخصين صغيرى السن يتعاسان

أجل لابد أن تكون بعض الذكريات المشابهة هى التى
أثرت شكوك شارلوت وأهاجت مخاوفها فجعلتها تنزل الى أسفل
البيت كى تفاجئ المذنبين فى الظلام . . وسرت الرعدة فى
جسم ديليا لما فى هذه المواجهة من سخرية . . آه لو علمت تينا !
ولكن شارلوت كانت فى عيني تينا لا تزال كما رغبت منذ
وقت طويل أن تكون : صورة حبة للعانس المحتشمة ، واستطاعت
ديليا أن تتخيل كيف سيمثل المنظر أسفل السلم فى هدوء
وبراءة ، دون أن يصدر من شارلوت أى تعجب أو أى تأنيب
أو كلام خارج عن حدود اللياقة ، وكل ما يمكن ان يصدر منها هى

تجاهل تام لجميع المعاذير فى ابتسامة رقيقة • فتخيلت ديليا
أن شارلوت سوف تقول :

« ماذا تينا ؟ تعودين الى البيت فى صحبة لانج ؟ انت أيتها
الطفلة العابثة وفى هذا الثلج الرطب ! آه حقا : لقد
قلقت ديليا الصغيرة على طفلها فعاتت مبكرة ووعدت بأن ترسل
العربة - ولكن العربة لم تعد ؟ حسنا يا عزيزتى أهنتك على
قدرتك على جعل لانج يصحبك الى البيت نعم ! سهرت لأننى لم
استطيع أن أتذكر اذا ماكنت قد أخذت معك مفاتيح الباب الخارجى
فهل رأيت مثل هذه الحالة العجوز البلهاء ؟ ولكن لا تخبرى
أمك يا عزيزتى والا فانها ستؤنبى على نسيانى وعلى بقائى هنا فى
البرد •• هل أنت واثقة تماما بأن المفتاح معك ؟ آه انه مع
لانج انك فى غاية الرقة - مساء الخير - أو يجدر بى أن أقول صباح
الخير •• »

وعندما وصلت ديليا الى هذه النقطة من تمثيلها الصامت
للحديث بين شارلوت وبينما أغلق الباب الخارجى بقوة وابتعد
الشاب لانج هالسى فى بطاء نحو الساحة وشاهدته ديليا وهو
يتوقف عن السير على الافريز المواجه للبيت وهو يتطلع الى
واجهة المنزل ثم يعود الى السير فى تراح • لقد استغرق انصرافه
الوقت الذى حسبته ديليا بالضبط ••

وبعد لحظة شاهدت نورا يمرتحت باب غرفتها وسمعت
خفيف ملابس شارلوت المنشاة وعرفت ان الام وابنتها قد عادتا
الى غرفتيهما •

وفى بطاء وبحركات متصلبة بدأت تخلع ملابسها ثم اطفأت
الشموع وركعت بجوار سريرها دافئة وجهها فى الفراش ••



استلقت ديليا على سريرها حتى الصباح دون أن يغمض لها جفن وفى تلك الاثناء استعادت فى ذاكرتها كل تفصيلات اليوم الخطير عندما اخذت على عاتقها العناية بمصير طفلة شارلوت وكانت فى ذلك الوقت لا تبعد كثيرا عن دور الطفولة ولم يكن لديها احد تلجأ اليه أو يقوى ساعدها عندما تتخذ قرارات أو يسدى لها النصيحة فى تنفيذ هذه القرارات

ومنذ ذلك الوقت كان يجب أن تكون التجارب التى بجمعت لها فى مدى عشرين سنة قد عدتها لساعات الطوارئ وعلمتها كيف تسدى النصح للآخرين بدلا من ان تسعى وراءهم طالبة معونتهم . . بيد ان هذه السنين من الخبرة أخذت تضغط كاهلها كسلاسل ثقال وتقيدها بقوة الى الرقعة الصغيرة من الارض التى تعيش عليها ، فالتصرف المستقل أصبح بالنسبة لها عملا أكثر خطرا وأقل قابلية للتنفيذ . . كان عندما فكرت فيه أول مرة . . ويبدو الآن أنه لا بد لها من أن تراعى فى تصرفاتها عددا من الناس أكثر من ذى قبل ، فهناك أولادها ثم أولادهم ، ثم أفراد الاسر التى اتصلوا بها عن طريق المصاهرة والنسب .

فماذا سيقوله أفراد اسرة هالسى مثلا ، أو أفراد أسرة رولستون ، وهل أصبحت هى عضوا أصيلا فى أسرة رولستون؟؟

وبعد ساعات قليلة كانت جالسة فى غرفة المكتبة الخاصة بالدكتور لانسكل العجوز عيناها مثبتتان على سجاده الازميرية القديمة ، لقد انقطع الدكتور لانسكل الآن عن مزاوله الطب ، وبضى عليه على هذا الحال بضع سنين ، وأقصى ما يفعله هو ان يزور عددا قليلا من مرضاه القدماء فيبدي مشورته فى الحالات المستعصية ، ولكنه ظل قوة فى مملكته القديمة أشبه شئ برئيس شرف أوزعيم روحى لجماعة الاطباء واعتاد المرضى الذين داوى أمراضهم الجسدية ان يستشيروه فى مشاكلهم النفسية . . ولقد اجتمع الناس على دقة حكم الدكتور لانسكل ، ولكن الشئ الخفى الذى جذبهم اليه هو ما عرف عنه من صدقه وصراحته ، وخاصة فى أشد الاوساط تعصبا للجنس . . والان وديليا جالسة ترقب جسمه الضخم ذا الرأس الفضى اللون وهو يتحرك حول الغرفة

في ثقل بين صفوف من الكتب الطبية وعدد من تمثيل المصارعين
والملوك التي أهداها اليه مرضاء المعترفون بجميله ، أحست نحوه ،
بالاطمئنان والثقة وشرعت تقول

— « عندما توليت أمرتين الأولى مرة يجوز أنني لم أفكر تفكيراً
كافياً » .

وقف الطبيب خلف مكتبه وضربه بجماع يده ضربة خفيفة
وقال : « لحسن الحظ أنك لم تفعل ذلك .. ! يوجد في هذه
المدينة كثيرون غيرك يشغل هذا الموضوع بالهم يا ديليا لوفيل »
ورفعت وجهها اليه بسرعة وقالت : « لم تدعوني ديليا لرفل ؟ »
أجابها في خبث : « لأنني البرم فقط أكاد أعتقد أنك منهم »
فردت على ذلك بضحكة حائرة : « من الجائز لولم أكن منهم ..
أقصد لو كانت لي دائماً الفطنة والبصيرة اللتان تميز بهما
أفراد أسرة رولستون لأصاب تينا في النهاية خير عميم .. »
وغاص الدكتور لانسكل في المقعد الكبير ، وراء مكتبه ،
وصوب إليها نظرات نفاذة من وراء نظارته الساخرة وقال :
« أكره الخير الذي يأتي متأخرانه يشبه اللحم القديم .. »
وراحت تفكر وهي تقول : « أدرك أنني إذا تبينت تينا ... »
— « ماذا .. ؟ »

— « سيقول الناس .. » وهنا صعد الدم إلى رقيتها وغمر
خديها وجبهتها وانسكب كلهب تحت شعرها المفروق ..
وأوما لها برأسه قائلاً : « نعم .. ! »
— « أو أنهم سيقولون » وهنا زاد الاحمرار قتامة : « انها
ابنة جيم » .

مرة أخرى هز الدكتور لانسكل رأسه موافقاً وقال :
« الراجح جداً أن يظنوا ذلك ، وأي ضرر في هذا .. ؟ أنني
أعرف جيم وهو لم يسألك أي سؤال عندما أخذت الطفلة ..
ولكنه عرف من هي .. »

ورفعت عينين ممتلئتين دهشة : « هل عرف .. ؟ »
— « نعم .. ! لقد حضر إلى .. ولقد أقشيت سرا من أسرار
المهنة وذلك لصالح الطفلة . وهكذا حصلت تينا على بيت
يؤويها .. أنك لن تنكرى على هذا المسلك . اليس كذلك ؟ »
— « كلا يا دكتور لانسكل » . وملأت عينيها دموع الألم ،

وهى تقول : « وهل عرف جيم ؟ ومع ذلك لم يخبرنى . . ؟ »
— « لا فالناس فى تلك الايام لم يضمّنوا أحاديثهم أشياء مهمة
كثيرة ، أليس كذلك . . ؟ ولكنه أعجب بك أعجابا لا مزيد عليه
لما فعلته ، ولو فرضت — كما اعتقد أنك فاعلة — انه الآن فى
عالم من الكمال النورانى فلماذا لا تسلمين بأن اعجابه بك سيزداد
لما تفعلين . . ؟ » وختم الطبيب حديثه فى سخرية مرة : « من
الجائز أن القوم فى السماء يعتقدون بأن القيام على الارض
بعمل يتصف بالشهامة فى سن الخامسة والاربعين هو اشق بكثير
من القيام به فى سن الخامسة والعشرين . »

— « هذا ما كنت أفكر فيه هذا الصباح »

— « حسنا ستبرهنين على عكس ذلك هذا المساء »

ونظر الى ساعته ثم وقف واضعا يده على كتفها فى عطف
أبوى وقال : « ليعتقد الناس ما يشتهون وابعثى لى بدليسا
الصغيرة لو سببت لك اية متاعب أما ولدك فلن يقيم فى رجهك أى
صعاب وكذلك لن يفعل جزون جونيوس . . »

وأطلت برأسها خادم عجزز فهضت ديليا ولكنها توقفت عند
مدخل الغرفة .

— عندى فكرة . . قد تكين شارلوت هى التى يجب أن ارسلها
اليك . »

— « شارلوت . . ؟ »

— لن توافق على ما انا عازمة عليه »

ورفع الدكتور لانسكل حاجبيه الفضييين وقال : « نعم . . !
يا لشارلوت المسكينة . . ! اعتقد أنها غيرى . . ! لا بد
لشخص ما أن يدفع الثمن . . »

— « آه . . ليت تينا لا تدفع . »

— « حسنا . . هذا هو بالضبط ما ستدركه شارلوت فى الوقت
المناسب وعلى ذلك فطريقك بين »

واصطحبها الى الخارج مارا بقاعة الطعام حيث اجلس بعض
الفقراء وواحدا أو اثنين من المرضى القدماء . حقا لقد كان طريق
ديليا يبدو واضحا حين دعت شارلوت الى مخدعها بمفردها فى
ذلك المساء ، وكانت تينا فى فراشها تشكو صداعا ، وفى تلك الايام
كان هذا هو السبيل المألوف لمن يعانى مشاكل عاطفية من الشابات

الصغيرات وبهذه الطريقة يسهل عليهن اكتساب عطف أهلهن .
لم تتبادل ديليا وشارلوت على الغداء سوى بعض الكلمات
التقليدية ولكن ديليا كانت لاتزال تحت تأثير احساسها بأن قرار
ابنة عمها كان قرارا أخيرا كما أن حوادث الليلة السابقة كانت
توحى بلاشك أنه قد حان وقت التنفيذ .

وبعد أن أغلقت الأنسة لوفيل باب المخدع بما هو معهود فيها
من تأن شديد سارت نحو المقعد الطويل بين النافذتين ، وقالت :
- « هل اردت محادثتي يا ديليا .. ؟ »

« نعم لا تجلسي بعيدا » .. قالت السيدة رولستون ذلك
دون أن تستطيع السيطرة لى أعصابها ..

ونظرت شارلوت بعينين جامدتين : هل من الممكن أنها قد
نسيت تنهدات التوجع والالم التى زفرتها ذات مرة فى نفس
تلك الوسائد .. ؟

فعدت ديليا تقول :

- « لا .. ! اقتربنى منى . فى بعض الاحايين يخيل الى اننى
ثقيلة السمع » وبعد ان قالت ذلك فى عصبية ظاهرة دفعت
مقعدا وقربته من كرسيها ..

وجلست شارلوت وهى تقول : « آه لم يسبق لى أن لاحظت
ذلك ولكن اذا كنت كما تقولين فقد يكون ذلك قد انقذك من
سماع تينا وهى عائدة من بيت أسرة فاندرك جريف فى ساعة
متأخرة من ليلة أمس .. رهى لن تصفح عن نفسها لاستهتارها
براحة الآخرين لو عرفت انها ايقظتك .. »

- « انها لم توقظنى » .. ولكنها فى أعماق نفسها !
كانت تقول : « لقد انتهت شارلوت الى قرار ، ولن أقوى على
تغييره .. »

واستمرت تقول : « أظن أن تينا قد سرت كثيرا بالمرقص ؟ »
- « نعم .. ! ولكنها تدفعنا ثمن بما تعانیه الآن من صداد .. »
مثل هذه الحفلات المثيرة لا تلائمها ، قلت لك .. »
فقاطعتها السيدة رولستون : « دعوتك لكى نتم حديث
ليلة أمس » .

فظهرت الدوائر الحمراء الثانية على خدي شارلوت النحيابين
وقالت : « وهل هناك ضرورة لذلك .. ؟ أظن أن من واجبي
أن أخبرك فى الحال بأننى انتهيت الى قرار وأعتقد أنك توافقين
على اننى أدرك صالح تينا »

— « نعم .. ! طبعاً ، ولكن الاتسمحين لى على الاقل بأن يكون لى نصيب فى القرار الذى تتخذينه .. ؟ »
— « نصيب .. ؟ »

ومالت ديليا الى الامام روضعت يدها الدافئة على أصابع ابنة عمها المتشابكة وقالت : « شارلوت . حدث فى هذه الغرفة ذات مرة منذ سنين أن طلبت منى أن أساعدك . وكنت حينئذ تعتقد أن فى مقدورى أن أفعل أليس فى الامكان أن تعتقدى هذا مرة أخرى .. ؟ »
تصلبت شفتا شارلوت وقالت : « أظن أن الوقت قد حان كى أعتمد على نفسى »

— على حساب سعادة تينا ؟
— « لا ، بل لأقيها من شقاء أعظم .. »
— « ولكن ياشارلوت أن سعادة تينا هى ما أبغى .. »
— « أعرف ذلك .. لقد فعلت كل ما فى وسعك من أجل ابنتى .. »

— « لا .. ! ليس كل ما فى وسعى .. »
ونفضت ديليا ووقفت أمام ابنة عمها فى نوع من الخشوع ، وقالت وكأنها تقسم على ما تقول
— « ولكنى الآن سأفعل كل شىء . »
وتطلعت إليها شارلوت لوزيل وفى عينيها المذعورتين لمحة واجفة :

— « اذاكنت تقصدين أنك ستجئين الى نفوذك فى أسرة هالى فانى مقدرة لجميلك وسأظل دائماً حافظة له .. ولكننى لا أريد لابنتى زواجا بالاكراه ! »

واحمر وجه ديليا لان الاخرى لم تدرك مرادها ، وكان يخيل إليها أن هدفها لذى ترمى اليه لا بد أن يكون واضحاً على صفحة وجهها ، وقالت : « سوف أتبنى تينا .. سأعطيها اسمى .. »
فحملت فيها شارلوت بعينين متحجرتين وقالت :

— « تبنيها .. ؟ » فقالت ديليا :
« ألا تدركين يا عزيزتى مقدار الفرق الذى سيترتب على ذلك .. ؟ لدى المال الذى ورثته عن أمى .. مال أسرة لوفيل انه ليس بالشئ الكثير ، ولكن كانت رغبة جيم دائماً أن يؤول هذا المال الى أسرة لوفيل ثم ان ابنتى واخاها فى بسطة من العيش .. مامن سبب يحول دون ذهاب مالى القليل الى تينا

ولماذا لا تعرف بتينا رولستون ؟ وتوقفت ديليا عن الكلام ثم قالت : « في اعتقادي لو كان جيم حيا لوافق على ذلك هو الآخر »
- « يوافق .. ! ؟ »

- « نعم .. ! الأتريين أنه عندما أذن لي بأخذ الطفلة كان مقدرًا كل ما قد ينتج عن ذلك في نهاية الامر .. ؟ »

ووقفت شارلوت هي الأخرى وقالت : « أشكرك يا ديليا ، ولكن يجب ألا ينتج عن ذلك شيء آخر ما عدا رحيلنا عنك الآن . أنني واثقة بأن هذا هو ما كان يوافق عليه جيم » ..
وتراجعت السيدة رولستون خطوة أو خطوتين .. لقد قضى اصرار شارلوت اصرارًا قاطعًا على شجاعته ولم تعثر على جواب سريع .. ثم قالت :

- « اذن من الأسر لك أن تضحي بسعادة تينا على أن تضحي بكبريائك ! ! »

- « كبريائي .. ليس لي الحق في أي نوع من الكبرياء ما عدا حقى في ابنتى وهذا لن أضحي به أبداً .. »

- « ما من أحد يطلب منك ذلك .. انك لست على حق فيما تقولين .. أنت قاسية . كل ما أطلب هو أن يسمح لي بأن أسعد تينا وها أنت تتحدثين كما لو كنت أعارض في حقوقك .. »
- « حقوق .. ؟ » وأعادت شارلوت الكلمات وهي تضحك ضحكة موحشة :

- « ما هي هذه الحقوق . ؟ ليست لي حقوق لا أمام القانون ولا في قلب ابنتى »

- « كيف تقولين مثل هذا الكلام ؟ أنت تعرفين كم تحبك تينا »
« نعم .. ! ان حبها لي هو من قبيل العطف على .. كما كنت احب عماتي وخالاتي العوانس .. كانت لي منهن اثنتان .. هل تذكرين ؟ كانتا كالطفلتين الداويتين .. ! ولطالما حذرنا من قول أي شيء يزعج الخالة جرزي أو الخالة كوني ، كما سمعتك تحذرين تينا في تلك الليلة »
فغمغمت ديليا متألمة ..

وظلت شارلوت لوفيل واقفة أمامها كالحة الوجه صارمة لا تنثنى : « كلا .. لقد مضى زمن طويل ولا بد أن أخبرها بكل شيء ثم نرحل من هنا »

- « هل ستخبرينها عن مئذها .. ؟ »
فأجابت شارلوت لاهثة : « لم أشعر بالعار من ذلك قط »

— « اذن انت تضحين بانتيك . تضحين بها على مذبح رغبتك في
النحكم .. ! ؟ »

ونظرت المرأتان كل منهما في وجه الاخرى فكلتاها شاهرة
سلاحها .. ومن خلال اخلاجات الغضب رأت ديليا غريمتها
تضعف في ببطء فتراجع خطوة الى الوراء ثم تنهار على المقعد
مرسلة همهمة كسيرة .. لقد أخفت شارلوت وجهها في الوسائد
وهي تقبض عليها بعنف .. أن عاطفة الامومة ذاتها التي
أقلت بها ذات مرة فوق هذه الوسائد هي التي أخذت تجرها الان
الى أسفل فتهاوت وقد انصهرت نفسها في غمرة من تسليم
اشد مرارة من كل ما سبق ان عانت وبدا على ديليا كأنها تسمع
نفس الصرخة القديمة : « ولكن كيف استطيع ان انزل عن
طفلى .. ؟ » وهنبا اختفى غيظها الوقتى وانحنى فوق
كتفى الام التي ترزخ تحت أثقال الالم ، فقالت :

« شاتى .. لن يكون هناك نزول هذه المرة .. الا يمكن ان
نستمر في حبها سويا .. ؟ »

ولم تجب شارلوت وظلت صامتة وقتا طويلا ساكنة في مكانها
ورجها في الوسائد ، تخشى أن تديره شطر الوجه الحانى عليها ،
وفي النهاية شعرت ديليا بتراجع تدريجى في العضلات المشدودة ،
ورأت احدى ذراعى ابنة عمها تتحرك ببطء وتتحسس المكان ،
فمدت يدها الى الاصابع الباحثة وأحسّت بشارلوت تمسك هذه
اليد وتطبع عليها قبلة ..



كانت تينا لوفيل ، التى تسمى بالآنسة كليمنتينا رولستون ستزوج فى يوليو من لانج هالى ، وكانت الخطبة قد اعلنت فقط فى شهر ابريل السابق لهذا التاريخ وشرعت سيدات الاسرة المتقدمات فى السن يسلقون تلك الخطبة التى لم تستمر وقتا طويلا بالسنه حداد فقد كان من المتفق عليه فى نيويورك فى تلك الايام أن « من حق الشباب أن يمنح الفرصة لكى يتعرف بعضهم الى بعض » بالرغم من أن العدد الاكبر من الشباب والشابات اللاتى يؤلفن المجتمع النيويوركى قد اشتركوا فى اللعب وهم أطفال ، كما أنهم ولدوا من آباء وأمها ت عاشوا فترة طويلة متعارفين .. ومع ذلك فقد كن هناك تقليد متبع ، يقرر أن المخطوبين حديثا يجب ان ينسوا أنهم كانوا قبل الخطبة متعارفين أما فى الولايات الجنوبية فقد كانت الامور تسير بصورة مختلفة ، فالخطوبات التى تتسم بالرعونه والزيجات التى تتم دون علم الاهل لم تكن بالشئ النادر الحدوث فى سجلات هذه الولايات .. بيد ان مثل هذا التهور لم يكن بهذا الذبوع فى نيويورك ، وذلك لركود دمائها ، حيث الحياة ما فتئت تتسم بسمة التبصر والتساوى الماثورتين عن أهل هولندا .

وفى حالة غير عادية كحالة تينا رولستون ، لم يكن مما يثير العجب لدى أى انسان ألا يؤخذ بالتقاليد المرعية ، ففي المقام الاول لم يغب عن الاذهان أن تينا ليست من آل رولستون الا اذا أقام الانسان رزنا لما يشاع عن ماضى جيم المسكين وعن شهامة ارملة ونبل طبيعتها .. ولكن أغلبية الناس كانوا لا يرون هذا الرأى فهم على غير استعداد لان يلصقوا برجل ميت تهمة لا يستطيع لها دفعا ، واعلنت أسرة رولستون بالاجماع أنهم وان كانوا يستهجنون تصرف السيدة جيمس رولستون استهجانا تاما ، الا أنهم على اقتناع تام بأنهما كانت لتبنى تينا لو كان هذا التصرف يلقي شبهة على حياة زوجها المترفى .

لا : قد تكون الفتاة فردا من أسرة لوفيل - وان لم تكن هذه الفكرة شائعة بين الجميع ، ولكن من المؤكد أنها ليست من أسرة رولستون ، فعيناها العسليتان وحرركاتها الطائشة نات بها فى وضوح عن محيط الاسرة ، فليس هناك حاجة لان يصدر عليها حكم بالحرمان ، وقد اعتقد معظم الناس - كما كان الدكتور لانسكل يؤكد دائما - بأنه ليس من الميسور الكشف عن أصلها

وأنها تمثل لغزا من الالغاز المستعصية على الحل ، وتغيب
المجتمعات التي تأخذ نفسها بنظم محكمة . . وان واقعة تبنى
ديليا رولستون لها لا تعدو أن تكون برهانا آخر على تكتل أسرة
رولستون وتماسك أفرادها . .

فما تبنت السيدة رولستون الفتاة الا لان ابنة عمها كانت
شديدة التعلق بها ، ومن المبالغة أن يقال بأن ابن السيدة رولستون
وابنتها كانا راضيين عن فكرة التبنى ، فانما امتنعنا عن التعليق
تهوينا من أثر النزوة التي صدرت عن أمهما ، فكان صمتها مشرفا
ولقد كانت هذه هى الطريقة التقليدية التي تتبعها عائلات نيويورك في
اخفاء ما يصدر عن أحد أفرادها من شذوذ وحيثما يوجد « مال
يكفى الجميع » كان من المستهجن أن يحتج الوارثون على النزول عن
جزء صغير من الميراث العام .

ومع ذلك فان ديليا رولستون منذ تبنيتها للفتاة كانت مدركة
تمام الإدراك ان ثمة مسلكا مغاير من جهة ولديها الاثنين . .
لقد عاملها بصبر ، بل بحكمة كذلك التي يظهرها الوالدان ازاء
صغيرهما الذى أتى ذنبا فغضا الطرف عنه ولكن ذلك لم يعفه
من رقابة أشد ، وكذلك المجتمع عاملها بنفس التسامح ولكن
بتحفظ . .

لقد كان لها - على حد تعبير سيلرتون جاكسون - طريقة
حاسمة حازمة في أخذ الامور ، وقد سبقتها السيدة مانسون
منجوت بتصرف خطير حين خالفت وصية زوجها ، وكانت جراتها
منقطعة النظر في ذلك الحين ، ولكن اسلوب السيدة رولستون
كان فريدا في لباقة ، فما أنجزته السيدة الاولى ببراعة أقوالها
المنمقة وهجماتاتها واصرارها وتحركاتها أنجزته الثانية دون ان
توقع صوتا او تحيد خطوة عن الطريق المستقيم . .

فمن قبل أغرت زوجها جيم رولستون على تولى أمر الطفلة
وحصلت على موافقته بمهارة فائقة ، دون ان يعرف احد كيف
تمت تلك الموافقة ، ولم يرها الناس في اليوم التالى الا فرحين
منشرحين .

والآن ، ها هى تتبنى الفتاة بنفس الاسلوب الذى عزاه اليها
سيلرتون جاكسون ، فتصرفت كأنها لا تأتى عملا يحتاج الى
تفسير ، بل هى دهشت كيف يتعجب الناس من فعلها حتى
لترى أن عجبهم أمر سخيف لا يؤبه له ، وهكذا ارغمت الجميع
رويدا رويدا على ان يكفوا عن نقد تصرفها ، بل على ان يروا
أمرا سائغا .

والحق أن وراء ثبات ديليا وثقتها بنفسها غمامة كثيفة من الشكوك والريب ، ولكنها تعلمت مرة أن في مقدور الإنسان أن يأتي أى عمل ، حتى القتل ، لو أنه حاول ألا يقدم تفسيراً لما يصنع . ولم تنس هذا الدرس أبداً . . . ولم يسبق لها أن فترت أخذها الطفلة اللقيطة ، وما هى الآن بمستعدة لتفسير تبنيها إياها لقد كانت تقوم بما تقوم به كما لو لم يحدث شيء ذو بال وساعدها قسـط ضخم من التواضع على الاحتفاظ بشكوكها لنفسها .

وكانت هذه الشكوك فى الواقع تدور حول أفكار شارلوت لوفيل الخاصة أكثر مما تدور حول الراى العام فان شارلوت عقب اللحظة الاولى لمقاومتها الفاجعة ظهرت بمظهر المعترف بالجميل فى صورة تثير الشفقة بل الألم فى النفس . ولقد كشف مسلك تينا بوضوح أنها على حق فيما فعلت فان تينا فى خلال الايام الاولى عقب عودتها من حفل أسمه فاندرجريف بدت بوجه منقضى متجهم ذكر ديليا فى عنف ببشاعة الصورة المفاجئة التى ظهرت لشارلوت لوفيل قبل ذلك بسنين فى مرآة مخدعها . . ان الفصل الاول من تاريخ الام قد نقش الآن فى عيني الابنة وان دم سبندر الذى يجرى فى عروق تينا قد يكتب ختام هذا التاريخ . وفى أثناء تلك الايام القليلة التى انقضت فى ملاحظة صامته اكتشفت ديليا خوف واشفاق مايرر مخاوف شارلوت فانهما قد فقدتا الفتاة تقريبا ومهما كان الثمن فمثل هذه المخاطرة يجب ألا تعود .

أما أسرة هالسى فعلى العموم تصرفت بشكل يدعو الى الإعجاب لقد أبدى لانج رغبته فى أن يتزوج ريبية ديليا رولستون - وكان معروفاً أنها بعد فترة قصيرة ستأخذ اسم الام التى تبنتها كما سترث ثروتها . . . وأى طموح يرنو اليه فرد من أسرة هالسى أكبر من أن يتزوج فتاة من أسرة رولستون ؟ ولقد حدث دائماً تزواج بين العائلتين وكان آباء أسرة هالسى يمنحون بركاتهم فى تسرع كشف عن انهم هم كذلك متلهفون على هذا الزواج ، وان راحة النفس التى تنتج عن رؤية لانج مستقراً فى حياة زوجية سعيدة لا بد أن تكون تعويضا كافيا عن العيوب الظاهرة فى مثل هذا الزواج . على انهم بمجرد أن يستقر رأيهم على الزواج لن يسمحوا حتى لانفسهم بالاعتراف بوجود مثل هذه النقائص . . ان الجيل القديم من أهل نيويورك نبذوا على الدوام كل ما من

شأنه المساس بالاحتشام الكامل الواجب مراعاته في تصرفاتهم ..
وطبعاً لاحظت شارلوت لو نيل كل هذا وأدركت كنهه ... لقد
بليت الوضع في خلواتها مع ديليا ورات فيه رحمة منمت
لذنب لا يستحقها وأصبح كل همها في الحياة أن تظل ابنتها على
حبلها بحقيقة العلاقة بينهما .

هكذا كانت تينا كل شيء في حياة ديليا ، فقدرات فيها الارملة
رحيمة كل ما كانت تحلم به من أمنيات وخيالات امتلاً بها شبابها
الضائع ، حتى لتحسب وهي تراها بعينين ظامئتين أن دم
الصغيرة هو الذي يسرى في عروقها ..

ولم يكن من الميسور الكشف عما دار في خلد الفتاة خاصاً
بتينيتها .. ففي سن الرابعة عشرة اطلعت على التفسير الذائع
ليلاها وقبلته في اهمال كما يقبل طفل سعيد حقيقة لا تمت
له بصلة ولا يستطيع أن يدرك كنهها . كما قبلت اجراءات
تبنيها بنفس الروح . . . اذ عرفت ان اسم اسرة رولستون
اعطى لها بقصد تسهيل زواجهما من لانج هالسي ووقعت ديليا
نحت فكرة أن جميع الشكوك الغامضة جرفها شعور عارم
بحرفان الجميل : « لقد اعتبرتك دائماً كأمي والآن أيتها العزيزة
أنت حقاً أمي » . فهذا همست تينا في أذن ديليا ، وخذها ملاءق
لخدها .. فأجابتها ديليا وهي تضحك : « أجل .. هذا لو
ستطاع المحامون أن يجعلوني كذلك .. ! »

اقتربت الموجة الذهبية من اليوم الموعود ، وأخذوا يستعدون
حفل الزواج .. واتفقوا على عقد الزواج في قصر لوفيل ، وهو
البيت القديم الذي يشرف على الخليج حيث عقد قران ديليا لوفيل
نفسها وحيث اعتادت أن تقضي أشهر الصيف منذ أن توفيت
والدتها .. وبالرغم من أن الحى كان مغطى بشبكة من الطرقات
المهملة فان المنزل العتيق بشرفته المحوطة بالاعمدة مازال يطل على
ساحة واسعة مغطاة بالحشيش وبها مجموعات من الاشجار
القصرية المورقة .

كان من المقرر أن يعقد قران تينا في البيت كما حدث للسيدة
رولستون ، لا في الكنيسة ، وان كانت الاوساط التي تتبع الكنيسة
الاسقفية قد بدأت تستهجن مثل هذه الطقوس التي يرونها شبيهة
بالاجراءات الاضطرابية التي يلجأ اليها أتباع يوحنا المعمدان
والشيعة النظامية والموحدون وغيرهم من الشيع التي لا مذبح

لها .. وقد رأت ديليا وشارلوت أن جو الاعتكاف والعزلة الذى يهيؤه زواج يعقده فى البيت ، لابد أن يعوض الطابع الدنيوى الذى ينفرد به الزواج الأسقفى . وتحمست أسرة هالسى لهذا القرار ، وتبعاً لذلك استقرت السيدات فى قصر لوفيل قبل نهاية شهر يونيو. وفى كل صباح شوهد القارب الصغير الخاص بلاننج هالسى يعبر الخليج ويطوى شراعه فى المرسى الواقع أسفل الساحة الخضراء ...

وفى الليلة السابقة للزواج جلست ديليا رولستون فى الشرفة ترقب بزوغ القمر من أفق الخليج وكانت متعبة من جراء ما قامت به من مهام ، كما كانت متقدمة لقب فراق تينا ، وفى المساء التالى لزوجها سيصبح المنزل خاوياً : وإلى أن يجيئها الموت ستجلس هى وشارلوت وحدهما سويًا بجانب المصباح فى الأمسيات ولكن هذا التضجر والسأم كان شيئاً سخيلاً لا يليق بها بيد أن ذكريات لا حد لها تحركت واختلجت فى نفسها .. لقد كان قلبها مثقلاً .. وبينما هى تغلق الباب على الغرفة الصامتة - وكانت قد تحولت الى كنيسة صغيرة بمذبحها المغطى بأردية مقصبة وبالقوارير الطويلة من الصخر الكلسى الشفاف فى انتظار ورودها البيضاء ورياحين شهريونيو وبقطعة السجاد الحمراء المستطيلة التى تفصل صفوف المقاعد عن مكان القس - شعرت أنه قد يكون من الخطأ العودة الى قصر لوفيل لعقد الزواج .. ومرة ثانية رأت نفسها فى ثوبها الهندى الغضاف ذى الوسط المرتفع المزين بزهور الاقحوان وفى حذائها الخفيف المصنوع من الحرير وفى حجابها الشفاف من بروكسل - ومرة أخرى رأت صورتها منعكسة فى المرآة الكبيرة المثبتة فى الحائط المصفرة اللون كما رأتها وهى تترك نفس هذه الغرفة منكئة على ذراع جيم رولستون وتذكرت النظرة الخاطفة الوحيدة الممتلئة رعباً التى ألقتها على صورتها قبل ان تأخذ مكانها تحت اريكة من الورود البيضاء فى القاعة الكبرى وهى تبسم للمهنئين .. آه كم تختلف الصورة التى تعكسها المرأة الكبيرة غداً .

وسمعت فى الداخل صوت خطى شارلوت لوفيل السريعة جاءت وما لبثت أن انضمت الى السيدة رولستون .
- « ذهبت الى المطبخ لآخبر الطاهية بأن تجهز مائتى طبق من المثلجات »

— « مائتى طبق؟ أجل — أظن ذلك لان كل معارفنا من فيلادلفيا سيحضرون » وفكرت ديليا لحظة ثم قالت : « ماذا نم بخصوص المناشف الورقية التى توضع فى الاطباق ؟ »

— « بمعاونة خالتك سندبر كل شىء على وجه السرعة .. »
— « أجل — شكرا لك! شارلوت على تجشمك كل هذه المتاعب .. »

فتمتت شارلوت محتجة وعلى فمها ابتسامتها الزائفة :
ولاحظت ديليا السخربة التى ينطوى عليها شكر أم على اهتمامها بتفاصيل زواج ابنتها.

— « اجلسى هنا يا شاتى » قالت فى صوت منخفض وهى تحس الدم يصعد الى وجهها لزلتها ..

وجلست شارلوت على أقرب مقعد وهى تتأوه من التعب ..
— « سيكون يومنا غدا رائعا قالت ذلك وهى ترقب صفحة السماء الهادئة فى تفكير عميق .

— « نعم ! أين تينا ؟ »

— « كانت متعبة للغاية فأرسلتها الى الطابق العلوى كى تستريح .. »

وكان الظرف مناسباً جداً فلم تحر ديليا جواباً سريعاً . وبعد لحظة قالت : « سنفتقدها بعد زواجها » ..
وكانت اجابة شارلوت غمغمة غير مسموعة .

وظلت ابنتا العم صامتين ، وجلست شارلوت كعادتها مرفوعة القامة ويدها النحيلتان متشبثتان بمسندى مقعدها المنخفض القديم ، بينما غاصت ديليا فى مقعد كبير مرتفع الظهر ..
لقد تبادلتا ملاحظتهما الأخيرة عن استعدادات اليوم التالى ولم يعد هناك شىء آخر يقال عن عدد الضيوف واعداد الشراب وترتيبات ملابس القسيس وعرض الهدايا فى أحسن غرفة من غرف نوم الضيوف ..

موضوع واحد فقط لم يمس بعد ، وظلت ديليا ترقب وجه ابنة عمها متجهما فى ضوء الشفق الذائب وانتظرت ان تتكلم ، ولكن شارلوت ظلت على صمتها

وأخيرا شرعت ديليا تقول وفي صوتها رعشة خفيفة « كنت أفكر أنه يجب على الآن - »

وخيل اليها أنها ترى بدى شارلوت وهما يشدان مقبض المقعد . .

- « ماذا يجب عليك الآن ؟ »

- « حسنا قبل ذهاب تينا للفراش قد يكون من الواجب على أن أصعد اليها لبضعة دقائق »

وظلت شارلوت لا تتكلم وظهر تصميمها على عدم بذل أى مجهود لمساعدتها .

واستمرت ديليا تقول « غدا سنكون فى زحمة الامور ابتداء من مطلع النهار ولا أدري كيف يمكننى فى شواغل اليوم المثيرة ان . . »

- « يمكنك ماذا ؟ » رددتها شارلوت فى صوت جاف !

وأحست ديليا بوجهها يزداد احمرارا فى ضوء الشفق وهى تقول متلعثمة : « حسنا أظن أنك توافقيننى على أنه لابد من كلمة يقال للصبية عن الواجبات والمسئوليات الجديدة مما يقال فى هذه المناسبات . »

- « نعم ! لقد فكرت فى ذلك » ولم تزد شارلوت كلمة ، ولكن ديليا اكتشفت فى نبرة صوتها الميل لتلك المعارضة الغامضة التى أعلنت عن نفسها بشكل آلى فى اللحظات الحرجة فى حياة تينا . . ولم تستطع ادراك السبب الذى من أجله تكون شارلوت فى مثل هذه اللحظات مبهمه لا يمكن التفاهم معها . ولم تر الآن سببا فى أن يحول هذا التقلب فى حالتها دون قيامها بما تعتقد انه واجبها . . ان تينا تنتظر فى لهفة معاونتها على اجتياز حياتها الجديدة فتكون هذه المعاونة وداعا حقيقيا لها . . وبقلب يدق أسرع قليلا من المعتاد وقفت واجتازت النافذة الى غرفة الجلوس ، وكان القمر من خلال أعمدة الشرفة يرسل ستارا من البور على صفوف الكراسى ويضئ المذبح المزين بالحرير والقصب بما عليه من شمعدانات وقوارير فارغة ، ويرسم فى لون فضى صورة ديليا فى المرأة الكبيرة المثبتة على الحائط . . .

وعبرت الغرفة فى اتجاه الصالة .

ورن فى أثرها صوت شارلوت يناديها « ديليا . . ! »

ووقفت المرأتان تتفحص كل منهما الاخرى فى الضوء القوي

وكان وجه شارلوت يبدو كما بدا فى ذلك اليوم المخيف عندما
رأته ديليا فجأة فى المرأة فوقها .

وسألتها شارلوت : « هل كنت صاعدة الآن للكلام مع تينا ؟ »
- « أنا - نعم ! لقد أشرفت الساعة على التاسعة وظننت .. »
- « نعم أعرف ذلك » وقامت الانسة لوفيل بجهود ظاهر
لكى تضبط نفسها ، وقالت : « أرجوك أن تفهمينى أنا أيضا
يا ديليا اذا طلبت منك ألا تفعل »

ونظرت ديليا الى ابنة عمها وقد تملكها خوف غامض . أى
لغز جديد يخفيه هذا الطلب الغريب ؟ ولكن لا - مثل هذا
الشك الذى اختلج فى عقلها لا يمكن قبوله . انها واثقة تماما
فى عزيزتها تينا .

- « أعتزف بأننى لا أفهم مرادك يا شارلوت .. أنت دون شك
تحسين بحاجة الفتاة فى الليلة السابقة لزواجها الى نصيحة من
أمها .. »

- « نعم أحس بذلك . ولكن المشكلة هى : أينأ أمها ؟ »
وتراجعت ديليا على الرغم منها وقالت متلعثمة : « أينأ أمها ؟ »
- « نعم ! لا تنظنى بأن هذه هى المرة الاولى التى أسأل فيها نفسي
هذا السؤال ! فى نيتى أن أكون هادئة كل الهدوء . اننى
لا أنوى العودة الى الماضى لقد قبلت - قبلت كل شىء شاكرة -
.. فقط الليلة - الليلة فقط .. »

وشعرت ديليا بغمرة العطف التى تسيطر دائما على أحاسيسها
كلما جلست الى شارلوت لوفيل تتبادلواياها والآراء وتناقشها
فى الحقائق ، وامتلاّت حنجرتها بالدموع وظلت ساكنة .

واختتمت شارلوت حديثها بهذه الجملة « الليلة فقط ! أنا
أمها .. » .. فقالت ديليا فى رحمة وأسف !

« شارلوت ! لن تخبريها بذلك - ليس الآن ؟ » وخرجت
من فمها هذه الجملة على غير ارادتها ..

وضحكت شارلوت ضحكة واهنة وقالت « واذا فعلت فهل
تكرهين ما أقول كل هذا الكره ؟ »

- « أكره ؟ يا لها من كلمة لا تليق بيننا ! »

- « ولكنها الكلمة التى ظلت بيننا منذ البداية .. منذ اليوم
الذى اكتشفت فيه ان كل منبت سبندر لم يحطم قلبه حين لم يكن

كفؤا لك .. منذ أن تأثرت لنفسك بوضعي تحت رحمةك
وبانتزاع طفلة مني . . ! وهكذا خرجت كلمات شارلوت
نارية ملتهبة كأنها مقذوفة من أعماق الجحيم ، ثم همدت النار
فانحدر رأسها على صدرها . . . ووقفت وقد انعقد لسانها أمام ديليا
فلم تملك ديليا نفسها إلا أن تعود بذكرياتها إلى الوراء في حلق ،
فبينما كانت نفسها تجيش بالرق والشفقة وبالرغبة في المساعدة
والشعور بروح الصداقة كانت هذه السحب القاتمة تتجمع في
صدر الشخص الآخر كأنها دخان سام قد هب على منظر رائق في
يوم صيف .

وفي العادة كان يعقب مثل هذه الاحساسات شعور سريع
بالعطف ، ولكنها الآن لم تشعر بشيء من هذا ، لقد تملكها اعياء
شامل .

ثم قالت في بطة : « أجل في بعض الاحايين أعتقد أنك كرهتني
من البداية ، كرهتني لكل شيء حاولت أن أقوم به من أجلك »
ورفعت شارلوت رأسها في حدة وقالت : « تقومين به من
أجلي ؟ ولكن كل شيء فعلته ! كان من أجل كليمنت سبندر ! »
فحملت فيها ديليا بنوع من الرعب قائلة : « أنت مخيفة
يا شارلوت . أقسم ما فكرت في كليمنت سبندر منذ سنوات »
فقال شارلوت : « آه ولكنك فكرت .. فكرت ! لقد فكرت فيه
دائما وذلك بتفكيرك في تينا .. لقد فكرت فيه ، وليس
في أي انسان آخر .. ان المرأة لاتنقطع عن التفكير في
الرجل الذي تحبه .. انها تفكر فيه لعدة سنوات لاحقة بكل
الاساليب اللاشعورية .. وذلك بالتفكير في أمور مختلفة متباينة
- في الكتب والصور وغروب الشمس ، وبالتفكير في زهرة أو
شريط - أو في ساعة على رف المدفأة .. » ثم أضافت وهي
تضحك في خبث : « هذا ما قامرت عليه . هذا هو السبب في
مجيئي اليك في ذلك اليوم .. كنت أعرف أنني بذلك أهب تينا
أما أخرى .. »

مرة أخرى أخذ الدخان السام يحوط ديليا .. انهما امرأتان
مستتان ذاويتان تقفان أمام المذبح فى يوم زفاف تينا وتحدثان عن
الكره ! لقد بدا هذا عملا كريها شائنا فلم يسع ديليا الا ان
تصرخ قائلة : « انت امرأة شيرة - أنت شيرة »

ثم انجلت السحابة القاتمة ورأت الوجه الكسير المبتس للام
التي لم تكن أما والتي هى فى مقابل كل خير أصابها أحست بأن
حقا من حقوقها قد اغتصب منها ... فاقتربت من شارلوت
ووضعت يدها على ذراعها . وقالت :

- « ليس المجال لهذا الكلام . لا يليق أن نتكلم فى هذا
المكان . »

فجفلت الاخرى وقالت : « فى أى مكان تشائين فلا يهمنى
المكان ! »

- « ولكن ليلتنا هذه يا شارلوت هى الليلة التي تسبق زواج
تينا ؟ أليس كل جزء من هذا البيت ممتلئا بها ؟

وصمتت شارلوت ، واستمرت ديليا تتكلم بصوت أكثر ثباتا :
« ما من شيء تقولينه يمكن أن يؤذيني لفترة طويلة ، كما اننى
لا أريد أن ألحق بك أذى ، وما فعلت ذلك قط . »

- « تقولين ذلك وأنت التي ما تركت وسيلة الا توصلت بها
لإبعادى عن ابنتى ! هل تظنين انه كان من السهل على أن أسمعها
وهى تدعوك « يا أمى » ؟ اننا اتفقنا على ألا نجعلها تظن الظنون
.. ولكن لو لم تقف على الدوام بيننا ما كانت تجد أحدا سواى
وكان لا بد لها أن تحس نحوى بنفس الشعور الذى يحسه كل
طفل نحو أمه ، كان لا بد لها أن تحبنى أكثر من أى انسان آخر .
فعلى الرغم من كل كرمك وسخائك قد انتهيت بسرقة طفلى ، ولقد
تحملت ذلك من أجلها فقط - لانه كان أمرا لا بد منه ، ولكنها
فى هذه الليلة تخصنى وحدى فلا أتحمل أن تدعوك يا أمى .. »
ولم تحر ديليا رولستون جوابا سريعا .. خيل اليها أنها قد
مست لأول مرة أعماق أعماق عاطفة الأمومة فى نفس شارلوت ،

فوقفت مشدوهة لما يصدر عنهما من أصداء داوية ...

غمغمت تقول : « لابد أن حبك الشديد لها هو الذى حملك على أن تقولى هذه الكلمات » ثم استمرت باذلة مجهودا أخيرا :
- « نعم ! أنت على حق ولن أصعد اليها فأنت التى يجب أن تصعد »

واتجهت شارلوت اليها بحركة تلقائية ، ولكن ديليا خرجت الى الشرفة رافعه يدها كما لو كانت تدافع عن نفسها ، وبينما هى تغوص فى كرسيها سمعت باب غرفة الجلوس يفتح ثم يغلق وصوت قدمى شارلوت على السلم .

جلست ديليا وحيدة فى ظلام الليل ، ولقد ضاعت آخر قطرة من شهامتها ، وحاولت أن تثنى عقلها المذعور عن التفكير فى شارلوت .
ماذا يحدث فى هذه اللحظة فى الطابق العلوى ؟ وأى أسرار مزعجة ستزيل كل أثر لأحلام تينا فى ليلة عرسها ؟ والآن ليس هذا بالأمر الذى يخضع للحدس والتخمين ، فهى ديليا رولستون قد قامت بواجبها وبذلت كل ما فى وسعها ولم يتبق شئ الآن سوى أن ترفع روحها المعنوية فوق شعورها الممض بالفشل .

كان هنالك عنصر غريب من الصدق فى بعض ما قالته شارلوت ، فيما أغرب ما زودتها به عاطفة الأمومة من نظر ثاقب وقدرة على اكتناه الأمور ... لقد أمدتها الغيرة بملايين الاعضاء الحساسة ... نعم كان حقا أن الليلة السابقة لعرس تينا قد امتلأت نلى رقتها وهذوئها برؤى ماضى ديليا ، تلك الرؤى التى لم تتحقق ...
وفى هدوء ودون أن تدري ، مالت بها هذه الأحلام نحو ذكرى ما فاتها ، فطوال هذه الايام الاخيرة كانت تحيا ، فى حياة الفتاة ، فكانت هى تينا وكانت تينا رمزا لشبابها وعلمها على ديليا لوفيل التى عاشت فيما ذهب من الايام ... والآن وللمرة الأولى تستطيع ديليا أن تستسلم لرؤيا هذا الحب المحرم الذى طالما جفل منه خيالها دون خجل أو شعور بالذنب ودون عذاب أو شكوك . . لقد اختارت فى شبابها تقرير مصيرها وفى سنوات النضج قبلت هذا المصير والآن تجد فى فرحة هذا الزوج ، التى تحس أنها فرحتها هى ، تعويضا لها عن كل ما فاتها .

أدركت ديليا فى هذه اللحظة أن شارلوت قد عرفت كل هذا ، فامتلات حنقا شديدا ... قالت شارلوت منذ وقت طويل أن

كليمنت سبندر لم يكن على وجه التحقيق لها قط ، والآن لاحظت
نفس الشيء فيما يختص بطفلة كليمنت سبندر . . . وبينما
الحقيقة تشرق على ديليا في هدوء ذاب قلبها بتأثير عطفها القديم على
شارلوت ، ورأت أن التدخل في أقدار شخص آخر أو المساس
بحقه في الحب أو في العذاب على طريقته في سبيل الحب ، إنما هو
جرم فظيع وانتهاك لحرمت مقدسة . . . ولقد تدخلت
ديليا مرتين في حياة شارلوت لوفيل فكان من الطبيعي أن تراها
شارلوت يدعوها للدود ، ليتها لا تتأثر لنفسها عن طريق إيذاء تينا .
وارتدت أفكار الأُم المتبينة في ألم الى الغرفة البيضاء الصغيرة
في أعلى المنزل . . . كان في نيّتها أن يكون الوقت القصير
الذي تقضيه مع تينا باعثا لها على أفكار زكية الرائحة لها عطر
الورود التي ستقع عليها عيناتينا عند استيقاظها من النوم ،
أما الآن . . . وهبت ديليا من أفكارها على وقع أقدام على السلم ، وكانت
شارلوت تهبط سلم البيت الصامت ، ووقفت ديليا وبها رغبة غامضة
في الهرب . . . لقد أحست بعجزها عن النظر في عيني ابنة عمها ،
فدلفت الى ركن من الشرفة وهي تأمل في أن تجد عوارض باب
غرفة الطعام مفتوحة فتتسلل منها الى غرفتها دون أن يراها أحد ،
ولكنها في لحظة أصبحت أمام شارلوت

- « ديليا ! »

- « آه هذا أنت ؟ كنت على وشك الصعود للنوم »

- « نعم ! ان الوقت متأخر الآن . لا بد أن تكوني في غاية التعب »
وتوقفت شارلوت عن الكلام وكان صوتها متوترا ومملوءا ألما . . .

قالت ديليا مؤمنة على كلامها « اني منهكة »

وفي سكون الليل الذي أضاءته أشعة القصر أقبلت نحوها
شارلوت ووضعت يدا مرتعشة على ذراعها وقالت : « لن تذهبي
قبل أن ترى تينا »

وأجابت ديليا بحدة : « تينا ؟ ولكن الوقت متأخر الآن ! أليست
نائمة ؟ ظننت أنك ستبقيين معي حتى . . . »

- « لا أدري إذا كانت نائمة أولا » وتوقفت شارلوت عن الكلام ثم
قالت : اننى لم ادخل - ولكن رأيت ضوءا تحت بابها »
- « لم تدخلى ؟ »

- « لا وقفت فقط فى الممر وحاولت »
- « حاولت ؟ »

- « حاولت أن أفكر فى شىء... شىء أقوله لها دون أن ..
تحزر .. » ومنعتها من الكلام شهقة ، ولكنها تحاملت على نفسها
وبذلت مجهودا أخيرا ...

- « لا فائدة ... لقد كنت على صواب : ليس عندى ما أستطيع
قوله . أنت أمها الحقيقية . اذهبي اليها ... ليست الخطيئة منى ولا
منك .. »

فبكت ديليا وتشبثت شارلوت بها فى ذلة غير واضحة وقالت :
« قلت اننى شريرة - أنا لست شريرة على كل حال ... كانت
ملكى عندما كانت صغيرة ! »

ووضعت ديليا ذراعها حول كتفها وقالت : « أسكتى يا عزيزتى !
سوف نذهب اليها سويا ... »

وخضعت الأخرى دون تفكير فارقت المرأتان السلم جنباً الى
جنب ، وأخذت شارلوت توفق بين خطواتها السريعة وحركات ديليا
الثقيلة ، وسارا فى الممر حتى باب تينا ، فلما وصلا اليه توقفت
شارلوت لوفيل وهزت رأسها ... وهمست :

- « لا - أنت » وقفلت راجعة ...

رقدت تينا فى فراشها وقد طوت ذراعيها تحت رأسها ،
وانعكس على عينيها ضوء السماء الفضى الذى امتلأت به النافذة
وابتسمت لديليا خلال حلمها ..

- « كنت أعرف أنك ستجيئين ... »

وجلست ديليا بجوارها وأستقرت يدهما المتشابكتان على

الغطاء، ولم يتكلم كثيرا فليس اندماجهما في حاجة الى الالفاظ ...
وما عرفت ديليا قط كم من الزمن أمضته بجوار انصيبة فلقد
استسلمت لسحر القمر .

ولكنها فجأة تذكرت أن شارلوت وحيدة خلف باب غرفتها
المغلق ترقب وتقاوم وتصغى، ولا بد لديليا حرصا على راحتها أن
تضع حدا لهذه اليقظة الفاجعة، فأنحنت لتقبل تينا قبله الوداع ،
ثم توقفت عند مدخل الغرفة ونظرت خلفها وقالت: « يا عزيزتى!
شئ واحد أخير »

فغمغمت وهى شبه حاملة : « نعم ؟ »

– « أريد منك أن تعدينى »

– « أى شئ .. ! أى شئ يا أمى الحبيبة .. ! »

– « حسنا .. اذن عدينى بأنك عندما ترحلين غدا – فى آخر
لحظة ، هل تفهميننى ؟ »

– « نعم ثم ماذا ؟ »

– « بعد أن تودعينى وتودعى كل فرد آخر – فى اللحظة التى
يعاونك فيها « لاننج » على ركوب العربة »

– « ثم ماذا ؟ »

– « عدينى بأن تعطى قبلتك الأخيرة لحالتك شارلوت ... اياك
أن تنسى آخر قبلة ... »

(انتهت)

وارتون

ضريبة الحب

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number
------	----------------------	------	----------------------

محمود ، حسن
ضريبة الحب (و غرام عانس)
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030277

American University of Beirut



[REDACTED]
[REDACTED]
General Library

